نام کتاب: عصر الامام المجتبی علیه السلام

پدیدآور: یوسفی غروی، محمدهادی

موضوع: امام حسن(ع)

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: المجمع العالمی لاهل البیت(علیهم السلام)

مکان چاپ: قم- ایران

سال چاپ: ۱۴۳۵ ه. ق

نوبت چاپ: ۱

مقدمة المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التی تجسّد الإسلام المحمّدی الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحی، ذات معارف كبری تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة. «فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا». إنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينى (قدس سره) إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) وليد هذا التغيير المبارک فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئى (مُدّ ظلّه الوارف) فى عام ١٩٩٠ م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة فى مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت (عليهم السلام).

إن المعاونية الثقافية للمجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) وفى سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعى والمعرفة لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وترصين دعائم البيت الشيعى، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفى شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولى لسبط النبى الإمام الحسن المجتبى (ع).

ونظراً لإيكال مسؤولية اللجنة العلمية للمؤتمر إلى معاونية الشؤون الثقافية فى المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام)، وبالتعاون مع بعض المؤسسات الثقافية بادرت هذه المعاونية إلى اعلان الدعوة العامّة داعيةً فيها النُخب الإسلامية إلى كتابة المقالات والبحوث حول شخصية السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى (ع) الفردية والعائلية واسلوب عيشه الاجتماعى، الثقافى، السياسى والاقتصادى، وفى ضوء ما سبق ذكره، بذلنا مجهودنا من أجل أن تصاغ وتنشر هذه المجموعة من المقالات على أكثر ما يمكن من الاتقان والعمق.

وهنا أرى لِزاماً علىَّ أن أقدّم شكرى للجهود المتواصلة التى بذلها الأمين العام للمجمع

العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّدحسن اخترى (دام عزّه)، ومعاون الشؤون الدولية حجّة الإسلام والمسلمين محمّد سالار المحترم، معاون الشؤون التنفيذية محمّدرضا نظام دوست، وأعضاء لجنة إقامة المؤتمر المحترمين، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر الموقّرين حجج الإسلام والمسلمين: محمّدهادى اليوسفى الغروى، السيد منذر الحكيم، حميدرضا المطهّرى، رمضان المحمّدى، محمّدرضا الجبّارى، نعمة الله صفرى فروشانى، محسن الويرى، سيد محمّدرضا آل أيوب، عباس الجعفرى مدير لجنة الدراسات الإسلامية الأصيلة.

وكذا نشكر ونقدّر مساعدة المؤسسات المواكبة لنا: (وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامی، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مركز إقامة صلاة الجمعة فی طهران، جامعة المصطفی (ص) العالمية، مؤسسة القاسم بن الحسن (ع) الثقافية الدينية، مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، بلدية طهران، منظمة الإعلام الإسلامی، مكتب الإعلام الإسلامی للحوزة العلمية- قم، مركز متابعة شؤون المساجد، مؤسسة البحوث والتحقيقات الإسلامية، جمعية المؤرخين فی الحوزة العلمية- قم)، التی عاضدت المجمع فی هذه الحركة العظيمة وكذلک حجج الإسلام السادة: علم الهدی، شيرمردی، حسينی عارف، والإخوة الكرام السادة: راشد، خاكرند، المهدوی منش، الكرمانی، الخرسندی، عابدينی، الصالحی، شمس الدينی المطلق، البغدادی، الصمدی والقديری.

وكذلک نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين وخاصة الأخ محمّد الساعدی، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر علی صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالی أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين ولنشر فكر أهل البيت (عليهم السلام).

نجف لک زايی

معاون الشؤون الثقافية والمسؤول العلمی للمؤتمر

ص: ۹

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت «موسوعة التاريخ الإسلامى» وأنا اريد أن أسدّ به خلّةً أو قل فراغاً فى المكتبة الإسلامية لأتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فى تدوين تواريخهم، فهم لإيمانهم بهم عقائدياً، حتى لما يدوّنون تواريخهم يخرجون فيه مخرجاً عقائدياً، فيخلطون التاريخ بأخبار فضائلهم ومناقبهم، من دون أن يتقيّدوا فى ذلک بالعمود التاريخى، فالكتاب لا يكون تاريخياً خالياً عمّا سواه بل خليطاً مزيجاً بأخبار الفضائل والمناقب. هذا من حيث الموضوع.

ومن حيث المصادر يرون تكثيرها عن غيرهم من سائر المسلمين، وهذا فتح باب الإشكال عليهم: بأنّكم «لا سلف لكم ولا مصنّف» وبالخصوص لا تاريخ لكم، حيث نراكم فى تواريخكم تكثرون من الإسناد إلى المصادر من غيركم من سائر المسلمين، ثم هم فى ذكر هذه المصادر يتناولون الأقرب ولا يعتنون بالتوغّل إلى أعماق التواريخ ليستندوا إلى أقدم مصدر هو الأصل فى النقل، فإنّا لو توصلّنا إلى الأصل الأقدم الأقوم فلا حاجة إلى النقل عن الفرع والناقل المتأخّر ثم التكثير منه. وأنا رأيت المكتبة الإسلامية لأتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) خالية من تاريخ يخلو من هذه الإشكالات، فحاولت أن أسدّ هذا الفراغ أو الخلّة، فكانت «موسوعة التاريخ الإسلامى» بدءاً من السيرة النبوية ومروراً بتواريخ الأئمّة من أهل البيت (عليهم السلام) فى عهود إمامتهم، وانتهاءً بنهاية الغيبة

الصغرى ووصولًا إلى بداية الغيبة الكبرى عام ٣٣٠ ه-.

وعزم «المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام)» على إحياء ذكرى «سبط النبى» الإمام أبى محمّد الحسن بن على المجتبى (ع)، فاستكتب الكتّاب المسلمين ليكتبوا عن سبط نبيّهم حصيلة قراءاتهم عنه (ع)، واقترح أن يضمّوا إلى مقالاتهم كتاباً عنه، ولاقى هذا الاقتراح من المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ترحيباً بذلک، فكان هذا الكتاب بين أيديكم أيّها القرّاء الكرام «عصر الإمام المجتبى (ع) اجتماعياً وسياسياً» والله من وراء القصد.

محمّد هادى اليوسفى الغروى

شعبان/ ١۴٣۵ ه. ق

قم المقدسة

الإمام المجتبى (ع) مع الرسول المطصفى (ص)

مع جدّه فى مولده:

سرد الشيخ الصدوق (٣٨١ ه-) فى المجلّد الثانى من كتابه: عيون أخبار الرضا (ع)، ثلاثة طرق تنتهى إلى: أحمد بن عبدالله الشيبانى الهروى، وداود بن سليمان الفرّاء، وعامر بن سليمان الطائى البصرى عن الرضا (ع) سنة أربع وتسعين ومئة، أى قبل نقله إلى مرو بسبع سنين، عن أبيه عن آبائه عن على بن الحسين (عليهم السلام) عن أسماء (بنت يزيد بن السكن الأنصارى)١.

قالت: إنّ فاطمة لمّا حملت بالحسن وولدته وجاء النبى (ص) قال: يا أسماء! هلمّى ابنى. فدفعتُه إليه فى خرقة صفراء، فرمى بها النبىّ! وأذّن فى أذنه اليمنى وأقام اليسرى، ثم قال لعلى (ع) بأىّ شىء سمّيت ابنى؟ قال: ما كنت أسبقک باسمه يا رسول الله، وقد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً!٢

وكأن الشيخ الطوسى (۴۶۰ ه-) أعرض عن هذا فى مفتتح المجلس الثالث عشر من مجالس أماليه إلى خبر آخر أخرجه عن هلال بن محمّد الحفّار عن إسماعيل بن على الخزاعى عن أبيه على بن على الخزاعى البغدادى أخى دعبل، قال: رحلنا إلى الرضا (ع) من بغداد على طريق البصرة سنة ثمان وتسعين ومئة إلى آخر سنة مئتين ثم خرجنا إلى قم٣.

---

١ والتبس الأمر على الرواة فقالوا: أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر الطيّار بن أبى طالب، وهى كانت معه يومئذ فى هجرة الحبشة، ولم تكن فى المدينة. أما أسماء الأنصارية فهى كانت ولّادة بالمدينة فولدّت الحسن(ع).

٢ عيون أخبار الرضا(ع) ٢: ٢٥.

٣ هذا والمعروف من تاريخ جلب المأمون للرضا(ع) إلى مرو سنة ٢٠١ ه-، الأمالى: ٣۶١.

وبعده بثلاثين حديثاً يقول: وبهذا الإسناد عن على بن الحسين (ع) قال: حدّثنى أسماء (كما مرّ فى خبر الصدوق) قالت: قبّلت جدّتک فاطمة بنت رسول الله (ص) بالحسن والحسين (عليهما السلام) فلمّا ولدت الحسن (ع) جاء النبىّ فقال: يا أسماء هاتى ابنى. قالت: فدفعته إليه فى خرقة صفراء، فرمى بها وقال: لا تلفّوا المولود فى خرقة صفراء، ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم أذّن فى أُذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى، وقال لعلى (ع) بم سمّيت ابنک هذا؟ قال: ما كنت لأسبقک باسمه يا رسول الله! (وليس فيها هنا ما مرّ فى خبر الصدوق: قد كنت احبّ أن اسمّيه حرباً! ممّا هو مستبعد جداً) قالت: فقال (ص): وأنا ما كنت لأسبق ربّى عزّوجلّ.

قالت: فهبط جبرئيل وقال: إن الله عز وجل يقرأ عليک السلام ويقول لک: يا محمّد؛ على منک بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبىّ بعدک، فسمّ ابنک باسم ابن هارون.

قال النبى: يا جبرئيل، وما اسم ابن هارون؟ قال: شبّر، قال: وما شبّر؟ قال: الحسن. فسمّاه الحسن۴.

ولكن الشيخ الصدوق فى «أماليه» أسند عن زيد بن على عن أبيه على بن الحسين (عليهما السلام)- بلا إسناد عن أسماء- قال: لما ولدت فاطمة الحسن قالت لعلى (ع) سمّه. قال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله فأُخرج إليه فى خرقة صفراء فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم قال لعلى (ع): هل سمّيته؟

قال: ما كنت لأسبقک باسمه، فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربّى عز وجل.

فأوحى الله تبارک وتعالى إلى جبرائيل: إنّه وقد ولد لمحمّد ابن فاهبط فاقرأه السلام وهنّه وقل له: إنّ علياً منک بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون.

ص: ۱۳

فهبط جبرائيل فهنّاه من الله عز وجل ثم قال: إن الله تبارک وتعالى يأمرک أن تسمّيه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر. قال: لسان عربى. قال: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن۵ وكان ذلک ليلة النصف من شهر رمضان المبارک. برواية المفيد عن الصادق (ع)۶.

---

[۴] عيون أخبار الرضا(ع) ۲: ۲۵.

[۵] أمالى الصدوق: ۱۹۷ ح ۲۰۹ م ۲۸.

[۶] الإرشاد ۲: ۵.

فلمّا كان يوم سابعه عقّ النبىّ عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً ودیناراً، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضة) وطلّى رأسه بالخلوق (الطيب) ثم قال لأسماء: يا أسماء؛ الدم فعل الجاهلية[7].

الحسن (ع) فى آية التطهير:

روى الحسن بن الحكم الكوفى عن شهر بن حَوشب قال: سألت امّ سلمة عن آية التطهير: (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[8] فقالت: كنت أنا ورسول الله (ص) على منامة لنا تحتنا كساء خيبرى (من غنائم خيبر فى السابعة للهجرة) وكانت ليلة قارّة (باردة) فقالت الخادمة (؟): هذا على وفاطمة ومعها الحسن والحسين (عليهم السلام) بالسُدّة. فقال لى (رسول الله): تنحّى عن أهل بيتى، فقمت وجلست ناحية، وأذِن لهم، فدخلوا، فقبّل فاطمة واعتنقها، وقبّل عليّاً واعتنقه، وضمّ الحسن والحسين وهما صبيّان صغيران. وكان مع فاطمة طبق تحمله وعليه بُرمة (قدر) من فخار فيه حريرة أو عصيدة، فوضعته بين يديه فأكلوا.

وأخذ رسول الله الكساء الخيبرى الفدكى وهى خميصة له سوداء (من خزّ أو صوف) فأخذه من تحتنا فعطفه ولفّه عليهم جميعاً، ثم أخذ بشماله طرفى

الكساء وألوى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهمّ هؤلاء «أهل بيتى» فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرّات ثم قال: كما أذهبت عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وطهّرهم من الرجس كما طهّرت آل لوط وآل عمران وآل هارون، اللهمّ إن هؤلاء «آل محمّد» فاجعل صلواتک وبركاتک على «آل محمّد» كما جعلتها على إبراهيم إنّک حميد مجيد.

وكنت أنا عند عتبة الباب فقلت: يا رسول الله وأنا منهم؟ أو: معهم؟ أو: هل أنا من أهل بيت؟ أو: ألست من أهل البيت؟ أو: ألست من أهلک يا رسول الله؟ يا رسول الله ألست من أهلک؟ ورفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدى وقال: لا، إنّک زوج النبىّ وأنت على خير، وهؤلاء أهل بيتى، وما قال إنّک من أهل البيت، فلو كان قال نعم كان أحبّ إلىّ ممّا تطلع عليه الشمس. ونزلت الآية: (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) فى النبىّ وعلى وفاطمة والحسن والحسين[9].

---

[7] وبدّله(عليهما السلام) بطيب الخلوق.

[8] انظر المصادر فى موسوعة التاريخ الإسلامى ٣: ١٢٩– ١٣١.

[9] انظر المصادر فى موسوعة التاريخ الإسلامى ٣: ١٢٩– ١٣١.

الحسن (ع) فی المباهلة:

بعد عام الوفود فی التاسعة للهجرة کتب رسول الله (ص) إلی رؤساء القبائل التی لم تفد إلیه بإسلامها یدعوهم إلی الإسلام.

ولمّا قدم رسول الله (ص) من أرض الروم (الشام/ غزوة تبوک) إلی المدینة لقیه رسول من أسلم من الیمن، فکتب إلیهم: وقع بنا رسولکم مقدمنا من أرض الروم فلقینا بالمدینة فبلّغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما کان قبلکم ونبّأنا بإسلامکم وأن الله قد هداکم.

ص: ۱۵

وکتب إلی همدان ... فإنّه بلغنی إسلامکم مرجعنا من أرض الروم فأبشروا فإن الله قد هداکم بهداه.

وکتب إلی نجران: بسم الله، من محمّد رسول الله إلی أسقفة نجران، بسم الله، فإنّی أحمد إلیکم إله إبراهیم وإسماعیل وإسحاق ویعقوب، أما بعد ذلکم؛ فإنّی أدعوکم إلی عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوکم إلی ولایة الله من ولایة العباد، فإن أبیتم فالجزیة، وإن أبیتم آذنتکم بحرب، والسلام.

فقدم علیه أهل نجران برئیسهم الأسقُف أبوحارثة، ومعه السیّد والعاقب وعبدالمسیح والأیهم وقیس وکوز، دخلوا علی رسول الله بهیئة لم یدخل بها أحد أظهروا الدیباج والصلبان، وأراد المسلمون أن یمنعوهم فقال رسول الله: دعوهم.

فقال أبو حارثة: یا محمّد! ما تقول فی المسیح؟ قال: هو عبدالله ورسوله. فقال: تعالی الله عمّا قلت یا أبا القاسم.

ونزل فیهم: (إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ) إلی قوله: (فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ)[۱۰]. فرضوا بالمباهلة وتواعدوا غداً صباحاً.

فلمّا أصبحوا غدا رسول الله آخذاً بید الحسن والحسین تتبعه فاطمة، وبین یدیه علی بن أبی طالب. وغدا السیّد والعاقب ومعهما ابنان لهما علیهما الحُلّی والدرر وقد صفّوا بأبی حارثة.

ص: ۱۶

[۱۰] آل عمران: ۵۹- ۶۳.

فقال أبو حارثة: مَن هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه بين يديه وهذان ابناه وتلک ابنته. ثم جثا رسول الله على ركبتيه. فقال أبو حارثة: جثا والله كما يجثو النبيّون للمباهلة. فقال له السيّد: يا أبا حارثة ادن للمباهلة. فقال: إنّى أرى رجلًا جريئاً على المباهلة، وإنّى أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يُحلِ الحول وفى الدنيا نصرانى يَطعم الطعام.

ثم قال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلک؛ ولكنّا نعطيک الجزية. فصالحهم رسول الله على ألفى حلّة من حُلل الأواقى، قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً، ألف فى صفر، وألف فى رجب. وكتب لهم رسول الله بذلک كتاباً كتبه على بن أبى طالب وشهد فيه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

فلما عادوا إلى اليمن رجع الأيهم مسلماً[11].

إنزل عن منبر أبى:

روى البلاذرى عن عروة بن الزبير قال: كان أبو بكر يوماً يخطب على منبر رسول الله (ص) فى المسجد النبوى الشريف، فجاء الحسن (ع) فرآه فقال له: انزل عن منبر أبى![12].

ورواه الحلبى عن السمعانى عن اسامة بن زيد قال: جاء الحسن بن على (ع) إلى أبى بكر يوماً وهو على منبر رسول الله (ص) فقال له: انزل عن مجلس أبى! قال: صدقت، إنّه مجلس أبيک[13].

ص: ١٧

وروى الصدوق عن الصادق (ع) قال: أصبح أبوبكر وعمر وقصدا عيادة فاطمة، فلقيا قرشياً قالا له: من أين؟ قال: عزّيت عليّاً بفاطمة! قالا: وقد ماتت؟ قال: نعم ودُفنت جوف الليل! فأقبلا إلى على (ع) فلقياه فقالا له: وكما علّمت ابنک أن يصيح بأبى بكر: إنزل عن منبر أبى، فأخذ على (ع) بيدهما وردّهما إلى المسجد وقال لهما أتصدّقانى إن حلفت لكما؟ قالا: نعم، فحلف وقال: أمّا الحسن ابنى فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أن الحسن كان يتخطّى الصفوف يسعى إلى النبى .. والنبى يخطب (على المنبر، فيُركبه على رقبته ويدلى رجليه على صدره حتى يُرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد، فلا يزال

---

[11] تاريخ اليعقوبى ٢: ٨٠- ٨٣. وانظر موسوعة التاريخ الإسلامى ٣: ٥٤٣- ٥٥٦.

[12] أنساب الأشراف ٣: ٢٦ ح ٤١.

[13] مناقب آل أبى طالب ۴: ۴۵ عن فضائل الصحابة للسمعانى وتاريخ بغداد ١: ١٤١.

على رقبته حتى يفرغ النبيّ من خطبته والحسن على رقبته، فلمّا رأى الصبيّ على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلک، والله ما أمرته بذلک وما فعله عن أمرى)١۴.

وبمقدار هذه الأخبار التاريخية عمّا يتعلّق بالإمام الحسن (ع) فى ميلاده وتسميته وإجراء السنن عليه، وحضوره فى حديث الكساء الصحيح عن امّ سلمة ونزول آية التطهير وشمولها له، وإحضار الرسول له فى مباهلته مع نصارى نجران اليمن، ثم خبر اعتراضه على أبى بكر، نكتفى، لننتقل إلى ما يرتبط بعهد إمامته سياسياً واجتماعياً، ونبدأ بأوّل خطبة له بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين (عليهما السلام).

خطبة الحسن (ع) فى وفاة أبيه:

روى ابن أبى الدنيا عن الشعبى: أن صلاة الفجر يوم وفاة الإمام (ع) صلّاها الحسن (ع)١۵ ورقى المنبر بعد الصلاة فى ثياب سود١۶ فقام وقال:

ص: ١٨

الحمد لله حمداً كثيراً على ما أحببنا وكرهنا، إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، وإنى أحتسب عند الله مصابى بأفضل الآباء بعد رسول الله (ص)، ثمّ اعلمنّ- يا معشر من حضر-: أنّه قد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يخلّف بعده مثله، وهو على حبيب رسول الله وأخوه (ص)، فنحتسب عند الله ما دخل علينا «أهل البيت» خاصّة، وما دخل على جميع أُمّة محمّد عامّة، فوالله لا أقول اليوم إلا حقّاً: لقد دخلت مصيبته على جميع العباد والبلاد، والشجر والدوابّ! فنسأل الله البرّ الرحيم أن يرحم وجهه، وأن يعذّب قاتله، وأن يحسن علينا الخلافة من بعده١٧.

أما والله لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن، ورُفع فيها عيسى بن مريم، وفيها قُتل يوشع بن نون فتى موسى (ع)١٨.

---

[١۴] علل الشرائع ١: ٢٢٢- ٢٢٣، بتصرّف يسير، ممّا يدل أن ذلک كان قبل رحيل فاطمة(س).

[١۵] مقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ٩٣، الحديث ٨٧.

[١۶] المصدر السابق: ٩۵، الحديث ٨٩ عن عاصم بن أبى النجود الكوفى الاصفهانى، القارئ المعروف. وفى عمامة سوداء، بلا ذكر الثياب عن مسند أحمد ١: ١٩٩، وكشف الأستار للبزّار: ٢۵٠ فى حاشية مقتل الإمام: ٩۴، الحديث ٨٨، وخصائص النسائى: ۶.

[١٧] مقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ٩٣- ٩۴، الحديث ٨٧ عن الشعبى.

[١٨] المصدر السابق: ٩۴- ٩۵، الحديث ٨٨.

لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون (ولقد) كان رسول الله (ص) ليدفع الرايۀ إليه فيمضى وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يبرح حتّى يفتح الله عزّ وجل عليه، وما ترک صفراء ولا بيضاء غير سبعمئۀ درهم كان أرصدها فى خادم١٩ يشتريه لأهله٢٠ ثمّ خنقته العبرۀ فبكى، وبكى معه الناس.

ثمّ قال: أيّها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد (ص)، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله عزّ وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من «أهل البيت» الذين أذهب الله عنهم الرجس

ص: ١٩

وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودّتهم فى كتابه إذ يقول: (وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً)٢١ فاقتراف الحسنۀ: مودّتنا «أهل البيت»٢٢ ثمّ جلس.

وزاد أبو مخنف بسنده: أن عبد الله بن العباس كان حاضراً فقام بين يدى الحسن (ع)٢٣ والتفت إلى الناس وناداهم: معاشر الناس، هذا ابن بنت نبيّكم، و (وصىّ) إمامكم فبايعوه.

فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا، وتبادروا إلى البيعۀ له بالخلافۀ٢٤.

وخطبتاه قبل البيعۀ له وبعدها:

وروى الصدوق، عن ابن عقدۀ، عن عُوانۀ بن الحكم بسنده قال: لما قام الناس ليبايعوا الحسن (ع) قام فخطبهم فقال: «الحمد لله على ما قضى من أمر، وخصّ من فضل وعمّ من أمر، وجلّل من عافيۀ، حمداً يتمّ به علينا نعمه، ونستوجب به

---

[١٩] مقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ٩٥- ٩٦، الحديث ٩٠.

[٢٠] المصدر السابق: ٩٢- ٩٣، الحديث ٨٦. ونقلها(اليعقوبى) فى تاريخه ٢: ٢١٣، وبعضها ابن قتيبۀ فى الإمامۀ والسياسۀ ١: ١٦٢، والمسعودى فى مروج الذهب ٢: ٤١٤ وقال: وكان كما قال الحسن(ع). والخادم أعم من الذكر والأُنثى.

[٢١] الشورى: ٢٣.

[٢٢] المستدرک للحسكانى ٣: ١٧٢ عن الإمام السجاد(ع)، وقبله فى الذريۀ الطاهرۀ: ١١٠ عن زيد بن الحسن، وفى تفسير فرات: ١٩٧ و ١٩٨، وفى أمالى الطوسى: ٢٦٩، الحديث ٣٩ م ١٠.

[٢٣] مقاتل الطالبيين: ٣٢- ٣٣ بخمسۀ طرق ومنها عن بنى الحسن(ع).

[٢٤] الإرشاد ٢: ٨. واختلفت روايۀ البلاذرى عنه قال: خرج عبيدالله بن العباس للناس فقال لهم: توفّى أمير المؤمنين برّاً تقياً وعدلا مرضياً أحيا سنۀ ابن عمه ونبيّه وقضى بالحقّ فى أُمّته، وقد ترک خلفاً رضياً مباركاً حليماً، فإن كرهتم فليس أحد على أحد! وإن أحببتم خرج إليكم(؟) فتبايعوه. فقالوا: يخرج عزيزاً مطاعاً! فخرج الحسن وخطبهم فبايعوه! كما فى أنساب الأشراف ٣: ٣١ تحقيق المحمودى.

ونرى هذا موضوعاً على مذهب الإمامۀ بالاختيار، فى مقابل الخبر السابق عنه بالوصايۀ.

رضوانه. إن الدنيا دار بلاء وفتنة، وكل ما فيها إلى زوال، وقد نبّأنا الله عنها كيما نعتبر، فقدّم إلينا الوعيد كى لا تكون لنا حجة بعد الإنذار، فازهدوا فيما يفنى وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله فى السرّ والعلانية.

ص: ٢٠

إنّ عليّاً (ع) فى المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل.

وإنى أُبايعكم على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت» فبايعوه على ذلک٢٥.

وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصارى قام إليه وقال له: ابسط يدک ابايعک على كتاب الله وسنة نبيّه وقتال المحلّين! فقال الحسن (ع): على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإن ذلک يأتى على كلّ شرط. فسكت قيس وبايعه٢٦.

وبعد بيعة الناس له خطبهم فقال: نحن حزب الله الغالبون وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقَلين الذين خلَّفهما رسول الله فى امّته، التالى كتاب الله ... فالمعوّل علينا فى تفسيره، لا نتظنّى تأويله بل نتيقّن حقائقه، فاطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجل: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ)٢٧ وقال: (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)٢٨.

وأُحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا أولياءه الذين قال لهم: (لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّى جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ)

ص: ٢١

---

[٢٥] التوحيد: ٣٨٧.

[٢٦] تاريخ الطبرى ۵: ١٥٨ مرسلا. وأسند البلاذرى عن عوانة بن الحكم والكلبى عن أبى مخنف بسنده قال: قام قيس فخطب فوصف فضل على وسابقته وقرابته، والذى كان عليه فى هديه وعدله وزهده. ثمّ قرض الحسن ووصف حاله ومكانه من رسول الله، والذى هو أهله فى هديه وحلمه واستحقاقه الأمر بعد أبيه، ورغّبهم فى بيعته ودعاهم إلى طاعته، ثمّ كان أول من بايعه.

[٢٧] النساء: ٥٩.

[٢٨] النساء: ٨٣.

(نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرى ما لا تَرَوْنَ)۲۹ فتُلقون للرماح وزراً وللسيوف جُزراً، وللغُمد حطماً وللسهام غرضاً (لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمانِها خَيْراً)۳۰ ثمّ سكت ونزل۳۱ ثمّ زاد أُجورهم مئة مئة۳۲.

ثمّ أقدم على ابن ملجم:

روى ابن أبى الدنيا: أن ابن ملجم جُعل عند عبد الله بن جعفر۳۳ وعن الباقر (ع) قال: أمر الحسن (ع) بابن ملجم فأتى به، فضربه ضربة فأندر أصابعه، فثنّاها فقتله۳۴ ثمّ ادرج فى بورياء فأحرق۳۵ فرأوه مسودّ الوجه۳۶.

وروى أبو الفرج، عن أبى مخنف: أنّ امرأة من النخع من همْدان تدعى ام الهيثم بنت الأسود استوهبت جيفته بعد ضرب عنقه، فوهبها لها، فأحرقت جثته بالنار۳۷ وسوّدت وجهه.

ص: ۲۲

وقال البلاذرى: لما اخرج ابن ملجم للقتل اجتمع الناس وجاؤوا معهم ببوارى ونِفط ونار وجعلوه فى البوارى أو فى قوصرة كبيرة للتمر من سعف النخيل فأحرقوه۳۸.

نعى الإمام إلى المدينة والشام:

وذهب بنعى الإمام (ع) إلى الحجاز ابن أخى سعد بن أبى وقاص: سفيان بن عبد شمس الزهرى، فلما بلغ نعيه عائشة تمثّلت:

---

[۲۹] الأنفال: ۴۸.

[۳۰] الأنعام: ۱۵۸.

[۳۱] أمالى المفيد: ۳۴۸، الحديث ۴ م ۴۱، وعنه فى أمالى الطوسى، الحديث ۱۸۸ و ۱۴۶۹.

[۳۲] مقاتل الطالبيين: ۳۲، ولم يكن قبله وإنما تبعه من بعده.

[۳۳] مقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ۸۳، الحديث ۷۴.

[۳۴] المصدر السابق: ۹۰، الحديث ۸۳ ولها تتمّة غير تامّة تشعر بشعور الحسن بالذنب من الضربتين. ومثل صدره فى اليعقوبى ۲: ۲۱۴.

[۳۵] مقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ۸۶، الحديث ۷۷.

[۳۶] المصدر السابق: ۸۸، الحديث ۷۸.

[۳۷] مقاتل الطالبيين: ۲۶، ويبدو عنه فى الإرشاد ۱: ۲۲.

[۳۸] أنساب الأشراف ۲: ۴۰۵، الحديث ۵۸۹، وهى أول بادرة لذكر النفط فى الكوفة، ولعلّ عنه فى مروج الذهب ۲: ۴۱۵: ثمّ أخذه الناس وأدرجوه فى بوارى وطلّوها بالنفط وأشعلوها بالنار. وراجع تحقيق المحقّق المحمودى فى تحريق ابن ملجم والتمثيل به وعدمه فى حواشيه على هذا الخبر فى أنساب الأشراف، ومقتل الإمام لابن أبى الدنيا: ۸۴– ۸۸.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافرُ

ثمّ سألت عن قاتله فقيل لها: رجل من مراد، فقالت:

فإن يک نائياً فلقد نعاه غلام ليس فی فيه التراب

وكانت زينب بنت أُم سلمة حاضرة فقالت لها: أَلِعلیّ تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكّرونی. ثمّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا باسم الصّديق وكثرة الألقاب

حتّی تُركت، كأنّ قولک فيهم فی كل مجتمع طنين ذباب[۳۹]

ص: ۲۳

وأمّا نعيه (ع) فی الشام فقد بلغ نعيه معاوية وهو متّكئ فی مجلسه ولعلّه لما به من علاج إليته، فاستوی جالساً والتفت إلی مغنيّته وقال لها: يا جارية غنّينی فاليوم قرّت عينی[۴۰].

ولعلّ هذا أثار أبا الأسود الدؤلی البصری فقال معرّضاً به:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا

قتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا

[۳۹] ذكر بعضه أو كله فی الطبقات الكبری ۳: ۴۰، والموفّقيات: ۱۳۱ مسنداً وأنساب الأشراف ۲: ۴۰۷، ذيل الحديث ۵۹۹ وتاريخ الطبری ۵: ۱۵۰، ومقاتل الطالبيين: ۲۶.

[۴۰] تشييد المطاعن ۲: ۴۰۹، وقد مرّ عن اليعقوبی أن قتله(ع) كان فی كانون الثانی أی فی الشتاء، وخلافاً لذلک نقل ابن أبی الدنيا: أن معاوية جاءه نعی الإمام وهو مع امرأته فی نوم قيلولة فی ضحی يوم صائف! فاسترجع وقال: ماذا فقدوا من الخير والعلم والفضل والفقه! وما فقدوا من سوابقه وعلمه وفضله ۱: ۱۰۵، الحديث ۹۴.

ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثانى والمئينا
وقد علمت قريش أين حلّت	بأنّک خيرها حسباً ودينا[41]
أفى شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طرّاً أجمعينا
إذا استقبلت وجه أبى حسين	رأيت البدر راع الناظرينا[42]

ودعا معاوية الناس إلى بيعته فبايعوه لخمس خلون من شوال سنة أربعين[43].

ص: ۲۴

بيعة الحسن (ع) بالحرمين:

مرّ فى الأخبار السابقة: أنّ الإمام (ع) كان قد سرّح معقل بن قيس الرياحى التميمى فى حشر الناس من السواد إلى الكوفة ليتجهّزوا لغزو الشام، وأُصيب الإمام (ع) فعاد إليها.

وكان قد أرسل جارية بن قُدامة السعدى التميمى لتعقيب بُسر بن أبى أرطاة العامرى، ووصل جارية إلى جُرش فى اليمن فخرج بُسر منها إلى مكة، فأقبل جارية حتّى دخل مكة وخرج بُسر منها إلى اليمامة، ويظهر أن وصول جارية إلى مكة كان بعد شهر رمضان ولعلّه فى أوائل شهر شوال، وغريب أن كان قد بلغهم مقتل الإمام على (ع) ولم يبلغهم بيعة الناس بعده.

فقام جارية على منبر مكة وقال لهم: يا أهل مكة! مع مَن أنتم؟ قالوا: كانت بيعتنا لكم ورأينا معكم، فجاء هؤلاء القوم ودخلوا علينا فلم نقم لهم وقهرونا على البيعة لهم وبيعتكم قبلهم.

فقال لهم: إنّما مثلكم مثل الذين (وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ)۴۴ قوموا فبايعوا. قالوا: أليس قد هلک أمير المؤمنين رحمة الله عليه فلمن نبايع رحمک الله! ولا ندرى ما صنع الناس بعده. قال: وما عسى أن يصنعوا إلّا أن يبايعوا الحسن بن على، قوموا فبايعوا. فبايعوه للحسن (ع).

---

[41] أنساب الأشراف ۲: ۴۰۹، الحديث ۵۹۲.

[42] تاريخ الطبرى ۵: ۱۵۰– ۱۵۱، وفى ديوانه: ۳۲.

[43] الإمامة والسياسة ۲: ۱۶۲.

فخرج منها إلى المدينة، وكان أهل المدينة بعد خروج أبى أيوب الأنصارى منها قد اصطلحوا على أبى هريرة الدوسى للصلاة بهم، ولكنه لما بلغه توجّه جارية إلى المدينة توارى خوفاً منه! ودخل جارية ولعلّه بلغته شماتة عائشة بقتل

ص: ٢٥

الإمام (ع) فصعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه، وذكر رسول الله فصلّى عليه ثمّ قال لهم:

أيّها الناس، إنّ علياً (رحمه الله)- يوم ولد ويوم توفّاه الله ويوم يبعث حياً- كان عبداً من عباد الله الصالحين، عاش بقدر ومات بأجل، فلا يهنأ الشامتين هلاک سيد المسلمين وأفضل المهاجرين، وابن عمّ النبى (ص). أما والذى لا إله إلّا هو لو أعلم الشامت منكم لتقرّبت إلى الله عزّ وجل بسفک دمه وتعجيله إلى النار! ثمّ قال لهم: قوموا فبايعوا للحسن بن على. ثمّ أقام يومه ذلک يبايعه الناس. ثمّ غدا منها منصرفاً إلى الكوفة، وإذ لم يعيّن لهم أحداً عاد أبو هريرة يصلّى بهم!

وأخذ بُسر من اليمامة طريق السماوة ومنها إلى الشام وقد قَتل فى غارته هذه ثلاثين ألفاً[٤٥].

وأقبل جارية إلى الكوفة حتّى دخل على الحسن (ع) فعزّاه بأبيه وبايعه ثمّ قال له: يرحمک الله سر بنا إلى عدوّک قبل أن يسار إليک! فقال له: لو كان الناس كلّهم مثلک سرت بهم[٤٦].

ص: ٢٦

عهد الإمام الحسن (ع)

قال المفيد: تبادروا إلى بيعة الحسن (ع) بالخلافة، يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، فأنفذ عبدَ الله بن العبّاس إلى البصرة، ورتّب العمّال فى الأُمراء ونظر فى الأُمور[٤٧].

---

[٤٤] البقرة: ١٤..

[٤٥] الغارات ٢: ٦٣٨- ٦٤٠.

[٤٦] الغارات ٢: ٦٤٣.

[٤٧] الإرشاد ٢: ٩.

البيعة له (ع) بالبصرة: كان عبدالله بن العبّاس قد استخلف عنه بالبصرة أبا الأسود الدؤلى، فبلغه نعى على وبيعة الحسن (عليهما السلام) فصعد المنبر وخطب وقال: إنّ رجلًا من أعداء الله المارقين عن الدين اغتال أمير المؤمنين فى مسجده وهو خارج إليه تهجّده (كذا) فقتله فى ليلة يُرجى فيها مصادفة ليلة القدر، فيا لله من قتيل؛ وأكرم به وبروح منه عرجتٍ إلى الله بالبرّ والتقوى والإيمان، والهدى والإحسان، ولقد انطفأ به نور الله فى أرضه لا يضىء بعده (كذا) وهدم ركناً من أركان الإيمان لا يُشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون! وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، ورحمه الله يوم ولد ويوم قُتل ويوم يبعث حيّاً! ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه.

ثم قال: وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله وسليله، وشبيهه فى خلقه وهديه. وإنى لأرجو أن يجبر الله به ما وَهى، ويسدّ به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويُطفئ به نيران الفتنة، فبايعون ترشدوا:

فبايع له جميع شيعته بالبصرة، وهرب قوم فلحقوا بمعاوية[48] فلما عاد ابن عبّاس إلى البصرة كانت قد بايعت للحسن (ع).

ص: ٢٧

وروى البلاذرى بثلاثة طرق منها عن الكلبى، عن أبى مخنف بإسناده قال: ثمّ مكث أكثر من خمسين ليلة- أى إلى نحو النصف من ذى القعدة- قاعداً عن تعقيب المسير إلى الشام.

فكتب إليه ابن عباس من البصرة كتاباً يعلمه فيه:

«أما بعد، فإن المسلمين ولّوك أُمورهم بعد على (ع) فشمّر للحرب وجاهد عدوّك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينك، وولّ أهل البيوتات والشرف تستصلح به عشائرهم حتّى تكون الجماعة، فإنّ بعض ما يكره الناس (من ذلك ولكن) كانت عواقبه تؤدّى إلى ظهور العدل وعزّ الدين، خير من كثير مما يحبّه الناس (من التسوية) إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدين[49] وذل المؤمنين وعزّ الفاجرين. واقتد (فى ذلك) بما جاء عن أئمة العدل: فقد جاء عنهم: أنه لا يصلح الكذب إلّا فى إصلاح بين الناس أو حرب، فإن الحرب خدعة، فلك فى ذلك سعة إذ كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً ولم تتعدّ الحق.

واعلم أنّ عليّاً أباك إنّما رغب الناس عنه إلى معاوية لأنّه آسى[50] بينهم فى الفىء وسوّى بينهم فى العطاء فثقل عليهم.

---

[48] تيسير المطالب لأبى طالب الهارونى م ٤٢٤ ه-: ١٤٦.

[49] إلى هنا فى عيون الأخبار للدينورى ١: ١٤ مرسلًا.

[50] الفتوح لابن الأعثم ٤: ١٤٨، ومناقب الحلبى ٤: ٣٦ عن أبى مخنف. وفى شرح النهج للمعتزلى ١٦: ٢٣: أساء! تصحيف أو تحريف.

واعلم أنک تحارب من حارب الله ورسوله فی ابتداء الإسلام، حتّی ظهر أمر الله، فلما وُحّد الربّ ومحق الشرک وعزّ الدین أظهروا الإیمان وقرؤوا القرآن مستهزئین بآیاته! وقاموا إلی الصلاة وهم کسالی! وأدوا الفرائض وهم لها کارهون! فلما رأوا أنه لا یعزّ فی الدین إلّا الأتقیاء الأبرار توسّموا بسیماء

ص: ۲۸

الصالحین لیظنّ المسلمون بهم خیراً! فما زالوا بذلک حتّی أشرکوهم فی أمانتهم وقالوا: حسابهم علی الله! فإن کانوا صادقین فاخواننا فی الدین، وإن کانوا کاذبین کانوا بما اقترفوا هم الأخسرین! وقد مُنیتَ باولئک وبأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلّا غیّاً، ولا زادهم ذلک لأهل الدین إلّا مقتاً! فجاهِدهم ولا ترض دنیة ولا تقبل خسفاً! فإنّ علیاً (ع) لم یجب إلی الحکومة حتّی غُلب علی أمره فأجاب وإنّهم (کانوا) یعلمون أنه أولی بالأمر إن حکموا بالعدل، فلما حُکم بالهوی رجع إلی ما کان علیه، حتی أتی علیه أجله.

فلا تخرجنّ من حقّ أنت أولی به حتّی یحول الموت دون ذلک! والسلام»۵۱.

فکتب الحسن (ع) إلی معاویة یعلمه أنّ الناس قد بایعوه بعد أبیه، ویدعوه إلی طاعته.

کتابه إلی معاویة:

«من عبد الله الحسن أمیر المؤمنین إلی معاویة بن أبی سفیان، سلام علیک، فإنی أحمد الله الذی لا إله إلّا هو. أما بعد، فإن الله عزّ وجل بعث محمداً (ص) رحمة للعالمین، ومنّة علی المؤمنین، وکافّة إلی الناس أجمعین (لِیُنْذِرَ مَنْ کانَ حَیًّا وَ یَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَی الْکافِرِینَ)۵۲.

ص: ۲۹

فبلّغ رسالات الله وقام علی أمر الله حتی توفاه الله غیر مقصّر ولا وان، حتی أظهر الله به الحقّ ومحق به الشرک، ونصر به المؤمنین، وأعزّ به العرب، وشرّف به قریشاً خاصة فقال تعالی: (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ)۵۳.

---

[۵۱] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۲۳- ۲۴ عن المدائنی، وقریب منه فی الفتوح لابن الأعثم ۴: ۱۴۸، وأشار إلیه البلاذری فی أنساب الأشراف ۳: ۳۰- ۳۳، الحدیث ۴۳ وذیل ۴۴، والحلبی فی مناقب آل أبی طالب ۴: ۳۶ عن أبی مخنف.

[۵۲] یس: ۷۰.

[۵۳] الزخرف: ۴۴.

فلما توفى تنازعت العرب سلطانه: فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد فى الناس وحقه. فرأت العرب: أن القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم فى ذلک على من نازعهم أمر محمد (ص)، فأنعمت لهم العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها: إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجّتهم وطلب النصَف منهم باعدونا، واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولىّ النصير.

وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا (ص)، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام[54] فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين: أن يجد المنافقون والأحزاب بذلک مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلک سبب لما أرادوا به من فساده.

فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبک- يا معاوية- على أمر لست من أهله لا بفضل فى الدين معروف ولا أثر فى الإسلام محمود! وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص)، ولكن الله خيّبک، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقينّ عن قليل ربّک، ثمّ ليجزينّک بما قدّمت يداک، وما الله بظلّام للعبيد.

ص: ٣٠

إن عليّاً لما مضى لسبيله- رحمة الله عليه يوم قبض ويوم يبعث حياً- ولّانى المسلمون الأمر بعده[55] فأسأل الله أن لا يزيدنا فى الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامته. وإنما حملنى على الكتاب إليک الإعذار فيما بينى وبين الله سبحانه وتعالى فى أمرک، ولک فى ذلک إن فعلت الحظّ الجسيم وللمسلمين فيه صلاح، فدع التمادى فى الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنک تعلم أنى أحقّ بهذا الأمر منک عند الله، وعند كل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب، واتّق الله ودع البغى، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لک من خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به، فادخل فى السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منک، ليطفئ الله النائرة بذلک، وتُجمع الكلمة وتصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلّا التمادى فى غيّک، نهدت إليک بالمسلمين فحاكمتک، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»

---

[54] هذا بالنسبة إلى المخاطب: معاوية، ودفعاً لتشبثاته، ويدل عليه ما سيأتى فيه.

[55] وهذا أيضاً كلام بمقتضى حال مخاطبه معاوية وإلزام له بما التزم إقناعياً، بل فى الفتوح لابن الأعثم ۴: ۱۵۱ ط ۱: وبعد، فإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب(ع) لما نزل به الموت ولّانى هذا الأمر بعده.

وبعث بالكتاب إليه مع جندب بن عبد الله الأزدى۵۶ والحارث بن سُويد التيمى، فقدما على معاوية وسلّماه الكتاب ودعواه إلى بيعة الحسن (ع) فلم يجبهما، بل كتب فى جوابه۵۷.

جواب معاوية:

«من عبد الله (معاوية) أمير المؤمنين (!) إلى الحسن بن على. سلام عليک، فإنّى أحمد إليک الله الذى لا إله إلّا هو. أما بعد، فقد بلغنى كتابک وفهمت ما

ص: ۳۱

ذكرت به رسول الله (ص) من الفضل، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كلّه قديمه وحديثه وصغيره وكبيره، فقد والله بلّغ فأدّى، ونصح وهدى، حتّى أنقذ الله به من التهلكة، وأنار به من العمى وهدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته، وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً.

وذكرت وفاة النبى (ص) وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتک صرّحت بتهمة أبى بكر الصديق وعمر الفاروق وأبى عبيدة الأمين وحوارىّ الرسول (ص)۵۸ وصلحاء المهاجرين والأنصار! فكرهت ذلک لک! فإنک امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين! ولا المسىء ولا اللئيم! وأنا أُحب لک القول السديد والذكر الجميل.

إنّ هذه الأُمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من النبى، ولا مكانتكم فى الإسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش، لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم: أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً۵۹ وأعلمها بالله! وأحبّها له! وأقواها على أمر الله! فاختاروا أبا بكر، وكان ذلک رأى ذوى الحجى والدين والفضيلة والناظرين للُامة، فأوقع ذلک فى صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتّهمين ولا فيما أتوا بمخطئين! ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناءه أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم المسلمين ذبّه؛ ما عدلوا بذلک الأمر إلى غيره رغبة عنه! ولكنّهم عملوا فى ذلک بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله! فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً!

---

[۵۶] مقاتل الطالبيين: ۳۴- ۳۶ عن أبى مخنف عن جندب الأزدى، وهو أكمل نقل.

[۵۷] شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۲۴- ۲۵ عن المدائنى.

[۵۸] هذه من البوادر الأُولى لإشهار هؤلاء الثلاثة بهذه الألقاب والتأكيد عليها.

[۵۹] وهذه من البوادر الأُولى لادّعاء سبق إسلام أبى بكر.

وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من «الصلح» فالحال بينى وبينک اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبى (ص)، ولو علمت أنک أضبط منّى

ص: ٣٢

للرعيّة، وأحوط عنى فى هذه الأُمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال! وأكيَد للعدوّ، لأجبتک إلى ما دعوتنى إليه، ورأيتک لذلک أهلا! ولكنّى قد علمتَ أنى أطول منک ولاية، وأقدم منک لهذه الأُمة تجربة! وأكثر سياسة! وأكبر منک سنّاً! فأنت أحقّ أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى! فادخل فى طاعتى! ولک الأمر من بعدى! ولک ما فى بيت مال العراق من مال بلغ ما بلغ! تحمله إلى حيث شئت! ولک خراج أىّ كور العراق شئت معونة لک على نفقتک، يجبيها لک أمينک ويحملها إليک فى كلّ سنة! ولک أن لا يُستولى عليک بالإساءة، ولا تُقضى دونک الأُمور، ولا تُعصى فى أمر أردت به طاعة الله عزّ وجل! أعاننا الله وإياک على طاعته، إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام».

فروى أبو مخنف الأزدى عن جندب الأزدى قال: لما أتيت بكتاب معاوية إلى الحسن بن على (ع) قلت له: إن الرجل سائر إليک، فابدأ أنت بالمسير إليه حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله. فقال: أفعل، وقعد[٦٠].

جاسوسا معاوية:

وفى أيام متقاربة اكتشف لمعاوية فى العراقين الكوفة والبصرة عينان بصيران جاسوسان، ودُلّ على الذى فى الكوفة وهو رجل من حمير الشام عند رجل قصّاب لبنى جرير، فأُخذ الحميرى وأمر الإمام الحسن (ع) بقتله، ثمّ كتب إلى معاوية:

«أما بعد، فإنک دسست إلىّ الرجال كأنک تحبّ اللقاء! وما أشک فى ذلک، فتوقّعه إن شاء الله، وقد بلغنى أنک شمتّ بما لا يشمت به ذووا الحجى، وإنما مثلک فى ذلک كما قال الأول:

و قل للذى يبقى خلاف الذى مضى تجهّز لأُخرى مثلها، فكأن قد

ص: ٣٣

[٦٠] مقاتل الطالبيين: ٣٦- ٣٧، وأشار إليه المفيد فى الإرشاد ٢: ١٠، وذكر بعضه المرتضى فى تنزيه الأنبياء: ١٧٠، وتلخيص الشافى ۴: ١٧۴.

وإنا ومن قد مات منّا لكالذى يروح ويغدو فى المبيت ليغتدى«

فأجابه معاوية: أما بعد، فقد وصل كتابک وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس! وإنّ على بن أبى طالب كما قال أعشى بنى قيس:

وأنت الجواد وأنت الذى إذا ما القلوب ملأن الصدورا

جدير بطعنة يوم اللقاء تضرب منها النساء النحورا

وما مُزبد من خليج البحار يعلو الأكام ويعلو الجسورا

بأجود منه بما عنده فيعطى الالوف و يعطى البدورا

ودُلّ ابن عباس فى البصرة على الذى فيها: رجل من بنى القين فى بنى سليم، فاخذ وأمر ابن عباس بقتله، ثمّ كتب إلى معاوية: «أما بعد، فإنک ودسّک أخابنى قين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذى ظفرت به من يمانيّتک، لكما قال أُميّة ابن الأسكر الجندعى الزبينى:

لعمرک إنى والخزاعىّ طارقاً كنعجة عاد حَتفها تتحفّر

أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تُنحر

شمت بقوم من صديقک أُهلكوا أصابهمُ يوم من الدهر أعسر«

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن بن على قد كتب إلىّ بنحو مما كتبت به، وأنبأنى بما لم أُجز! ظنّاً وسوء رأى! وإنک لم تصب مَثلكم ومَثلى، ولكن مَثلنا ما قاله طارق الخزاعى يجيب اميّة بن الأسكر عن هذا الشعر:

فوالله ما أدرى- وإنّى لصادق إلى أىّ من يظنّنى أتعذّر؟

أعنّفَ أن كانت زُبينةُ أُهلكت ونال بنى لحِيان شرّ فأُنفروا۶۱؟

ص: ۳۴

۶۲

وكتاب ثان:

فى جواب معاوية السابق على دعوة الإمام الحسن (ع) له إلى بيعته، قابله بدعوة الإمام إلى بيعته ووعده لذلک بوعود، وكان ينتظر جوابه، ولم يجبه الإمام، فأعاد معاوية ذلک فى كتاب آخر أقصر قال: «أما بعد، فإن الله عزّ وجل يفعل فى عباده ما يشاء (لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ)۶۳ فاحذر أن تكون منيّتک على يد رعاع من الناس! وأيأس من أن تجد فينا غميزة! وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبايعتنى وفيت لک بما وعدت، وأجزتُ لک ما شرطت! وأكون فى ذلک كما قال أعشى بن قيس:

وإن أحد أسدى إليک أمانة فأوف بها، تُدعى- إذا متّ- وافياً

ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفهُ إن كان فى المال فانيا

---

[۶۱] مقاتل الطالبيين: ۳۳- ۳۴ وفى ط صقر: ۵۳- ۵۴ وبهامشه شرح الشعرين عن الأغانى ۸: ۱۶۱. وفى الإرشاد ۲: ۹ كتاب الحسن(ع) فقط. وروى ابن طاووس عن ابن عباس قال: قال لى زياد: ان كنت تريد أن يستقيم الأمر فاقتل فلاناًوفلاناً وفلاناً: ثلاثة من أصحابه! فقلت له: أليس قد صلوا معنا الغداة؟ قال: نعم، فقلت: فما إلى ذلک من سبيل لا والله. كشف المحجّة: ۴۶.

[۶۲] يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الامام المجتبى عليه السلام، ۱جلد، المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) – قم – ايران، چاپ: ۱، ۱۴۳۵ ه.ق.

[۶۳] الرعد: ۴۱، وكأنه يزعم أن انتصاره بحكم الله القاهر جبراً.

ثمّ الخلافة لک بعدی، فأنت أولی الناس بها! والسلام».

فأجابه الحسن (ع): «أما بعد، فقد وصل إلیّ کتابک تذکر فیه ما ذکرت» واکتفی فی جوابه بکلمة واحدة: «فاتّبع الحقّ تعلم أنّی من أهله والسلام»۶۴.

ابن حرب یبدأ الحرب:

فلما وصل هذا الکتاب من الحسن (ع) إلی الشام وقرأه معاویة فهم منه أن الإمام لا یبدأه الخصام فلابدّ أن یبدأه هو، فکتب نسخة واحدة إلی عمّاله علی النواحی:

من معاویة أمیر المؤمنین إلی فلان بن فلان ومَن قبله من المسلمین، سلام علیکم، فإنّی أحمد إلیکم الله الذی لا إله إلّا هو. أما بعد، فالحمد لله الذی

ص: ۳۵

کفاکم مؤونة عدوّکم وقَتلة خلیفتکم! إنّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلیّ بن أبی طالب رجلا من عباده! فاغتاله فقتله، فترک أصحابه متفرّقین مختلفین. وقد جاءتنا کتب أشرافهم وقادتهم یلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم!

فأقبلوا إلیّ حین یأتیکم کتابی هذا بجندکم وجهدکم وحسن عُدّتکم، فقدأصبتم- بحمد الله- الثأر! وبلغتم الأمل! وأهلک الله أهل البغی والعدوان! والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

فاجتمعت العساکر إلیه. فسار قاصداً إلی العراق حتّی بلغ مَنْبِج علی الفرات۶۵.

خطبة الحسن (ع) للجهاد:

فلما وصل معاویة إلی جسر مَنْبِج جاء خبره الحسن (ع) فنادی مناذیه: الصلاة جامعة! وقال الإمام لأصحابه: إذا رضیتم جماعة الناس فأعلِمونی. وأقبل الناس یجتمعون حتّی رضوا جماعتهم فتقدّم سعید بن قیس الهمدانی للإمام بالخروج إلیهم، فخرج إلیهم حتّی صعد المنبر.

---

۶۴ مقاتل الطالبیین: ۳۸، وفی مناقب آل أبی طالب ۴: ۳۷: فإنّک تعلم من أهله.

۶۵ مقاتل الطالبیین: ۳۸، وفی تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۱۴: أن مسیره کان بعد قتل الإمام بثمانیة عشر یوماً! وفیه: أن ذلک کان بعد أربعة أشهر، وهذا هو الصحیح! ومنبج فی شرقی حلب إلی العراق بعشرة فراسخ(۵۵ کم) بناها کسری لما غلب علی الروم فی الشام، فهی معرّبة عن الفارسیة. کما فی معجم البلدان ۵: ۲۰۵.

فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم: «أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كُرهاً! ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[66] فلستم- أيّها الناس- نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون.

إنّه بلغنى أن معاوية بلغه: أنّا كنّا أزمعنا على المسير فتحرك لذلك، فاخرجوا- رحمكم الله- إلى معسكركم بالنخيلة حتى نرى وتروا وننظر وتنظرون».

ص: ٣۶

فسكتوا وما تكلم منهم أحد ولا أجابه أحدهم بحرف!

فلما رأى ذلك عدىّ بن حاتِم الطائى قام فقال: أنا ابن حاتِم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم! أين المسلمون؟! أين خطباء مضر؟ أين الخوّاضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدّعة فإن جدّ الجدّ فروّا غون كالثعالب! أما تخافون مقت الله؟! ولا عيبها وعارها!

ثمّ التفت إلى الإمام (ع) وقال له: أصاب الله بک المراشد، وجنّبک المكاره، ووفقک لما يحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقالتک، وانتهينا إلى أمرک، وسمعنا منک وأطعناک فيما قلت وما رأيت. ثمّ قال: وهذا وجهى إلى معسكرى، فمن أحبّ أن يوافينى فليواف ....

فقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، ومعقل بن قيس الرياحى، وزياد بن خصَفة التيمى، فأنّبوا الناس وحرّضوهم، وكلّموا الإمام بمثل كلام عدىّ بن حاتم بالقبول والإجابة لأمره. وقال لهم الإمام (ع): صدقتم- رحمكم الله- ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً! ثمّ نزل. وخرج عدىّ من المسجد ودابّته مع غلامه بالباب، فركبها وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلح له، ومضى إلى النخيلة، فكان هو أول من عسكر من الناس.

وبعث الإمام حُجر بن عدى إلى عمّاله ليأمرهم والناس بالتهيّؤ للمسير للشام[67] حتّى يمرّ بهم.

وكأنّ ما كان، قد أشغل الإمام عن أمر موسم الحجّ لتلک السنة، وكان المغيرة بن شعبة الثقفى قد اعتزل فى الطائف، وغلب على ظنّه غلبة معاوية

---

[66] الأنفال: ۴۶.

[67] مقاتل الطالبيين: ٣٩، ومختصره فى أنساب الأشراف للبلاذرى ٣: ٣٥، وأشار إليه المفيد فى الإرشاد ٢: ١٠، ومختصره فى تنزيه الأنبياء: ١٧٠، وتلخيص الشافى ۴: ١٧۴.

ص: ۳۷

على الأمر فأراد أن يتقرّب منه فافتعل كتاباً عنه إليه بإمارة الموسم وإقامة الحجّ، وتصدّى به له، وبلغه أن معاوية ولّى الموسم أخاه عتبة، فتعجّل المغيرة حتّى عرّف يوم التروية ونحر يوم عرفة استعجالا۶۸ وبلا مقاومة!

مسير الإمام إلى الشام ومقدّمته:

فى اليعقوبى قال: أقام الحسن (ع) بعد أبيه شهرين، وقيل: بل أربعة أشهر۶۹ يعنى إلى أواخر المحرم من سنة إحدى وأربعين. وروى أبو الفرج قال:

نشط الناس للخروج فخرجوا وعسكروا، واستخلف الحسن (ع) على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثّهم ويُخرجهم حتّى التأم عسكر عظيم وعُدّة حسنة۷۰.

ولكن الشيخ المفيد أفاد محلّلا: أن الحسن (ع) استنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه (عليهما السلام)، وبعضهم محكّمة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شُكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية: اتّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين۷۱ وكانت قلوب أكثرهم دغلة نغلة غير صافية، وقد كانوا صَبوا إلى دنيا معاوية۷۲.

وروى أبو الفرج قال: سار الحسن (ع) فى عسكر عظيم وعُدّة حسنة حتى أتى دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتّى اجتمع إليه الناس.

ص: ۳۸

ثمّ دعا بابن عمّه عبيد الله بن العباس، وقيس بن سعد الأنصارى، وسعيد بن قيس الهمدانى وقال لابن عباس عبيد الله: «يابن عمّ، إنى باعثك ومعك اثنا عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر (الكوفة) الرجل منهم يزين الكتيبة، فسر بهم،

---

[۶۸] تاريخ الطبرى ۵: ۱۶۰، هذا وقد عاد أبو هريرة إلى المدينة يصلّى بهم موالياً لمعاوية بلا مقاومة! وعليه فالحَرمان أصبحا لمعاوية بلا مقاومة!

[۶۹] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۴.

[۷۰] مقاتل الطالبيين: ۴۰، وبعضه فى أنساب الأشراف ۳: ۳۶.

[۷۱] الإرشاد ۲: ۱۰، واقتبس منه الحلبى فى مناقب آل أبى طالب ۴: ۳۷.

[۷۲] تنزيه الأنبياء: ۱۷۰، وتلخيص الشافى ۴: ۱۷۲.

والن لهم جانبک وابسط وجهک، وافرش لهم جناحک، وأدنهم من مجلسک، فإنّهم بقيّة ثقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وسِر بهم على شطّ الفرات حتّى تصير إلى مَسْكن[٧٣]، ثمّ امضِ حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتّى آتيک فإنّى فى إثرک وشيكاً، وليكن خبرک عندى كلّ يوم، وشاور هذين (يعنى قيس بن سعد وسعيد بن قيس) فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتّى يقاتلک، فإن فعل فقاتل، فإن أُصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن اصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس» ثمّ أمره بما أراد.

وسار عبيد الله ومعه قيس وسعيد واثنا عشر ألفاً حتّى انتهى إلى شينور، ثمّ خرج إلى شاهى، ثمّ لزم الفرات حتّى بلغ مسكن، فسكن[٧٤].

وذكر مختصر الخبر البلاذرى وقال هنا: فأخذ عبيد الله على قرية شاهى ثمّ لزم الفرات حتّى مرّ بالفلّوجة ثمّ جاز الفرات إلى دمما ثمّ أتى الأخنونية[٧٥] بإزاء مسكن[٧٦].

حيث أقبل معاوية من جسر منبج إلى الاخنونية فى عشرة أيام فى ستين ألفاً، وقد استخلف على الشام الضحاک بن قيس الفهرى. ونزل معاوية بإزاء عسكر الكوفة، ومعه القُصاص يقصّون عند وقت كلّ صلاة يحضّون أهل الشام. وقدّم

معاوية بُسر بن أبى أرطاة إلى أهل الكوفة فتناوشوا بلا قتال ولا جراح ثمّ تحاجزوا[٧٧].

وروى أبو الفرج قال: وافى معاوية حتّى نزل بجوار قرية الحيوضية قرب مسكن، فأقبل ابن العباس حتّى نزل بإزائه. فلما كان الغد وجّه معاوية بخيله إليه، فخرج ابن العباس إليهم بمن معه، حتّى ردّهم إلى معسكرهم[٧٨].

---

[٧٣] مَسكِن: كانت مساكن ريفية على نهر الدجيل فى شمال غربىّ بغداد بعشرة فراسخ/(٤٨ كم) تقريباً.

[٧٤] مقاتل الطالبيين: ٤٠.

[٧٥] أنساب الأشراف ٣: ٣٥- ٣٦ وهى قبيل تكريت.

[٧٦] الإرشاد ٢: ١٣.

[٧٧] تاريخ بغداد ١: ٢٠٨، وانظر أنساب الأشراف ٣: ٣٦ فى الحاشية.

[٧٨] مقاتل الطالبيين: ٤١- ٤٢.

هذا كلّ ما بأيدينا عن توجيه الجنود، وقد مرّ خبر نوف البكالى: أنّ أمير المؤمنين (ع) كان قد قدّم لمسير الشام عبيد الله بن العباس هذا بعشرة آلاف، ولقيس بن سعد بعشرة آلاف، ولأبى أيوب الأنصارى بعشرة آلاف، وللحسين (ع) بعشرة آلاف، ولم يذكروا هذه المرّة، إلّا قيس بن سعد مع ابن العباس معاوناً ومشاوراً فقط!

وسار الإمام إلى المدائن:

قال المفيد: وتحرّک الحسن (ع) وسار فمرّ بحمّام عمر ثمّ دير كعب حتّى نزل ساباط۷۹ المدائن دون القنطرة إليها على دجلة وبات هناک، وبيّت (ع) أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم فى الطاعة له، ليتميّز بذلک أولياءه من أعدائه، فيكون بذلک على بصيرة فى لقاء أهل الشام ومعاوية. فلما أصبح أمر أن ينادى فى الناس بالصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلّى بهم ثمّ خطبهم فقال:

«الحمد لله بكل ما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلّا الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحقّ وائتمنه على الوحى (ص).

ص: ۴۰

أما بعد، فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت- بحمد الله ومنّه- وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة.

ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة! ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردّوا علىَّ رأيى! غفر الله لى ولكم، وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبّة والرضا»۸۰ وسكت ونزل.

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وتساءلوا فيما بينهم: ما ترونه يريد بما قال؟ وانتهى كثير منهم إلى أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلّم الأمر إليه، ورأوا رأى الخوارج أنها كبيرة، وأن مرتكب الكبيرة كافر، فهو كافر، ولا حرمة لكافر!

وكان الإمام راجعاً إلى فسطاطه جالساً على مصلّاه إذ شدّ جمع منهم على فسطاطه فانتهبوه، وشدّ عليه منهم عبد الرحمان الأزدى فنزع مطرفه عن ظهره، وسحبوا مصلّاه من تحته وتركوه بلا رداء! ففزع إليه طوائف من خاصته و «شيعته» فقال لهم: ادعوا لى ربيعة وهمدان، فدعوهم له فأطافوا به، فدعا بفرسه أو بغلته فركبها وسار إلى مَظلم (مَظلّة/ سقيفة/ أيوان)

---

۷۹ معرّب عن الفارسية: شاه آباد: معمورة الملک.

۸۰ الإرشاد ۲: ۱۱، ولعلّه عن مقاتل الطالبيين: ۴۰- ۴۱.

ساباط، وكان قد كمن له هناک الجرّاح بن سنان الأسدی معدّاً له مِغولا (خنجراً) بيده، فلما مرّ به الإمام قام إليه وأخذ بلجام بغلته ورفع بيده مِغوله وصرخته: الله أكبر، أشركت- يا حسن- كما أشرک أبوک من قبل! ثمّ طعنه فی فخذه فشقّه حتّی بلغ العظم، فاعتنقه الحسن (ع) وخرّاً جميعاً إلی الأرض، فوثب إليه عبد الله بن خطل الطائی وانتزع المِغول من يده (وخضخض به جوفه) وأكبّ عليه ظبيان بن عمارة فقطع أنفه، ثمّ شدخ رأسه بالآجر حتّی قتل. وحُمل الحسن علی سرير إلی دار والی

ص: ۴۱

المدائن سعد بن مسعود الثقفی، فأقام الحسن عنده يعالج نفسه۸۱ وليس فيما بأيدينا تعيين تاريخ لذلک.

معاوية وابن عباس وابن سعد:

ولا تاريخ لموافقة ابن عباس لمعاوية، وإنما روی أبو الفرج قال: لما كان مساء اليوم الأول من ذلک أرسل معاوية ليلا إلی عبيد الله بن العباس (كذباً): «إن الحسن قد راسلنی فی الصلح، وهو مسلّم الأمر إلیّ! فإن دخلت فی طاعتی الآن كنت متبوعاً! وإلّا دخلت وأنت تابع! ولک إن جئتنی الآن أن أُعطيک ألف ألف (مليون) درهم! يُعجّل لک فی هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر»!

واقتنع عبيد الله بذلک فانسلّ هو وخاصّته فی الليل إلی معاوية!

وأصبح الناس فطلبوه ليخرج فيصلّی بهم فلم يجدوه! وعلی القرار السابق تقدّم قيس بن سعد الأنصاری فصلّی بهم، وعلم بما صنع عبيد الله فخطبهم فقال لهم: أيها الناس، لا يهولنّكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل الورعِ (أی الجبان) إنّ هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط! إن أباه عمّ رسول الله (ص) خرج يقاتل ببدر، فأسره أبو اليَسر كعب بن عمرو الأنصاری فأتی به رسول الله، فأخذ فداءه فقسّمه بين المسلمين۸۲ وإنّ هذا ولّاه علیّ علی اليمن فهرب من بُسر

ص: ۴۲

ابن أبی أرطاة وترک وُلده حتّی قُتلوا! وصنع الآن هذا الذی صنع! فتنادی جمع من الناس: الحمد لله الذی أخرجه من بيننا!

---

[۸۱] مقاتل الطالبيين: ۴۱، والإرشاد ۲: ۱۲. وأنساب الأشراف ۳: ۳۷- ۳۸ وزاد أن ابن أخی سعد: المختار بن أبی عبيد كان عنده فأشار علی عمّه أن يسلّم الحسن(ع) إلی معاوية بخراج سنته! فقال له عمّه: أنا عامل أبيه وقد شرفنی وائتمننی، وهبنی نسيت بلاء أبيه علیَّ أأنسی رسول الله فی حبيبه وابن بنته؟! قبّح الله رأيک. وانظر تعليق المحقّق المحمودی، وانظر علل الشرائع ۱: ۲۵۹، الباب ۱۶۰.

[۸۲] هنا جاء ذكر عبد الله بن عباس بتهمة سرقة بيت مال البصرة، ونحن لم نجد له مصداقاً فما ذكرناه.

وكتب معاوية إلى قيس بمثل ما كتب إلى عبيد الله، فكتب قيس إليه: لا والله لا تلقانى أبداً إلّا وبينى وبينک الرمح! فكتب إليه معاوية:

«أما بعد، فإنما أنت يهودى ابن يهودى (لأنه مدنى!) تُشقى نفسک وتقتلها فيما ليس لک، فإن ظهر أحبّ الفريقين إليک (الحسن (ع)، فهو يدلّ على عدم التسليم له) نبذک وعزلک (يشير إلى عزل على (ع) له عن مصر) وإن ظهر أبغضهما إليک (معاوية) نكّل بک وقتلک (يهدّده) وقد كان أبوک (سعد بن عبادة) أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحزّ وأخطأ المفصل، فخذله قومه (الخزرج) وأدركهيومه فمات بحوران طريداً غريباً! والسلام» كأنّه يعيّره به ويهدّده بمصيره ويبرّئ قاتليه!

فكتب إليه قيس بن سعد: «أما بعد، فإنما أنت وثنىّ ابن وثنىّ، من هذه الأوثان! دخلت فى الإسلام كرهاً وأقمت عليه فَرقاً (خوفاً) وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لک فيه نصيباً! لم يقدم إسلامک، ولم يحدث نفاقک (فهو قديم) فلم تزل حرباً لله ورسوله، وحزباً من أحزاب المشركين! فأنت عدوّ الله ورسوله والمؤمنين من عباده!

وذكرت أبى، ولعمرى ما أوتر إلّا قوسه ولا رمى إلّا غرضه، فشغب عليه من لا تشق غباره ولا تبلغ كعبه، وكان أمراً مرغوباً عنه مزهوداً فيه.

ص: ۴۳

وزعمت أنّى يهودى ابن يهودى! ولقد علمت وعلم الناس أنى وأبى من أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى دخلت فيه وصرت إليه، والسلام»۸۳.

غدرهم وخبرهم إلى المدائن:

قال المفيد فى «الإرشاد»: وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية فى السرّ بالطاعة، واستحثّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن (ع) إليه عند دنوّه من عسكرهم، أو الفتک به۸۴.

وروى البلاذرى قال: وجعل وجوه أهل العراق يتسلّلون إلى معاوية فيبايعونه، أولهم: خالد بن معمّر السدوسى من ربيعة عن ربيعة كلّها، ثمّ عفاق بن شُرحبيل التيمى۸۵ عن من معه من تيم الرباب.

---

[۸۳] مقاتل الطالبيين: ۴۲- ۴۳، وقبله فى أنساب الأشراف ۳: ۳۹- ۴۳ وزاد: أن الرسول إلى عبيد الله كان عبد الرحمن بن سمرة العبشمى نهاراً جهاراً وليلا سرّاً، وأن ذلک كان بعد جرح الحسن(ع).

[۸۴] الإرشاد ۲: ۱۲.

وروى ابن الأعثم قال: وجعل قبائل أهل العراق يتوجّهون إلى معاوية، قبيلة بعد قبيلة حتّى خفّ عسكر ابن سعد، فلما رأى ذلک قيس كتب إلى الحسن (ع) يخبره بما هو فيه۸۶.

قال المفيد: كان (الإمام) قد أنفذ قيس بن سعد (رضى الله عنه) مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، وجعله أميراً على الجماعة وقال له: إن اصبت فالأمير قيس بن سعد. فوصل كتاب ابن سعد هذا يخبره: أنّهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها: اخنوخية بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس

ص: ۴۴

يرغّبه فى المصير إليه، وضمن له ألف ألف (مليون) درهم، يعجّل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة! فانسلّ عبيد الله بن العباس فى خاصّته فى الليل إلى معسكر معاوية، وأصبح الناس وقد فقدوا أميرهم فصلّى هو بهم!

فازدادت بصيرة الحسن (ع) بخذلان القوم له ... ولم يبقَ معه من يأمن غوائله إلّا خاصّة من شيعته وشيعة أبيه ... وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام۸۷.

وروى ابن الأعثم قال: فلما قرأ الحسن (ع) الكتاب أرسل فدعا إليه وجوه من معه من عامة أصحابه وقال لهم: يا أهل العراق! ما أصنع بجماعتكم معى، وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرنى بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية! أما والله ما هذا بمنكر منكم، لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبى يوم صفّين على تحكيم الحكَمين، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم عليه، ثمّ دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم عنه حتّى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه.

ثمّ إنكم بايعتمونى طائعين غير مكرهين، فأخذت ببيعتكم وخرجت فى وجهى هذا والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلىّ ما كان! فحسبى منكم لا تغرّونى۸۸ فى دينى ونفسى۸۹ ثمّ لم يذكر أىّ ردّ ممّن حضر. هذا وحال الحسن (ع) ليس بحسن بل هو جريح طريح.

رسل السلام ومشورة الإمام:

---

[۸۵] أنساب الأشراف ۳: ۴۱.

[۸۶] الفتوح ۴: ۱۵۷.

[۸۷] الإرشاد ۲: ۱۳.

[۸۸] الفتوح ۴: ۱۵۷.

[۸۹] أنساب الأشراف ۳: ۴۲ مختصراً.

وكأنّه اكتفى عن مشورة هولاء الخاصة بالمشورة العامّة:

ص: ۴۵

قال البلاذرى: كان رسول معاوية لاستجلاب عبيد الله: عبد الرحمان بن سمرة العبشمى، فردّه نهاراً جهاراً وقبله وخلا به ليلا سرّاً وصار معه إليه۹۰ وكأنّه لنجاحه فى مهمّته وجّه به بعده إلى الحسن (ع) ومعه آخر من عبد شمس هو عبد الله بن عامر ابن خالة عثمان ووالى البصرة سابقاً. فقالا له: إن معاوية قد لجّ، فننشدک الله أن تلجّ أنت فيهلک الناس بينكما، وهو يعطيک كذا وكذا ويوليک الأمر بعده۹۱.

وقال المفيد: وأنفذ إليه بكتب بعض أصحابه التى ضمنوا له فيها الفتک به أو تسليمه إليه! واشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً، كان فى الوفاء بها مصالح شاملة! وعلم الحسن (ع) احتياله بذلک واغتياله، غير أنه لم يجد بدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترک الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه: من ضعف البصائر فى حقّه، والخلاف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه من استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمّه له ومصيره إلى عدوّه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الآجلة۹۲.

فدعا ابن عمّه عبد الله بن جعفر فقال له: إنى رأيت رأياً، وإنى احبّ أن تتابعنى عليه. قال: وما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة واخلّى بين معاوية وبين هذا الحديث (الخلافة) فقد طالت الفتنة وسُفكت فيها الدماء، وقُطعت فيها الأرحام وقُطّعت السبل، وعُطّلت فروج (البلاد)!

فقال له ابن جعفر: جزاک الله عن أُمة محمّد خيراً، فأنا معک على هذا الحديث.

ص: ۴۶

فقال له الحسن (ع): فادع لى الحسين. فبعث ابن جعفر إلى الحسين فأتى أخاه الحسن فقال له:

أى أخى، إنى قد رأيت رأياً، وإنى احبّ أن تتابعنى عليه، قال: وما هو؟ فأخبره به۹۳.

فقال الحسين (ع): يا أخى أُعيذک بالله من هذا! فأبى الحسن (ع)۹۴.

---

[۹۰] أنساب الأشراف ۳: ۳۹.

[۹۱] أنساب الأشراف ۳: ۴۳ هذا ومعاوية فوق الستين والحسن دون الأربعين.

[۹۲] الإرشاد ۲: ۱۳– ۱۴.

[۹۳] تاريخ ابن عساكر، الإمام الحسن(ع): ۱۷۸.

فلما رأى الحسين إباءه قال له: أنت أكبر ولد على، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرک تبع فافعل ما بدا لک۹۵.

وخرج من عند أخيه الحسن ضاحکاً! فسأله مواليه فقال: أتعجّب من دخولی على إمام أردت أن اعلّمه فقلت له: ما يدعوک إلى تسليم الخلافة؟ فقال: الذى دعا أباک فى ما تقدم۹۶ أى عدم الناصر الوافر الوافى والوفىّ!

ثمّ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

«إنا والله ما يَثنينا عن أهل الشام شک ولا ندم، و (لكنّا) إنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع! وكنتم فى مسيركم إلى صفّين ودينُكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره! فأما الباقى فخاذل، وأما الباكى فثائر!

ألا وإنّ معاوية قد دعا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه إليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجل بظُبا السيوف! وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا؟» وسكت.

ص: ۴۷

فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية۹۷ ونادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة۹۸.

كتب وشروط للحسن (ع):

روى الصدوق عن ابن بحر الشيبانى: أن الحسن (ع) كتب من فوره ذلک إلى معاوية: «أما بعد، فإن خَطبى انتهى إلى اليأس من حقّ احييه وباطل اميته! وخَطبک خطب من انتهى إلى مراده! وانني اعتزل هذا الأمر (الخلافة) واخلّيه لک، وإن كان تخليتى إياه شرّاً لک فى معادک، ولى شروط أشرطها، لا تبهضنّک إن وفيت لى بها بعهد، ولا تخفّ إن غدرت. وستندم- يا معاوية- كما ندم غيرک ممن نهض فى الباطل أو قعد عن الحقّ حين لا ينفع الندم، والسلام» وكتب الشروط فى كتاب آخر يمنّيه بالوفاء وترک الغدر۹۹.

---

[۹۴] مناقب آل أبى طالب ۴: ۳۸ مرسلا.

[۹۵] المصدر الأسبق لابن عساكر الدمشقى.

[۹۶] مناقب آل أبى طالب ۴: ۴۰ مرسلًا، هذا وقد روى هو أيضاً عن الباقر(ع) قال: ما تكلم الحسين بين يدى الحسن(أى متقدّماً عليه) إعظاماً له، مناقب آل أبى طالب.

[۹۷] تاريخ ابن عساكر، الإمام الحسن(ع): ۱۷۸- ۱۷۹، والكامل فى التاريخ ۳: ۱۷۶.

[۹۸] أعلام الدين للديلمى: ۲۹۲- ۲۹۳ مرسلًا.

[۹۹] علل الشرائع ۱: ۲۶۰، الباب ۱۶۰ عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق للشيبانى.

وروى ذلک الکتاب والشروط بطریقه إلی یوسف بن مازن الراسبی الهمْدانی قال: بایع الحسن بن علی (صلوات الله علیه) معاویهٔ علی أن لا یسمّیه أمیر المؤمنین. ولا یقیم عنده شهادهٔ، وعلی أن لا یتعقّب معاویهٔ علی شیعهٔ علیّ شیئاً. وعلی: أن یفرّق فی أولاد من قُتل مع أبیه یوم الجمل، وأولاد من قتل مع أبیه بصفین ألف ألف (ملیون) درهم، وأن یجعل ذلک من خراج داراب جرد۱۰۰ أی قلعهٔ داراب الملک الساسانی، فی اصطخر فارس فی جنوب إیران تابعاً للبصرهٔ فی جنوب العراق، ولذا طلب خراجها لورثهٔ قتلاهم فی الجمل.

ص: ۴۸

وقد مرّ فی أخبار صفّین أن معاویهٔ لوقف الحرب توسّل بالأشعث الکندی وهو صهر أبی بکر وعثمان، وسعی الأشعث لذلک بما قدر علیه، ومرّ فی أخبار خوارج النهروان أنه سعی سعیه لصرف أمیر المؤمنین عن القاسطین إلی المارقین، وقد هلک بعد أربعین یوماً من قتل علی (ع)۱۰۱ أی فی آخر ذی القعدهٔ سنهٔ أربعین. وکان محمد بن الأشعث من أُم فروهٔ أُخت أبی بکر، وهو أخو جعدهٔ زوج الحسن (ع)؛ لذا اختاره الإمام هنا وجعل معه عمرو بن سلمهٔ الأرحبی الهمدانی بعث بهما مع رسولَی معاویهٔ إلیه لیعطیاه ما یرضاه ویکتبا علیه الشروط. فکتب له معاویهٔ کتاباً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحیم، هذا کتاب للحسن بن علیّ من معاویهٔ بن أبی سفیان! أنی صالحتک علی أن لک الأمر بعدی، ولک عهد الله ومیثاقه وذمّته وذمّهٔ رسوله محمد، وأشدّ ما أخذه الله علی أحد من خلقه من عهد وعقد: أن لا أبغیک غائلهٔ ولا مکروهاً! وعلی: أن أُعطیک فی کلّ سنهٔ ألف ألف (ملیون) درهم من بیت المال! وعلی أنّ لک خراج «فسا» و «داراب جرد» تبعث إلیهما عمّالک وتصنع به ما بدا لک» شهد عبد الله بن عامر، وعمرو بن سلمهٔ الهمدانی، وعبد الرحمان بن سمرهٔ، ومحمد بن الأشعث الکندی، وکتب فی شهر ربیع الآخر سنهٔ إحدی وأربعین۱۰۲.

وجاءه بالکتاب رسولا معاویهٔ ابن عامر وابن سمرهٔ العبشمیان۱۰۳.

واکتفی أبو الفرج بذکر ثلاثهٔ من الشروط: أن لا یُتّبع أحد بما مضی. ولا یُنال أحد من «شیعهٔ» علی بمکروه. وزاد: لا یُذکر علی إلّا بخیر۱۰۴.

---

[۱۰۰] علل الشرائع ۱: ۲۴۹، الباب ۱۵۹ عن کتاب الفروق بین الأباطیل والحقوق للشیبانی. وفیه وجه خصوصیهٔ مالیهٔ دارابجرُد، وتفصیله فی موسوعهٔ عبدالله بن عبّاس حبر الأمّهٔ، الخرسان ۴: ۳۷۱- ۳۷۳.

[۱۰۱] قاموس الرجال ۲: ۱۶۰ برقم ۱۳۶ عن تاریخ بغداد.

[۱۰۲] أنساب الأشراف ۳: ۴۳- ۴۴.

[۱۰۳] المصدر السابق ۳: ۴۵.

ص: ۴۹

وعبّر المفید عنها بقوله: ولتأکید الحجّة علی معاویة والإعذار فیما بین (الحسن) وبین (معاویة) عند الله عزّوجل وعند کافّة المسلمین: اشترط علیه: ترک سبّ أمیر المؤمنین (ع) والعدول عن القنوت علیه فی الصلوات، وأن یؤمن شیعته رضی الله عنهم ولا یتعرّض لأحد منهم بسوء، وزاد: ویوصل إلی کلّ ذیّ حقّ حقّه. فأجابه معاویة إلی ذلک کلّه وعاهده علیه وحلف له بالوفاء به، واستتمّت «الهدنة» علی ذلک۱۰۵.

والعبارة السابقة من أبی الفرج:

«أن لا یُتّبع أحد بما مضی» فُصِّلت فی روایة الأندلسی فی «الاستیعاب» قال: «اشترط علیه: أن لا یطلب أحداً من أهل المدینة والحجاز ولا أهل العراق بشیء کان فی أیّام أبیه» فأجابه معاویة إلّا أنّه قال: أما عشرة أنفس فلا أُؤمّنهم! فراجعه الحسن (ع) فیهم، فکتب إلیه یقول: «إنّی قد آلیت متی ظفرت بقیس بن سعد أن أقطع لسانه ویده»! فراجعه الحسن (ع): «إنّی لا ابایعک أبداً وأنت تطلب قیساً أو غیره بتبعة، قلّت أو کثرت» فحینئذ بعث إلیه معاویة بِرَقّ أبیض وقال له: اکتب ما شئت فیه وأنا التزمه، فاصطلحا علی ذلک۱۰۶ هذا، ویأتی لاحقاً أنه أرسل الرَقّ الأبیض لقیس نفسه، وهو الصحیح. ومجموع الشروط بحذف المکرر اثنا عشرة تکاملت بدایة من الحسن (ع) نصفها، والنصف الآخر من معاویة.

وکتاب وشرط أمان لقیس:

روی الطبری عن الزهری: أنّ الناس فی الفتنة کانوا یقولون: ذوو رأی العرب ومکیدتهم ودهاة الناس خمسة رهط: معاویة، ومعه عمرو، والمغیرة.

ص: ۵۰

ومن المهاجرین عبد الله بن بدیل الخزاعی. ومن الأنصار: قیس بن سعد الأنصاری الخزرجی وهما مع علی (ع) فحین فرغ معاویة من عبید الله بن العباس ثمّ الحسن (ع) خلص إلی مکایدة رجل هو أهمّ الناس عنده مکایدة! وهو قیس بن سعد، وقد أمّرتْ شرطة الخمیس (الجیش) قیس بن سعد علی أنفسهم وتعاهدوا علی قتال معاویة حتی یشترط لمن اتّبع علیّاً (ع) أماناً علی دمائهم وأموالهم وما أصابوا فی الفتنة!

---

[۱۰۴] مقاتل الطالبیین: ۴۳.

[۱۰۵] الإرشاد ۲: ۱۴.

[۱۰۶] عن الاستیعاب بهامش الإصابة ۱: ۳۷۰، وبهامش تاریخ ابن عساکر، الإمام الحسن(ع): ۱۸۵.

وأرسل معاوية إلى قيس يذكّره الله ويقول له: على طاعة من تقاتل وقد بايعنى الذى أعطيته طاعتک؟! فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل معاوية بسجلّ قد ختم على أسفله وقال له: اكتب فى هذا السجّل ما شئت فهو لک.

فلمّا بعث معاوية إليه بذلک السجلّ، اشترط قيس فيه له ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية فى سجلّه ذلک مالا. فأعطاه معاوية ما سأله١٠٧.

وأولى الأخبار بالاعتبار أنّ لقاء الحسن (ع) بمعاوية كان فى نخيلة الكوفة، فيبدو أنّه (ع) رجع من المدائن إلى الكوفة قبل أن يصلها معاوية.

معاوية إلى النخيلة، وبيعة الحسنين (عليهما السلام) وقيس وخطبهم:

تحرّک معاوية من مسكن إلى الكوفة حتّى نزل بخيله بين النخيلة ودار الرزق ومعه قرّاء أهل الشام وقُصّاصهم١٠٨ وصار يوم الجمعة فاجتمعوا فى النخيلة

ص: ٥١

للصلاة، وتقدم معاوية بإحضار الحسنين (عليهما السلام) وقيس زعيم الأنصار للبيعة له، فأُحضر الحسنان (عليهما السلام).

وقد مرّ الخبر: أن قيساً لما ساومه معاوية على الصلح كتب إليه: أنه لا يلقاه إلّا وبينه وبين معاوية الرمح وحلف على ذلک، ثمّ اشترط عليه لمن معه الأمان حتّى تخلّى عن قتاله وانصرف راجعاً إلى الكوفة.

قال أبو الفرج: فلما أرسل معاوية إلى قيس يدعوه إلى البيعة وأُتى به وأرادوا أن يُدخلوه إليه قال لهم: إنى قد حلفت أن لا ألقاه إلّا وبينى وبينه الرمح أو السيف! وأُبلغ بذلک معاوية فأمر برمح أو سيف أن يوضع بينه وبينه ليبرّ يمينه ... ثمّ وُضع له كرسى، وجلس معاوية على سريره١٠٩.

ويظهر من خبر الكشى عن الصادق (ع) أنّ هذا كان بعد أخذ البيعة من الحسنين (عليهما السلام)، قال: قال (معاوية للحسن (ع): يا حسن! قُم فبايع! فقام فبايع! ثمّ قال للحسين (ع): يا حسين! قُم فبايع! فقام فبايع! ثمّ (لما ادخل قيس وجلس) قال:

---

١٠٧ تاريخ الطبرى ٥: ١٦٣– ١٦٤ وفيه: أنّه كان معه أربعون ألفاً: وهو مبالغ فيه قطعاً اللّهم إلا أن يعنى مجموع من كان مع الحسن(ع) وهم من قدّمهم على(ع) قبيل مقتله.

١٠٨ أنساب الأشراف ٣: ٤٥، الحديث ٤٩.

١٠٩ مقاتل الطالبيين: ٤٧.

يا قيس، قُم فبايع! فالتفت (قيس) إلى الحسين (ع) ينظر ما يأمره! فقال (له الحسين): يا قيس! إنه- يعنى الحسن- إمامى! قال: فنظر قيس إلى الحسن (ع) فقال له: يا أبا محمد، بايعت؟

فقال له معاوية: أما تنتهى؟ أما والله إنّى ... فقال له قيس: (افعل) ما شئت! أما والله لو شئت لتناقضَنّ!

فقام الحسن إليه وقال له: بايع يا قيس[١١٠]! فأقبل قيس عليه وقال له: أنا فى حلّ من بيعتک! قال (ع): نعم، فالتفت إليه معاوية وقال له[١١١] بايع، قيس!

ص: ٥٢

فقال له قيس: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية (بلا لقب) ولقد حرصت أن افرّق بين روحک وجسدک قبل هذا! فأبى الله- يابن أبى سفيان- إلّا ما أحب!

ثمّ أقبل على الناس وقال لهم: يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ والكفر من الإيمان! فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وابن عمّ رسول ربّ العالمين! وقد وليكم الطليق ابن الطليق! يسومكم الخسف ويسير فيكم بالعسف! فكيف تجهل ذلک أنفسكم؟! أم طبع الله على قلوبكم فأنتم لا تعقلون؟! وسكت.

فجثا معاوية على ركبتيه وأكبّ على قيس حتّى أخذ بيده وقال له: أقسمت عليک وصفق على كفّه، فتنادى الناس: بايع قيس، بايع قيس! فقال لهم: كذبتم، والله ما بايعت[١١٢].

فالتفت معاوية إلى الحسن (ع) وقال له: يا أبا محمد، إنک قد جدت بشىء لا تطيب أنفس الرجال بمثله! فاخرج (من الخيمة) إلى الناس فأظهر ذلک لهم واعتذر! فأبى، فأقسم عليه!

فقام وخرج إلى الناس ورقى المنبر فقام عليه وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

«أيها الناس، إنكم لو طلبتم بين جابلق (الغرب) وجابلس (الشرق) رجلًا جدّه رسول الله (ص) ما وجدتموه غيرى وأخى الحسين. وإنّ الله قد هداكم بأوّلنا محمد (ص) وإنّ أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور! وإنّ معاوية (بلا

ص: ٥٣

---

[١١٠] اختيار معرفة الرجال: ١١٠، الحديث ١٧٦- ١٧٧ بطريقين.

[١١١] مقاتل الطالبيين: ۴٧.

[١١٢] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢١۶- ٢١٧.

لقب الإمرة) نازعنی حقّاً هو لی فترکته لصلاح الأُمّة وحقن دمائها! وقد بایعتمونی علی أن تسالموا من سالمت، وقد رأیت أن أُسالمه فبایعته۱۱۳.

إنّما الخلیفة من سار بکتاب الله وسنّة نبیّه (ص)، ولیس الخلیفة من سار بالجور (وإنما ذلک) مَلِکٌ مَلِکَ ملکاً یمتّع به قلیلا ثمّ تنقطع لذّته وتبقی تبعته. ثمّ تلا قوله سبحانه: (وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَکُمْ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ)۱۱۴ وسکت ونزل.

ثمّ تقدّم معاویة فجمّع بالناس فخطبهم خطبة طویلة لم ینقلها تامّة أحد من الرواة وإنما جاءت فی الأخبار مقطّعة، وسنذکر ما انتهی من ذلک إلینا۱۱۵:

صعد المنبر فحمد الله وأثنی علیه ثمّ قال: «أما بعد، فإنه لم تختلف امّة بعد نبیّها إلّا غلب باطلها حقّها۱۱۶ ثمّ إنه انتبه فقال: «إلّا هذه الأُمّة» فإنّها وإنّها»۱۱۷.

ثمّ روی أبو الفرج الأموی، بسنده عن عبد الرحمان بن شریک، عن أبیه شریک، عن الأعمش، عن سعید بن سوید أنّه قال فی خطبته: «إنی والله ما قاتلتکم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزکّوا، فإنّکم لتفعلون ذلک، وإنّما قاتلتکم لأتأمّر علیکم! وقد أعطانی الله ذلک وأنتم له کارهون» ثمّ قال شریک فی حدیثه: إنّ هذا لهو التهتّک!

وروی أیضاً بسنده، عن أبی إسحاق السُبیعی الهمْدانی أنّه قال فی خطبته: «ألا إنّ کلّ شیء أعطیته الحسن بن علی تحت قدمیّ هاتین لا أفی به» ثمّ قال أبو إسحاق: وکان غدّاراً والله۱۱۸.

ص: ۵۴

ولکن غیره- کالبلاذری- نقله معلّلا وبلا تصریح باسم الإمام (ع) قال: قال فی خطبته: «ألا إنی کنت قد شرطت فی الفتنة شروطاً، أردت بها (الأُلفة ووضع الحرب) ألا وإنها تحت قدمی!».

---

[۱۱۳] أنساب الأشراف ۳: ۴۵، الحدیث ۵۰- ۵۱. وانظر الخطبة أطول من هذه فی أمالی الطوسی: ۵۵۹ ح ۱۱۷۳ م ۹۶۲۰ وفی ترتیب الأمالی ۱: ۶۰۰ وبهامشه مصادر اخری.

[۱۱۴] مقاتل الطالبیین: ۴۷، والآیة فی الأنبیاء: ۱۱۱.

[۱۱۵] المصدر السابق: ۴۵.

[۱۱۶] تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۱۶.

[۱۱۷] مقاتل الطالبیین: ۴۵ بطریقین عن الشعبی شاهداً.

[۱۱۸] مقاتل الطالبیین: ۴۵، ومثله فی الإرشاد ۲: ۱۴.

وفی آخر قال: وقد کنت شرطت شروطاً ووعدت عدات ومنّیت أمانی! لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومداراة الناس وتسکینهم.

ثمّ نادی بأعلی صوته: ألا وإنی طلبت بدم عثمان، فقتل الله قاتلیه وردّ الأمر إلی أهله علی رغم معاطس أقوام! ألا إنّ ذمّة الله بریئة ممّن لم یخرج فیبایع! ألا وإنا قد أجّلناکم ثلاثاً! فمن لم یبایع فلا ذمّة له ولا أمان عندنا! قال الراوی: فأقبل الناس من کلّ أوب یبایعونه[۱۱۹].

وهذا أولی، وأقرب وأنسب.

وهنا نقل المعتزلی، عن المدائنی: أن المسیَّب بن نجَبة الفَزاری دخل علی الحسن (ع) وقد صاهرهم فقال له:

ما ینقضی عجبی منک! بایعت معاویة ومعک أربعون ألفاً[۱۲۰] أعطاک أمراً فیما بینه وبینک، ولم تأخذ لنفسک وثیقة وعقداً ظاهراً! ثمّ قال ما سمعت! والله ما أراد بما قال غیرک (فلم یصرّح به).

فقال له الحسن (ع): فما تری؟ فقال: أری أن ترجع إلی ما کنت علیه فقد نقض ما کان؟

فقال له الحسن (ع): یا مسیّب، إنی لو أردت بما فعلت الدنیا لم یکن معاویة بأصبر منّی عند اللقاء، ولا أثبت منّی للحرب! ولکنّی أردت أن یکفّ بعضکم

ص: ۵۵

عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه حتی یستریح برّ (الحسن) أو یستراح من فاجر (معاویة)[۱۲۱].

معاویة فی جامع الکوفة:

کان خالد بن عُرفطة العُذری محالفاً لبنی زهرة وأسلم وصحب النبی (ص)، وکان علی عهد علی (ع) بوادی القری، وقیل: مات، فدخل رجل جامع الکوفة وعلی (ع) علی المنبر، فقال له: یا أمیر المؤمنین، قد مات خالد بن عرفطة بوادی القری فاستغفر له، فقال (ع): مَه إنّه لم یمت، ولا یموت حتّی یقود جیش ضلالة، وصاحب لوائه حبیب بن حمّاد! وکان حبیب

---

[۱۱۹] أنساب الأشراف ۳: ۴۷، الحدیث ۵۴ و: ۵۰، الحدیث ۵۵.

[۱۲۰] لم نجد هذا العدد فیما مرّ من أخبار التاریخ إلّا فی من قدّمهم علیّ (ع) قبیل مقتله، فلعلّه یقصدهم.

[۱۲۱] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۱۴– ۱۵ عن المدائنی، واختصر الخبر الحلبی فی مناقب آل أبی طالب ۴: ۴۰.

حاضراً وسمع الكلام فقام وقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمّاد وأنا لک محبّ ومن «شيعتک» فقال (ع): فإنّه كما أقول! وإيّاک أن تحملها؛ ولتحملنّها وتدخل بها من هذا الباب! الباب الذى سمّى فيما بعد ذلک باب الفيل١٢٢.

وكأنّ خالد بن عُرفطة الصحابى أصبح من صحابة معاوية فى دخوله إلى الكوفة.

قال أبو الفرج: ودخل معاوية الكوفة وبين يديه خالد بن عُرفطة ومعه رجل يقال له حبيب بن حمّاد يحمل رايته حتّى دخل الكوفة فصار إلى المسجد فدخل من الباب (الذى سمّى فيما بعد بباب الفيل) واجتمع الناس فخطبهم معاوية فذكر عليّاً والحسن ونال منهما! والحسنان حاضران، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذ الحسن بيده وأجلسه، ثمّ قام هو فقال لمعاوية:

ص: ۵۶

أيها الذاكر عليّاً! أنا الحسن، وأبى على، وأنت معاوية وأبوک صخر! وأُمى فاطمة، وأُمک هند! وجدّى رسول الله (ص) وجدّک حرب! وجدّتى خديجة وجدّتک قتيلة! فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً! فقال طوائف من الناس: آمين! آمين!

روى أبو الفرج الأموى هذا الخبر بسنده وفيه أبو عبيد ويحيى بن مَعين، فروى أبو عبيد: أنّ الراوى يحيى بن معين قال: ونحن نقول: آمين، وقال أبو عبيد: ونحن أيضاً نقول: آمين، وقال أبو الفرج: وأنا أقول: آمين١٢٣! فعدم ذكره عليّاً (ع) بالسوء أوّل الشروط نقضاً!

المعترضون على صلح الإمام (ع):

لم نقف على ذكر لحُجر الكندى فيما مرّ من الأخبار، ولعلّه كان مع عبيد الله بن العباس ثمّ قيس بن سعد ورجع معه، فقد نقل المعتزلى، عن المدائنى: أنه دخل مع آخر من كندة هو عبيدة بن عمرو مضروباً مجروحاً فى وجهه فى مناوشات أصحاب قيس مع عسكر معاوية فى مسكِن، فلما رآه الإمام (ع) سأله: ما الذى أرى بوجهک؟ قال: أصابنى هذا مع قيس.

ثمّ التفت حُجر إليه وقال له: لوددت أنک كنت متّ قبل هذا اليوم ومتنا معک ولم يكن ما كان! فقد رجعنا راغمين بما كرهنا، وهم مسرورون بما أحبّوا! وكان الحسين (ع) إلى جنبه فرأى الحسن قد تغيّر وجهه من كلام حجر، فغمزه فسكت.

---

[١٢٢] مقاتل الطالبيين: ۴۶، ونحوه فى الإرشاد ١: ٣٢٩، والاختصاص: ٢٨٠ مع تطبيق غير دقيق بل لا يليق. وكذا فى بصائر الدرجات ١: ٣١٨. وروى الخبر ابن شاذان فى الإيضاح: ۶۹ عن ام حُكيم الخولية بلا ذكر لحبيب.

[١٢٣] مقاتل الطالبيين: ۴۶، وكلام الإمام الحسن(ع) أرسله المفيد فى الإرشاد ٢: ١٥، بلا إسناد. وعن نفحة اليمن: ۶۳: أن ذلک كان فى المدينة سنة(۴۹ ه-) كما فى الإمام المجتبى للمصطفوى: ٢١٩. ولعلّه أولى وأقرب.

ص: ۵۷

ثمّ قال الحسن لحُجر: يا حُجر؛ ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيک، وما فعلت ما فعلت إلّا إبقاءً عليک (وأمثالک) والله كلّ يوم فی شأن۱۲۴.

وروى الكشی بسنده، عن الباقر (ع) قال: جاء رجل من أصحاب الحسن (ع) يقال له سفيان بن أبی ليلى (الهمْدانی) على راحلة له حتّى دخل على الحسن (ع) وهو محتب فی فناء داره، فوقف وسلم عليه فقال: السلام عليک يا مذلّ المؤمنين! فأجابه الحسن وقال له: انزل ولا تعجل! فنزل وعقل راحلته وأقبل يمشی حتّى انتهى إلى الإمام فقال له: ما قلت؟ قال: قلت: السلام عليک يا مذلّ المؤمنين! قال: وما علمک بذلک؟ قال: عمدت إلى أمر الأُمّة فخلعته من عنقک وقلّدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله!

فقال له الحسن (ع): سأُخبرک لم فعلت ذلک، سمعت أبی يقول: قال رسول الله (ص): «لن تذهب الأيام والليالی حتّى يلی أمر الأُمّة رجل واسع البلعوم رحب البطن يأكل ولا يشبع» قال (على (ع): وهو معاوية، ثمّ قال الحسن: فلذلک فعلت (الذی فعلت).

ثمّ سأله: ما جاء بک؟ قال: حبّک! قال: الله! قال: الله! فقال الحسن (ع): «والله لا يحبّنا عبد أبداً ولو كان أسيراً فی الديلم إلّا نفعه الله بحبّنا، وإنّ حبّنا ليساقط الذنوب من بنی آدم كما تساقط الريح الورق من الشجر»۱۲۵.

ونقل المعتزلی، عن المدائنی: أن الإمام قال له: إنّ رسول الله (ص) رفع له ملک بنی امية فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً! فشق ذلک عليه، فأنزل الله

ص: ۵۸

تعالى فی ذلک قرآناً قال له: (وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِی أَرَيْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ)۱۲۶ وسمعت عليّاً أبی (رحمه الله) قال لی: إنّ القرآن قد نطق بملک بنی امية ومدتهم إذ قال تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)۱۲۷ قال أبی: هذه ملک بنی امية! وسيلی أمر هذه الأُمة رجل واسع البلعوم كبير البطن! فسألته: من هو؟ قال: معاوية!

---

[۱۲۴] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۱۵ عن المدائنی، وعليه فلم يكن هذا فی مجلس معاوية كما قيل.

[۱۲۵] اختيار معرفة الرجال: ۱۱۱، الحديث ۱۷۸، وفی: ۹ الحديث ۲۰ روى عن الكاظم(ع): أن سفيان بن أبی ليلى الهمدانی من حوارى الحسن(ع) يوم القيامة. وعليه فلا يصح ما جاء فی تذكرة السبط: ۱۸۱ عن الكلبی: أنه كان من الخوارج! وعنه فی حياة الحسن(ع) للقرشی ۲: ۲۳۰.

[۱۲۶] الإسراء: ۶۰.

ولما أخذ الحسن (ع) يتجهّز للشخوص إلى المدينة دخل عليه المسيّب بن نجبَة الفزارى ومعه ظَبيان بن عُمارة التيمى ليودّعاه، فقال الحسن (ع): الحمد لله الغالب على أمره (حتّى) لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا!

وكان الحسين (ع) حاضراً وكان قد علم باعتراض المسيّب سابقاً، فكأنه أراد أن يسكنّه فقال: لقد كنت أنا كارهاً لما كان، طيّب النفس على سبيل أبى، حتّى عزم علىَّ أخى فأطعته وكأنما يُجذّ أنفى بالمواسى!

فكأنّ المسيّب أراد أن يعتذر عن اعتراضه السابق فقال: والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلّا أن تُنتقصوا وتضاموا! فأمّا نحن فإنّهم سيبطلون مودّتنا بكلّ ما قدروا عليه. ولكنه مع ذلک عرض على الحسن (ع) الرجوع عن عهده مرة اخرى! فقال (ع): ليس إلى ذلک سبيل!

ثم قال له الحسين (ع): يا مسيّب، نحن نعلم أنک تحبّنا!

فروى الحسن عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: «من أحبّ قوماً كان معهم»[١٢٨].

ص: ٥٩

الإمام فى مجلس معاوية:

ذكر فى «تذكرة الخواص» عن أهل السير: أن الإمام أقام يتجهّز إلى المدينة، وبلغ ذلک أصحاب معاوية: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة، وعتبة بن الوليد بن عتبة المخزومى فقالوا لمعاوية: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة قبل مسيره إلى المدينة، لنخجله! وألحّوا عليه.

فأرسل معاوية إلى الحسن واستزاره. فلما حضر تحدثوا فتناولوا عليّاً (ع) بمرأى ومسمع من الحسن (ع)، وسكت حتّى فرغوا من كلامهم الفارغ، فلما فرغوا بدأ الحسن (ع).

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله محمد (ص) ثمّ قال لهم:

إن الذى أشرتم إليه بايع البيعتين وصلّى إلى القبلتين، وأنتم بالجميع مشركون وبما أنزل الله على نبيّه كافرون!

---

[١٢٧] القدر: ٣.

[١٢٨] شرح النهج للمعتزلى ١٦: ١٦ عن المدائنى.

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتّى أنزل الله فيه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ)١٢٩.

ووصفه الله بالإيمان فقال: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) ١٣٠ والمراد به أمير المؤمنين.

وقال له رسول الله:

«أنت منّى بمنزلة هارون من موسى»

و

«أنت أخى فى الدنيا والآخرة».

وأنت- يا معاوية- قد علمت الفراش الذى عليه ولدت! وكنت يوم بدر .. تقاتل رسول الله (ص)، وأنت الذى كنت تنهى أباك عن الإسلام حتّى قلت مخاطباً إياه (بعد بدر):

ص: ٦٠

يا صخر لا تُسلمن طوعاً، فتفضحنا بعد الذين (ببدر) أصبحوا مَزَقاً

وكنت فى أُحد والخندق والمشاهد كلها تقاتل رسول الله (ص) ونظر النبىّ إليک يوم الأحزاب فرأى أباک على جمل يحرّض الناس على قتاله، وأخوک يقود الجمل وأنت تسوقه، فقال:

«لعن الله الراكب والقائد والسائق»

وما قابله أبوک فى موطن إلّا ولعنه وكنت معه، وقال رسول الله فى حقک:

«اللهم لا تُشبعه».

---

[١٢٩] البقرة: ٢٠٧.

[١٣٠] المائدة: ٥٥.

ثمّ التفت إلى عمرو بن العاص وقال له: وأما أنت يابن النابغة! فقد ادّعاک خمسة من قريش وغلب عليک ألأمهم، وهو العاص، وفيک نزل: (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ)[131] فأنت عدو الله ورسوله وعدو المسلمين، وكنت عليهم أضرّ من كلّ مشرک، وأنت القائل:

ولا أنثنى عن بنى هاشم بمااسطعت فى الغيب والمحضر

وعن عائب اللات لا أنثنى ولولا رضا اللات لم

نُمطَر

وأما أنت يا وليد؛ فلا ألومک فى بغض أمير المؤمنين، فإنّه قتل أباک صبراً، وجلدک فى الخمر لما صلّيت بالمسلمين الفجر سكراناً وقلت: أزيدكم؟! وقد سمّاک الله فى كتابه فاسقاً وسمّى أمير المؤمنين مؤمناً فى قوله: (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ)[132] ثمّ أنشد شعر حسّان فيه وفى أمير المؤمنين.

ص: ۶۱

ثمّ قال: وأما أنت يا عتبة (بن الوليد المخزومى) فلا ألومک فى أمير المؤمنين، فإنه قتل أباک (الوليد) يوم بدر ثمّ شرک فى دم ابن عمّک شيبة. وهلّا أنكرت على من وجدته فى فراشک مع عُرسک حتّى قال فيک نصر بن الحجّاج:

نُبّئت عُتبة هيّأته عُرسه لصداقة الهُذلى من لِحيان

ألفاه معها فى الفراش! فلم يكن فحلا! وأمسک خشية النسوان

لا تعتبن يا عُتب نفسک حبّها إن النساء حبائل الشيطان

ثمّ قام الحسن (ع) ونفض ثوبه وانصرف[133].

---

[131] الكوثر: ۳.

[132] السجدة: ۱۸.

ويبدو أنّ معاوية بن حُديج الكندى قاتل ابن أبى بكر بمصر كان مع ابن العاص ومع ابن أبى سفيان اليوم فى كوفان، وبلغ الإمام (ع) أن ابن حُديج شتم عليّاً (ع) عند معاوية، فقال لمولى له كان معه: أتعرف معاوية بن حُديج؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيته فأعلمنى. ومرّ يوماً بدار عمرو بن حُريث فرآه المولى خارجاً من دار عمرو، فقال للإمام: هو هذا! فدعاه الحسن (ع) وقال له: أنت الشاتم عليّاً عند ابن آكلة الأكباد! أما والله لئن وردت الحوض- ولا يرده- لَترينّه مشمّراً عن ساقيه حاسراً عن ذِراعيه يذود عنه المنافقين!

ولقى يوماً حبيب بن مَسلمة الفِهرى القرشى من قادة معاوية فقال له: يا حبيب، ربّ مسير لک فى غير طاعة الله!

فقال معتزّاً بالإثم: أما مسيرى إلى أبيک (فى صفّين) فليس من ذلک!

قال الإمام: بلى والله، ولكنّک أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بک فى دنياک لقدقعد بک فى آخرتک! ولو كنت إذ فعلت شرّاً قلت خيراً كان ذلک

ص: ۶۲

كما قال الله عزّ وجل: (خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً)۱۳۴ ولكنّک كما قال الله سبحانه: (كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ)۱۳۵.

الحسين (ع) والمعترضون:

ويوم وقف الحسين (ع) على الغلمان يأمرهم بحمل متاعهم التقى به جندب ابن عبد الله الأزدى وسعيد بن عبد الله الحنفى وسليمان بن صُرد الخزاعى والمسيّب بن نجبة الفزارى وعليهم ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة، فلما رأى ما بهم من ذلک ذكر لهم كراهية للصلح وقال: لكنت طيب النفس بالموت دونه! ولكن أخى عزم علىَّ وناشدنى فاطعته وكأنّما يحزّ أنفى بالمواسى ويشرّح قلبى بالمُدى! وقد قال الله عزّ وجل: (وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ

---

[۱۳۳] تذكرة الخواص: ۲: ۲۷- ۳۱ وبهامشه مصادر أخرى عديدة. وفى: ۲: ۴۲ قال: وقيل: إن القصّة جرت بالشام. وشرح المثالب فيها عن كتاب المثالب للكلبى فى: ۲: ۳۲- ۴۷، وقد طُبع ونُشر.

[۱۳۴] التوبة: ۱۰۲.

[۱۳۵] المطفّفين: ۱۴، والخبران فى أنساب الأشراف ۳: ۱۳ و ۱۴، الحديث ۹ و ۱۰ عن المدائنى بسنده، وعنه فى شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۱۸، وفى مناقب آل أبى طالب ۴: ۲۸ مرسلًا.

ولم يدم العمر بالفهرى بعد هذا كثيراً حتّى وجّهه معاوية إلى أرمينية سنة(۴۲ ه-). فمات بها، كما عن الاستيعاب ۱: ۳۲۷، وعليه فلا يصح أن ذلک كان فى المسجد النبوى بالمدينة سنة حجّ معاوية، فسيأتى أن ذلک كان سنة(۴۴ ه-) أى بعد هلاک ابن حُديج بعامين، وانظر مسند الإمام المجتبى للعطاردى: باب ۵۸.

هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[136] وقال: (فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)[137] و (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)[138] و (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً)[139].

ص: ۶۳

فعَرض عليه سعيد وسليمان الرجوع عن الصلح! فقال: هذا ما لا يكون ولا يصلح!

فقال له الأزدى: والله ما بنا إلّا أن تُضاموا وتنتقصوا، فأمّا نحن فإنا نعلم أن القوم سيطلبون مودتنا بكلّ ما قدروا عليه، ولكن حاش لله أن نؤازر الظالمين ونظاهر المجرمين ونحن لكم «شيعة» ولهم عدوّ! وقال الخزاعى: هذا كلامنا كلّنا. فقال الحسين (ع): بررتم وصدقتم رحمكم الله.

فقالوا: فمتى أنت سائر؟ قال: غداً إن شاء الله. فخرجوا معهم إلى دير هند[140] من الحيرة.

الإمام، وفراق العراق:

روى الطبرى، عن عُوانة بن الحكم: أن الإمام (ع) لما عزم على فراق العراق خرج إلى مسجد الكوفة وخطبهم فقال لهم: يا أهل الكوفة، اتّقوا الله فى جيرانكم وضيفانكم، وفى «أهل بيت» نبيّكم (ص) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فأخذ الناس يبكون. ثمّ تحمّلوا إلى المدينة[141].

وقال البلاذرى: شخص الحسن (ع) إلى المدينة، وشيّعه معاوية إلى قنطرة الحيرة.

وخرج خوارج على معاوية مع ابن الحوساء الطائى، فبعث معاوية بكتاب إلى الحسن يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخوارج عليه. فلحقه الرسول بالكتاب فى

ص: ۶۴

القادسية، فلما قرأ الكتاب أبلغه: تركتُ قتالک- وهو لى حلال- لصلاح الأُمة والفتهم، أفترانى اقاتل معک[142]؟!

---

[136] البقرة: ۲۱۵.

[137] النساء: ۱۹.

[138] الأحزاب: ۳۷.

[139] الأحزاب: ۳۸.

[140] أنساب الأشراف ۳: ۱۵۳ الحديث ۱۶۲.

[141] تاريخ الطبرى ۵: ۱۶۵ ولا يخفى ما فى الخبر من دلالة على معنى أهل البيت فى الآية.

وفى اليعقوبى: أن فروة بن نوفل الأشجعى كان قد اعتزل من خوارج (النهروان) سنة (۴۰) إلى شهرزور فى جمع منهم حتّى صار فى ألف وخمسمئة! فلما بلغه قتل على (ع) وغلبة معاوية أقبل فيهم إلى النخيلة، فوجّه معاوية إليه خيلا من أهل الشام، فهزمهم! فألزم معاوية أهل الكوفة بالخروج إليهم فخرجوا إليه خوفاً وقاتلوه حتّى قتلوه۱۴۳.

وروى الخبر الطبرى، عن عُوانة وفيه: أنه خرج إليه قومه من أشجع، ومن طيِّئ واستعملوا عليهم عبد الله بن أبى الحرّ الطائى، حتّى أخذ الأشجع صاحبهم فروة وقتل۱۴۴.

وأكمل الخبرين المبرّد فى «الكامل» فجمع بينهما قال: كان حوثرة الأسدى بمن معه من الخوارج فى بندنجين، وحابس الطائى بجمعه فى موضع آخر، فلما حلّ معاوية بنخيلة الكوفة كتب حوثرة إلى حابس يسأله أن يتولّى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه فيتعاضدا على جهاد معاوية، فأجابه، فرجعا إلى نخيلة الكوفة. فوجّه معاوية إلى الحسن فى طريقه إلى المدينة أن يرجع إليه فيتولى حرب الخوارج فأجابه الحسن (ع): والله لقد كففت عنک لحقن دماء المسلمين ... أفأُقاتل عنک قوماً أنت أولى بالقتال منهم۱۴۵!

ولما صار بدير هند نظر إلى الكوفة فتمثل بقول القائل:

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعون حوزتى وذمارى۱۴۶

ولا نعثر فى خلال أخبار صلح الحسن (ع) على أى خبر عن عبد الله بن العباس بالبصرة، حتّى نرى الطبرى يروى عن أبى عبيدة: أنه لما تمّ الصلح حمل مالا قليلا من بيت المال وقال: هى أرزاقى۱۴۷. وعنه فى تعبير آخر: أنه حمل معه مقدار ما اجتمع عنده من الأرزاق. ثمّ دعا أخواله بنى هلال ومعهم سائر قيس، فحمل ثقله إلى مكة، فلحقه جمع من أخماس البصرة

---

[۱۴۲] أنساب الأشراف ۳: ۴۸- ۴۹، الحديث ۵۴.

[۱۴۳] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۷.

[۱۴۴] تاريخ الطبرى ۵: ۱۶۵- ۱۶۶.

[۱۴۵] الكامل للمبرّد ۳: ۱۳۳.

[۱۴۶] شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۱۶ عن المدائنى، وعليه فهو يحنّ إلى الكوفة ولا يدينها بالمرّة.

[۱۴۷] تاريخ الطبرى ۵: ۱۴۳.

بموضع الطفّ، يريدون استرداد المال وهو قليل، فلما تواقفوا للقتال تراجع صُبرة الحُدانى الأزدى بقومه لعلمه بقلة المال، فتبعهم بكر وعبد القيس، وتراجع عنه الأحنف بن قيس التميمى بجمع منهم، وأصرّ آخرون منهم فتقاتلوا وكثر الجراح بينهم بلا قتيل، ورجع عليهم جمع من الأخماس فردّوهم عنهم، فمضى ابن عباس ومعه عشرون رجلا من بنى هلال حتّى قدم مكة[١٤٨].

هذا وقد ردّه السيّد الخرسان إلى أنّها بالعمدة كانت من جباية دارابجرد التى شرطها واستثناها الحسن (ع) من معاوية، فحملها ابن عبّاس للحسن (ع)[١٤٩].

عاملا الشام على العراقين:

وكان مع معاوية عمرو بن العاص وابنه عبد الله وقدم عليه المغيرة بن شعبة بعد وصول معاوية باثنتى عشرة ليلة[١٥٠]، فاستعمل معاوية على الكوفة عبد الله بن

ص: ۶۶

عمرو، فأتاه المغيرة وقال له: استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وأبوه على مصر، فتكون بين لحيَى الأسد! فعزل عبد الله واستعمل المغيرة. وبلغ مقالة المغيرة لمعاوية إلى ابن العاص، فدخل على معاوية وقال له: استعملت المغيرة على الكوفة؟ قال: نعم، قال: أجعلته على الخراج والصلاة؟ قال: نعم، قال: تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال ويذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً؟! استعمل على الخراج من يتّقيك ويخافك ويهابك! فحصر معاوية أمارة المغيرة فى الكوفة فى الصلاة فلقى المغيرة عمرواً فسأله: أنت المشير على أمير المؤمنين! بما أشرت به فى عبد الله؟ قال: نعم، فقال: هذه بتلك[١٥١]!

ولما ولّى معاوية المغيرة الكوفة دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال له: أما بعد .. فقد أردت إيصاءک بأشياء كثيرة، وتركتها اعتماداً على بصرک بما يرضينى ويسدّد سلطانى ويصلح رعيتى، ولكنى لست أترک إيصاءک بخصلة: لا تحجم عن الترحّم على عثمان والاستغفار له وعن الإطراء على شيعة عثمان وإدنائهم والاستماع منهم. وعن شتم على (ع) وذمّه وعيب أصحابه وترک الاستماع منهم بل وإقصائهم!

---

[١٤٨] المصدر السابق ۵: ۱۴۲، ولم يذكر شيء عن بيعته لمعاوية. وهذا هو الأصل فى إتهامه باختلاس بيت مال البصرة!

[١٤٩] موسوعة عبدالله بن عبّاس حبر الأُمّة ۴: ۳۳۶- ۳۷۴ وفيه تاريخ خروجه من البصرة ۴: ۳۷۶ واستخلافه عليها عبدالله بن الحرث بن نوفل الهاشمى الأب والأموى الأم، فى الدرجات الرفيعة: ۱۱۹.

[١٥٠] الغارات ۲: ۶۴۵.

[١٥١] تاريخ الطبرى ۵: ۱۶۶ عن عوانة بن الحكم، ولو كان ذلک فإنما لفترة لا دائماً.

فقال المغيرة: قد عملت قبلک لغيرک فلم يدمّ فىّ دفعاً ولا رفعاً ولا وضعاً، وستبلو فتحمد أو تذم. فقال معاوية: بل نحمد إن شاء الله!

فكانت مقالته (المكرّرة فى خطبه): اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه، واجزه، بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابک واتّبع سنّة نبيک! وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوماً! اللهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه! فلا يدع الدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، وذمّ على والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم١٥٢.

ص: ۶۷

أما البصرة: فإنها لما غادرها ابن عباس، كان بها من موالى عثمان: حمران بن أبان، وحيث كان مولى عثمان وقد تغلّب العثمانيون، تغلّب هذا على البصرة فضولا١٥٣.

وعزم معاوية أن يبعث على البصرة أخاه عتبة بن أبى سفيان، وكان عبد الله ابن عامر بن كريز الفهرى ابن خالة عثمان عامله على البصرة حين مقتله، وعلم بعزم معاوية، فقام إليه وقال له: يا أمير المؤمنين! إنّ عثمان هلک وأنا عامل البصرة، وعزلنى على (ع) فجعلت أموالى ودائع عند الناس، فإن أنت لم تولّنى البصرة ذهب مالى الذى فى أيدى الناس! فولّاه البصرة ولكنّه سرّح معه بسر بن أبى أرطاة فى جيشه١٥۴ وكان يهمّ معاوية أمر زياد بن عبيد الثقفى وهو فى اصطخر فارس، فأمر معاوية بسراً بقتل أبناء زياد١٥۵.

الأشعرى وأبو هريرة فى الكوفة:

قال الثقفى: لما قدم معاوية النخيلة اجتمع إليه فيها أشياعه ومن كان يهوى هواه، فأتاه المغيرة بن شعبة من الطائف- بعد اثنتى عشرة ليلة!- وعبد الله بن قيس أبو موسى الأشعرى من مكة، فلما جاءه قال له: السلام عليک يا أمير المؤمنين! قال: وعليک السلام، وعلم معاوية أنه جاءه يطمع فى ولاية، فلما تولّى قال معاوية: والله لا يلى هذا على اثنين حتى يموت!

ودخل أبو هريرة المسجد وأخذ يحدثهم يقول: قال رسول الله، وقال أبو القاسم، وقال خليلى!

ص: ۶۸

---

[١٥٢] تاريخ الطبرى ۵: ۲۵۴ عن الكلبى، عن أبى مخنف، عن الشعبى وهو يمدح المغيرة.

[١٥٣] تاريخ الطبرى ۵: ١۶٧ عن النميرى البصرى.

[١٥۴] الغارات ٢: ۶۴۵- ۶۴۶.

[١٥۵] تاريخ الطبرى ۵: ١۶٧ عن النميرى البصرى.

وكان أمير المؤمنين (ع) قد ناشد جمعاً من الصحابة برحبة المسجد الجامع بالكوفة عن حديث الغدير، وكان هناک شاب من أبناء الأنصار فی الكوفة، فقام إلى أبی هريرة وتخطّی الناس حتّی دنا منه فقال له: يا أبا هريرة! حديث أسألک عنه، فإن كنت سمعته من النبیّ (ص) فحدّثنيه، أنشدک بالله! سمعت النبیّ يقول لعلی:

«من كنت مولاه فعلیّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»

؟ قال أبو هريرة: نعم والله الذی لا إله إلّا هو لسمعته من النبیّ يقول لعلی:

«من كنت مولاه فعلی مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»!

فقال له الفتی: لقد والله واليت عدوّه وعاديت وليّه!

فتناول بعض الناس الشاب بالحصی! وقام أبو هريرة فخرج من المسجد ولم يعد إليه۱۵۶.

بسر فی البصرة فی رجب (۴۱ ه-)۱۵۷ وأبناء زياد:

وأقبل بسر إلى البصرة فصعد المنبر فی جامعها وقال: الحمد لله الذی أصلح أمر الأُمة! وجمع الكلمة۱۵۸ وأدرک لنا بثأرنا! وكفانا مؤونة عدوّنا! ألا إن الناس آمنون، ليس فی صدورنا على أحد ضغينة ولا نأخذ أحداً بأخيه ... ألا إنّ الله طلب بدم عثمان فقتل قاتليه! وردّ الأمر إلى أهله! ثمّ نادی بأعلى صوته: ألا إن ذمّة الله بريئة ممّن لم يبايع! فأقبلوا يبايعونه۱۵۹.

ص: ۶۹

ثم ذكر عليّاً (ع) فقال: أنشدكم الله، أتعلمون أن عليّاً كان كافراً منافقاً؟! فسكت الناس، فردّ عليهم قوله وقال: ألا ترون أناشدكم؟!

وكان فيهم أبو بكرة بن عبيد الثقفی أخو زياد، ممّن رأى رسول الله وسمع حديثه، وممّن شهد على المغيرة الثقفی بالزنا فضربه عمر، فقام إلى بسر وقال له: أما إذ ناشدتنا فلا نعلم أنه كان كافراً ولا منافقاً! فأمر بسر جلاوزته بضربه فضربوه حتّی كادوا أن يقتلوه! فوثب بنو السِيد من ضبّة فاستنقذوه من أيديهم۱۶۰.

---

[۱۵۶] الغارات ۲: ۶۵۶- ۶۵۹. ونقل المعتزلی فی شرح النهج ۴: ۶۷ عن الإسكافی، عن الأعمش، عن أبی هريرة حديثاً فی لعن علی(ع) وفی آخره فأجازه معاوية وولّاه إمارة المدينة!

[۱۵۷] تاريخ الطبری ۵: ۱۶۸ عن المدائنی البصری.

[۱۵۸] وهكذا دعوا ذلک العام: عام الجماعة!

[۱۵۹] الغارات ۲: ۶۴۶.

وكان معاوية على عهد على (ع) قد كتب إلى زياد يدعوه إليه ويعده ويوعده، فكتب زياد فى جوابه: أما بعد، فقد بلغنى كتابک يابن بقية الأحزاب! وابن عمود النفاق! وابن آكلة الأكباد! أتهدّدنى وبينى وبينک ابن عمّ رسول الله فى سبعين ألفاً، سيوفهم قواطع! وايم الله لئن رمت ذلک منّى لتجدنى أحمر (أى مولى) ضرّاباً بالسيف!

فأجابه معاوية: أما بعد، فقد بلغنى كتابک، وايم الله لئن بقيت لأُكافئنّک!

ص: ٧٠

١۶١

وكان زياد عاملًا لعلى (ع) على فارس ... فلما بلغه قدوم عبد الله بن عامر أميراً على البصرة دخل قلعة بفارس فنزلها وتحصّن بها حتى سمّيت باسمه قلعة زياد١۶٢.

ص: ٧١

---

[١۶٠] الغارات ٢: ۶۵٠- ۶۵١، وروى الطبرى ۵: ١۶٧- ١۶٨ عن المدائنى البصرى: أن بسراً شتم علياً(ع) ثمّ قال: نشدت الله رجلا علم أنى صادق إلّا صدّقنى! أو كاذب إلّا كذّبنى! فقام أبو بكرة وقال له: اللهم إنا لا نعلمک إلّا كاذباً! فأمر به جلاوزته فخنقوه، فقام أبو لؤلؤة الضبّى فرمى بنفسه عليه فأنقذه، فأقطعه أبو بكرة مئة جريب! ونقل ابن الأعثم كلام أبى بكرة أنه قال له: كذبت يا عدوّ الله، قد كان على بن أبى طالب خيراً منک ومن صاحبک الذى ولّاک علينا! ونسب الشتم إلى عمرو بن أبى أرطاة أخى بسر، وأنه أمر جلاوزته به فخلّصه رجل من بنى ضبّة ثمّ غيّبه الناس فلم يقدروا عليه. الفتوح ۴: ١۶٨ وعليه فهذا المقام والكلام لم يكن أول دخوله البصرة، بل بعد ذلک بفترة، لما يأتى.

[١۶١] يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الامام المجتبى عليه السلام، ١جلد، المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) – قم – ايران، چاپ: ١، ١۴٣۵ ه.ق.

[١۶٢] الغارات ٢: ۶۴۶- ۶۴٨، وقد مرّ خبر الكتاب عن ابن مزاحم فى وقعة صفين: ٣۶۶- ٣۶٧ بلا تاريخ، وبلا ذكر سبب أو مناسبة. ورواه الطبرى ۵: ١٧٠ عن النميرى البصرى عن المدائنى البصرى عن الشِعبى: أن ذلک كان بعد عهد على(ع)، وكذلک نقله اليعقوبى مرسلا ٢: ٢١٨: لما صار الأمر إلى معاوية. وليس فيه ما نقله عنه الارموى فى هامش الغارات ٢: ۶۴٧، واختلف مضمون الكتاب والخطاب باختلاف الأخبار بين عهد علىّ وعهد الحسن(عليهما السلام)، وأكثرها على الأخير وهو الأقرب والأنسب، وعليه فلا يرجّح ما جاء أعلاه وفى نهج البلاغة ک: ۴۴ من كتاب على(ع) إليه فى ذلک. وفى تفسير الأحمر بالمولى- كما نصّ نصر بن مزاحم فى وقعة صفين: ٣۶٧- جاء عن ابن خلّكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة يزيد بن المفرّغ الحميرى: أن أبا الجبر يزيد بن عمر بن شراحبيل كان من ملوک كندة فى اليمن فتغلّب عليه قومه(وكانت اليمن فى حكم الفرس الساسانيين) فخرج إلى كسرى فى بلاد فارس يستنصره عليهم بجيش معه. فبعث معه جيشاً من الأساورة فأقبلوا معه على طريق أهواز فالبصرة(القديمة) فقرية الكاظمة على ثغر الصحراء فاستوحشوا من بلاد العرب وقلة خيرها، فتواعدوا مع طبّاخه ودسّوا إليه سمّاً فتوجّعت بطنه شديداً، فطلب الأساورة منه أن يكتب لهم إلى كسرى بتسريحهم عنه، فكتب لهم ذلک ورجعوا عنه.

وكان كسرى قد وهب له عبداً وجارية سمّاهما عبيداً وسميّة، فاحتمل معهما إلى طبيب العرب فى الطائف: الحارث بن كلدة الثقفى، فعالجه وأحسّ بتحسّن فوهبهما له، وكان عقيماً فزوّجهما فولدت منه أربع بنين: نافعاً ونفيعاً وهو أبو بكرة وزياداً ونُسبوا إلى الحارث! وشبلا ونسب إلى معبد الثقفى، وارتاد إليها أبو سفيان فنسب زياد إليه. وزياد قبل أن ينتسب إليه كان ينتسب إلى عبيد، وكأنّه كان يراه فارسياً، وكان العرب يكنّون عن الفرس بالحمر فقال عن نفسه: أحمر. وكأنّه خفى هذا الخبر عن بعضهم فقرؤوه: أحمز وفسروه بالأشدّ! كما فى الطبرى(۵: ١٧٠) خلافاً لنصّ نصر بن مزاحم وكان الحارث كاتباً فلعل زياداً استزادها منه، وكان فى ثقيف ولعلّه لمعرفته بشىء من أُمور العجم استكتبه المغيرة الثقفى فى البصرة، فلم يشهد عليه بالزنا حتّى ضرب إخوته الثلاثة حدّ القذف!

ووثب بسر على بنى زياد: عبيد الله وسالم ومحمد فأوقفهم۱۶۳ وكتب بسر إلى زياد: أن أقدم علىّ وإلّا قتلت ولدک!

فكتب زياد إليه: والله لا امكّنک من نفسى ولو قتلت ولدى صبيئ لا ذنب لهم، فأبعد لا والله.

فخرج عمّهم أبو بكرئ الثقفى من البصرئ إلى الكوفئ إلى معاويئ على برذون له فى ثلاثئ أيام، حتّى قدم على معاويئ فدخل عليه۱۶۴ وقال له:

السلام عليک يا أمير الفاسقين ولا رحمئ الله ولا بركاته! اتّق الله يا معاويئ، واعلم أنک فى كلّ يوم يزول عنک وليلئ تأتى عليک، لا تزداد من الدنيا إلّا بعداً ومن الآخرئ إلّا قرباً، وعلى إثرک طالب لا تفوته قد نصب لک علَماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلَم، وما أوشک ما يلحقک الطالب، إنّ ما نحن وأنت فيه زائل، وإن الذى نحن إليه صائرون باق، إن خير وإن شرّ، فنسأل الله الخير ونعوذ به من الشرّ، سكت وجلس لا يتكلم.

فقال له معاويئ: يا أبا بكرئ، أزيارتنا أشخصتک أم حاجئ حدثت لک؟

قال: لا والله لا أقول باطلا، ولكنّها حاجئ بدت لى قِبلک.

قال: فهات حاجتک، فما أحبّ إلينا ما يسرّک! قال: أريد أن تؤمّن أخى زياداً. قال: هو آمن على نفسه۱۶۵ فقال له أبو بكرئ: فهل بايعناک على أن تقتل الأطفال؟! قال: فما ذلک يا أبا بكرئ؟ قال: هذا بسر يريد أن يقتل بنى زياد۱۶۶! قال معاويئ: ولكن فى يده مال فارس! قال أبو بكرئ: إنه يزعم أنه يدفع ما كان

ص: ۷۲

فى يده من حقوق المسلمين وإنه ليطلب صلحک. قال: وكم هذا المال؟ قال: خمسئ آلاف، قال: فقد أمّنته ورضيت منه بهذا المال. قال: فاكتب إلى بسر فليخلّ سبيل بنى أخى فإنه قد حبسهم (يريد قتلهم) فكتب إليه: أما بعد، فإن أبا بكرئ أتانى والتمس لأخيه الأمان على ما أحدث! والصلح على ما فى يديه، فخلّ سبيل بنى أخيه حين يقدم عليک، والسلام۱۶۷.

---

[۱۶۳] الغارات ۲: ۶۴۸.

[۱۶۴] الغارات ۲: ۶۵۱– ۶۵۲.

[۱۶۵] الغارات ۲: ۶۴۹– ۶۵۰.

[۱۶۶] الغارات ۲: ۶۵۲.

[۱۶۷] الغارات ۲: ۶۵۰.

فرجع أبو بكرة بكتاب معاوية إلى بسر، فى ثلاثة أيام، فلما وصل إلى مربد البصرة مات برذونه من الإرهاق، وكان بسر قد أمر بخشب الصلب فنصبت لأبناء زياد ليصلبهم عند الغروب فرفع أبو بكرة كتاب معاوية إلى بسر بيده يلوّح به حتّى بلغ بسراً قبل الغروب، فخلّى سبيلهم[١٦٨] وأخذ يتتبّع كلّ من كان له بلاء مع على (ع) أو كان من أصحابه، وكلّ من أبطأ عن بيعة معاوية، فينهب أموالهم ويخرب دورهم ويحرقها[١٦٩] ثمّ عاد بعد ستة أشهر إلى معاوية[١٧٠]. وقد مرّ أن بعثه إلى البصرة كان فى رجب سنة إحدى وأربعين فبعد ستة أشهر يعنى إلى آخر تلك السنة، ولذلك قال فى ابن عامر أنه قدمها فى آخر سنة إحدى وأربعين، وإليه خراسان وسجستان، فولّى حبيب بن شهاب الشامى شرطته، واستقضى عميرة بن يثربى الضبّى.

وحجّ بالناس فى هذه السنة عتبة بن أبى سفيان أو أخوه عنبسة وجعل على مكة خالد بن العاص المخزومى، وعلى المدينة مروان بن الحكم[١٧١].

ص: ٧٣

معاوية والروم:

وكأنّ الروم راموا اغتنام غياب أصحاب معاوية عن ثغر الشام فجمعوا جموعاً كثيرة وأعدّوا منهم خلقاً عظيماً لذلك، وعاد معاوية إلى الشام قبل نهاية العام فبلغه ذلك، وخاف أن يشغله أمرهم عمّا كان يحتاج إليه من إحكام وإبرام وتدبير للأُمور، فوجّه إلى الروم فصالحهم على أن يقدّم لهم مئة ألف دينار! وذلك فى أوّل سنة (٤٢ ه-)[١٧٢].

والشام أرض مقدّسة وهو كاتب الوحى!:

روى الواقدى قال: لما عاد معاوية من العراق خطب فقال: أيها الناس، إن رسول الله (ص) (كذا) قال لى: «إنک ستلى الخلافة من بعدى! فاختر الأرض المقدّسة! فإن فيها «الأبدال» وقد اخترتكم! فالعنوا «أبا تراب» فلعنوه!

---

[١٦٨] الغارات ٢: ٦٥٢، وانظر الطبرى ٥: ١٦٧- ١٦٩.

[١٦٩] الغارات ٢: ٦٥٣.

[١٧٠] الطبرى: ١٦٨.

[١٧١] تاريخ الطبرى ٥: ١٧٠- ١٧١.

[١٧٢] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢١٧، وانظر تاريخ خليفة: ١٢٥.

وفی غده کتب کتاباً ثمّ جمعهم فقرأه علیهم وفیه: «هذا کتاب کتبه أمیر المؤمنین معاویهٔ صاحب وحی الله (کذا) فکان الوحی ینزل علی محمّد وأنا أکتبه وهو لا یعلم ما أکتب! فلم یکن بینی وبین الله أحد من خلقه!» فقال من حضره: صدقت یا أمیر المؤمنین!

وبذل لسمرهٔ بن جندب مئهٔ ألف درهم لیروی: أن هذه الآیهٔ نزلت فی علی بن أبی طالب: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ* وَ إِذا تَوَلَّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ)۱۷۳ وأن الآیهٔ التالیهٔ نزلت فی ابن

ص: ۷۴

ملجم وهی قوله سبحانه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ))۱۷۴ فلم یقبل فضاعفها مئتی ألف درهم فلم یقبل، فضاعفها ثلاثمئهٔ فلم یقبل، فضاعفها أربعمئهٔ فقبل وفعل ما أراد۱۷۵.

وأمر زیاد ومعاویهٔ:

روی الطبری، عن النمیری البصری، عن المدائنی البصری: أن زیاداً أقام فی قلعته أکثر من سنهٔ (بعد الصلح) ولم یقدم علی معاویهٔ، فکتب إلیه: أن أقدم علیّ فأعلمنی علم ما صار إلیک مما اجتبیت من الأموال وما خرج من یدک وما بقی عندک، فإن أحببت المقام عندنا أقمت، وإن أحببت أن ترجع إلی مقامک أو مأمنک رجعت وأنت آمن.

وعن المدائنی عن أبی مخنف: أن زیاداً خرج من فارس إلی معاویهٔ مع المنجاب بن راشد الضَبّی، وحارثهٔ بن بدر الغُدّانی، وبلغ ذلک معاویهٔ، فسرّح عبد الله بن خازم السلمی من البصرهٔ فی جماعهٔ إلی فارس وقال له: لعلّک تلقی زیاداً فی طریقک فتأخذه، فلقیهم فی أرّجان أو سوق الأهواز، فکانت بینهم منازعهٔ، فقال زیاد: قد أتانی أمان معاویهٔ وهذا کتابه إلیّ فأنا أُریده. فقال ابن خازم: إن کنت تریده فلا سبیل علیک۱۷۶ وترکه.

وکان أخوه لأُمّه أبو بکرهٔ الثقفی منذ استشهد زیاداً علی زنا المغیرهٔ بن شعبهٔ فی البصرهٔ، وحضر زیاد مع الشهود عند عمر ولکنه لما رأی کراههٔ عمر لتلک

---

[۱۷۳] البقرهٔ: ۲۰۴- ۲۰۵.

[۱۷۴] البقرهٔ: ۲۰۷.

[۱۷۵] شرح النهج للمعتزلی ۴: ۷۲- ۷۳ عن الإسکافی، عن الواقدی، وسیأتی لاحقاً ما فی خبر وفاته من عبرهٔ بعد ولایته البصرهٔ.

[۱۷۶] تاریخ الطبری ۵: ۱۷۸- ۱۷۹.

ص: ۷۵

الشهادة لم يتمّها، فحدّ عمر أبا بكرة حدّ القذف، كان أبو بكرة قد أقسم على نفسه أن لا يكلّم أخاه زياداً أبداً فكان مقاطعاً له۱۷۷، ولكنه لم يمنع أبو بكرة ابنه عبدالرحمان أن يلى أموال عمّه زياد بالبصرة فكان يتولّاها، وبلغ ذلک إلى معاوية، وكان يرى ابن عامر ضعيفاً غير شديد، فبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن يسير إلى البصرة فيعذّب عبد الرحمان ليسلّم إليهم أموال زياد، فقدم المغيرة البصرة وأخذ عبد الرحمان فألقى على وجهه حريرة مبلّلة فكانت تلتزق بوجهه فتخنقه ويغشى عليه، فعل ذلک ثلاث مرّات! ثمّ خلّاه وقال له: لئن كان أساء إليّ أبوک فلقد أحسن لى زياد! فاحتفظ بما أمرک به عمّک! وكتب إلى معاوية: إنى لم اصب فى يد عبد الرحمان شيئاً يحلّ لى أخذه، وعذّبته فلم أجد عنده شيئاً! وبذلک حفظ لزياد منّته عليه۱۷۸!

واليوم أمر زياد ابن أخيه عبد الرحمان أن يتقدمه إلى معاوية فيخبره بقدوم زياد إليه، ففعل. ثمّ قدم زياد الشام، فسأله معاوية عمّا صار إليه من أموال فارس فأخبره فصدّقه۱۷۹.

زياد وابن عباس فى الشام:

نفتقد ابن عباس بعد عودته من البصرة إلى مكة حتّى نجده فى خبر المعتزلى عن المدائنى: أنه وفد على معاوية فجمع له معاوية المغيرة بن شعبة وزياد بن سمية فذلک بعد لحوقه بالشام هذا العام (۴۲ ه-) وعمرو بن العاص فذلک قبل هلاكه سنة (۴۳ ه-) وابنه يزيد، وأخاه عتبة بن أبى سفيان، وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الرحمان بن أُم الحكم وقال لهم: إنه قد طال

ص: ۷۶

العهد بعبد الله بن عباس وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمّه (على (ع) ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه. فحرِّكوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ونقف على كنه معرفته، ونعرف شبا حدّه ودهاء رأيه، فربمّا وُصف المرء بغير ما هو فيه وأعطى من النعت والاسم ما لا يستحقه.

---

[۱۷۷] شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۱۸۸ عن الجاحظ.

[۱۷۸] تاريخ الطبرى ۵: ۱۷۶- ۱۷۷ عن المدائنى البصرى.

[۱۷۹] الطبرى ۵: ۱۷۸ عن المدائنى.

ثمّ أرسل إلى ابن عباس، فلما استقرّ به المجلس ابتدأه معاوية فقال: يابن عباس، ما منع عليّاً أن يوجّه بک حکماً؟ وکان ابن العاص حاضراً فقال ابن عباس: أما والله لو فعل لقرن عمراً بصعبة من الإبل، ولأذهلت عقله وقدحت فی سویداء قلبه، فلم یبرم أمراً إلّا کنت منه بمرأی ومسمع، بأصالة رأی کمتاح الأجل أصدع به أدیمه وأفلّ به شبا حدّه، وأُزیح به شبه الشاکین.

فالتفت ابن العاص إلی معاویة وقال له: یا أمیر المؤمنین! هذا والله نجوم أول الشر! وفی حسمه قطع مادته، فبادره بالحملة وانتهز منه الفرصة، واردع بالتنکیل به غیره وشرّد به من خلفه!

فأجابه ابن عباس: یابن النابغة! ضلّ والله عقلک وسفه حلمک ونطق الشیطان علی لسانک! هلّا تولّیت ذلک یوم صفّین حین دعیت إلی النزال وتکافح الأبطال، وکثرت الجراح وتقصّفت الرماح، وبرزت إلی أمیر المؤمنین (ع) مصاولا فانکفأ نحوک بالسیف حاملا، فلما رأیت الکواشر من الموت أعددت حیلة السلامة قبل لقائه، والانکفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتک! وکشفت له خوف بأسه سوأتک! ثمّ أشرت علی معاویة بمبارزته، رجاء أن تکفی مؤونته وتعدم صورته، فعلم غلّ صدرک وما انحنت علیه من النفاق أضلعک.

فانبری مروان مدافعاً عن ابن العاص فقال لابن عباس: یابن عباس، إنّک لتصرف أنیابک وتوری نارک، کأنک ترجو الغلبة وتؤمل العافیة! ولولا حلم أمیر

المؤمنین عنکم لتناولکم بأقصر أنامله فأوردکم منهلا بعیداً صدره، ولعمری لئن سطا بکم لیأخذنّ بعض حقّه منکم! ولئن عفا عن جرائرکم فقدیماً ما نسب إلی ذلک.

فالتفت إلیه ابن عباس وقال له: وإنّک لتقول ذلک یا عدوّ الله وطرید رسول الله! والمباح دمه، والداخل بین عثمان ورعیّته بما حملهم علی قطع أوداجه ورکوب أثباجه! أما والله لو طلب معاویة (کذا) ثاره لأخذک به، ولو نظر فی أمر عثمان لوجدک أوّله وآخره! (إلی قوله له): فاربع علی ضلعک، ولا تتعرّض لما لیس لک، فإنک کالمغروز فی صفد لا یهبط برجل ولا یرقی بید!

فقال زیاد: «یابن عباس، إنّی لا أعلم ما منع حسناً وحسیناً من الوفود معک علی أمیر المؤمنین! إلّا ما سوّلت لهما أنفسهما وغرّهما به من هو عند البأساء سلّمهما (ولعلّه یعنیه) وایم الله لو ولّیتهما لأدأبا فی الرحلة إلی أمیر المؤمنین أنفسهما، ولقل لبثهما بمکانهما» یعرّض بهذا لمعاویة أن یولّیه المدینة. ویُعلم منه أنهما (علیهما السلام) ما وفدا قبل هذا إلی الشام.

فقال ابن عباس: إذن والله يقصر دونهما باعک، ويضيق بهما ذراعک، ولو رمت ذلک لوجدت من دونهما فئة صُدُقاً صُبُراً على البلاء ولا يخافون عند اللقاء، فلعركوک بكلا كلهم ووطؤوک بمناسمهم، وشفار سيوفهم ووخز أسنتهم، حتّى تشهد بسوء ما أتيت وتبيّن ضياع الحزم فيما جنيت! فحذار حذار من سوء النيّة فتكافأ بردّ الأُمنية، وتكون سبباً لفساد ذين الحيّين (هاشم وأُمية) بعد صلاحهما، وساعياً فی اختلافهما بعد ائتلافهما! (ولم يكن بعد مستلحقاً فلم يعيّره به).

فقال ابن ام الحكم: لله درّ ابن ملجم! فقد أمن الوجل حتّى بلغ الأمل! وأدرک الثار ونفی العار! وفاز بالمنزلة العليا ورقی الدرجة القصوى! هذا ومعاوية يرى ويسمع وهو ساكت راض!

ص: ۷۸

فقال ابن عباس: أما والله لقد كرع كأس حتفه بيده وعجّل الله إلى النار بروحه، ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لخالطه ذلک الفحل القحم والسيف الخذم، ولألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة (أخی معاوية) وكلّهم كانوا أشد منه شكيمة وأمضى عزيمة، ففری بالسيف هامهم ورمّلهم بدمائهم، وقری الذئاب! أشلاءهم وفرّق بينهم وبين أحبّائهم! ولا وصمة إن قتل (علیّ) ولا غرو إن خُتل.

فقال المغيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرتُ على علیّ بالنصيحة (بإبقاء معاوية) فآثر رأيه ومضى على غلوائه! فكانت العاقبة عليه لا له، وإنّی لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عباس: كان أمير المؤمنين (ع) والله أعلم بوجوه الرأی ومعاقد الحزم وتصريف الأُمور من أن يقبل مشورتک فيما نهی الله عنه وعنّف عليه فقال سبحانه: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ...)[۱۸۰] ولقد وقفک على ذكر مبين وآية متلوّة قوله تعالى: (وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)[۱۸۱] وهل كان يسوغ له أن يحكّم فی دماء المسلمين وفیء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثوق به فی نفسه؟! هيهات هيهات! هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلّا «للتقيّة» ولات حين «تقية» مع وضوح الحقّ وكثرة الأنصار وثبوت الجنان؟! فهو يمضی كالسيف المصلت فی أمر الله مؤثراً لطاعة ربّه والتقوى على آراء أهل الدنيا[۱۸۲].

ص: ۷۹

---

[۱۸۰] المجادلة: ۲۲.

[۱۸۱] الكهف: ۵۱.

[۱۸۲] شرح النهج للمعتزلی ۶: ۲۹۸– ۳۰۲، وللخبر تتمة بين ابن عباس ويزيد وأبيه معاوية.

زیاد مع المغیرة فی الکوفة:

لو کان معاویة بعد استسلام زیاد یردّه إلی عمله فی اصطخر فارس لما کان یعرّض له فی الخبر السابق بتولیة المدینة علی الحسنین (علیهما السلام) والهاشمیین، ولم یرجّحه معاویة علی مروان للمدینة، وکان المغیرة بن شعبة حاضراً ولعلّه استحضر معه زیاداً إلی الکوفة، فسأل زیاد معاویة أن یأذن له بنزول الکوفة فأذن له فشخص إلیها. ثمّ کتب معاویة إلی المغیرة: خُذ زیاداً وسُلیمان بن صُرد الخُزاعی وحُجر بن عدیّ الکندی وشبث بن ربعی الیربوعی التمیمی وعبد الله بن الکوّاء الیشکری الهمدانی وعمرو بن الحمق الخزاعی بالصلاة معک فی الجماعة، فاستحضرَهم المغیرة فکانوا یحضرونه[۱۸۳].

ومرّ فی أخبار صفین أن عُمارة بن عُقبة بن أبی مُعیط الأموی کان قد مکث فی الکوفة یتجسّس لمعاویة، وتزوّج المغیرة ابنته أُم أیّوب، فکان یُدخل معه زیاداً إلیها وتریدأن تستتر منه فیقول المغیرة لها: لا تستتری من أبی المغیرة، یرید زیاداً[۱۸۴]!

معاویة وعمرو وابن جعفر:

واستمرّ عمرو عند معاویة، فروی المعتزلی عن الشعبی: أن عمراً کان قد وفد علی معاویة یسأله حاجة عظیمة، فتشاغل عنه ثمّ قال له: یا عمرو، بماذا تستحق منّا قضاء الحوائج العظام؟

ص: ۸۰

فغضب عمرو وقال له: بأعظم حقّ وأوجبه! إذ کنت فی بحر عجّاج، فلولا عمرو لغرقت فی أقلّ مائه وأرقّه، ولکنّی دفعتک فیه دفعة فصرت فی وسطه ثمّ دفعتک اخری فصرت فی الأعلی! فمضی حکمک ونفذ أمرک وانطلق لسانک بعد تلجلجه! وأضاء وجهک بعد ظلمته! وطمست لک الشمس (علیّاً (ع) بالعهن المنفوش، وأظلمت لک القمر (علیاً (ع) باللیلة المدلهمّة!

فما کان من معاویة إلّا أن أطبق جفنیه وتناوم ملیاً حتّی خرج عمرو! فاستوی وقال لمن حوله: أرأیتم ما خرج من فم الرجل! ما علیه لو عرّض وفیه ما یکفی! لکنّه جبّهنی بکلامه وسموم سهامه!

فقال له بعض جلسائه: قد یکون السائل لئیماً فیصون الشریف نفسه عن لسانه فیقضی حاجته!

---

[۱۸۳] تاریخ الطبری ۵: ۱۷۹ عن النمیری البصری عن المدائنی البصری عن أبی مخنف الکوفی.

[۱۸۴] تاریخ الطبری ۵: ۱۸۰ عن النمیری البصری عن المدائنی، وتمامه: فلما مات المغیرة ودخل زیاد الکوفة أمیراً تزوّجها وأحضر لها فیلا لتنظر إلیه، وأوقفه عند باب من أبواب المسجد فسمّی باب الفیل.

فبعث معاوية على عمرو وقضى حاجته بصلة جليلة وانصرف فتلا معاوية: (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ)١٨٥ وسمعها عمرو فالتفت إليه مغضباً وقال: والله يا معاوية! لا أزال آخذ منک قهراً ولا اطيع لک أمراً! وأحفر لک بئراً تقع فيه فلا تدرک إلّا رميماً! فضحک معاوية وقال: إنما هى آية من كتاب الله عرضت بقلبى فتلوتها يا أبا عبد الله وما أردتک بالكلمة١٨٦!

وتبع عبد الله بن العباس: عبد الله بن جعفر الطيار إلى معاوية فى الشام، ومعه عمرو.

فروى المعتزلى عن المدائنى قال: بينا عمرو بن العاص عند معاوية إذ أخبر الآذن بدخول عبد الله بن جعفر، فقال عمرو: والله لأسوءنّه اليوم!

ص: ٨١

وقال له معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله! فإنک لا تنصف منه! ولعلک تظهر لنا ما هو خفىّ عنا من منقبته.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ودخل ابن جعفر فأدناه معاوية وقرّبه إليه. فمال عمرو إلى بعض جلسائه فنال من علىّ (ع) جهاراً وثلبه ثلباً قبيحاً! فالتمع لون ابن جعفر وارعد وقام كالجمل الفحل من السرير والتفت إلى معاوية وحسر عن ذراعيه وقال له: يا معاوية (كذا) حتّامَ نتجرّع غيظک؟! وإلى كم الصبر على مكروه قولک؟! وسيِّئ أدبک! وذميم أخلاقک! هبلتک الهبول (فقدتک الثاكل) فإذا لم تكن لک حرمة من دينک تنهاک عمّا لا يجوز (من شتم علىّ) أما يزجرک زمام المجالسة عن القذع لجليسک؟! أما والله لو عطفتک أواصر الأرحام أو حاميت عن سهمک فى الإسلام ما أرعيت بنى الإماء (ابن العاص) أعراض قومک! وما يجهل موضع الصفوة إلّا أهل الجفوة! فلا يدعونّک تصويب ما فرط من خطائک فى سفک دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين، إلى التمادى فى ما قد وضح لک الصواب فى خلافه! فاقصد لمنهج الحقّ فقد طال عمهک عن سبيل الرشد! وخبطک فى بحور ظلمة الغىّ! فإن أبيت أن تتابعنا بقبح اختيارک لنفسک، فأعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمّنا وإياک النادى وشأنک وما تريد إذا خلوت، والله حسيبک!

---

١٨٥ التوبة: ٥٨.

١٨٦ شرح النهج للمعتزلى ۶: ٢٩۴– ٢٩٥ عن الشعبى الكوفى.

ثم قال له: فوالله لولا أنّ ما جعل الله لنا هو فی یدیک لما أتیناک!

فقال معاویهٔ: یابن جعفر! أقسمت علیک لتجلسنّ، فلعن الله من أخرج ضبّ صدرک من وِجاره! محمول لک ما قلت، ولک عندنا ما أمَّلت! وإن خلقک وخُلقک شافعان لنا إلیک، وأنت ابن ذی الجناحین! وسید بنی هاشم!

فقال عبد الله: کلّا بل سید بنی هاشم حسن وحسین لا ینازعهما أحد فی ذلک ... ثمّ انصرف.

ص: ۸۲

فالتفت معاویهٔ إلی عمرو وقال له: یا أبا عبد الله أتراه ما منعه من الکلام معک؟ أظنُّک تقول: إنه هاب جوابک! لا والله! ولکنّه ازدراک واستحقرک ولم یرک للکلام أهلا! أما رأیت إقباله علیَّ دونک! ونهض معاویهٔ وتفرق القوم۱۸۷.

وابن درّاج علی الخراج والصفایا وهدایا النوروز والمهرجان:

مرّ الخبر عن المغیرهٔ أنّه غیّر رأی معاویهٔ فی استعماله عبد الله بن عمرو بن العاص علی الکوفهٔ، فصرفها عنه إلی المغیرهٔ، وظنّ به ابن العاص ذلک فحذّر معاویهٔ أن یولّی المغیرهٔ غیر الصلاهٔ علی الأموال. وکان من موالی معاویهٔ رجل یدعی عبد الله بن درّاج وتدرّج هذا لدیه حتّی ولّاه خراج العراق وأمره أن یحمل إلیه أموالها، فاستدرج ابن درّاج بعض الدهاقین حتّی أعلموه أنه: کان لآل کسری سوی ما کان یجری مجری الخراج: صوافی یجتبون أموالها لأنفسهم، فکتب بذلک إلی معاویهٔ، فکتب إلیه: أن أحص تلک الصوافی واستصفها لی واضرب علیها المسنیّات. فسأل الدهاقین عن دیوان ذلک فأخبروه أنه کان فی حلوان، فبعث من یأتیه به واتی به، فاستخرج منه کل ما کان لآل کسری وضرب علیها المسنیّات واستصفاها لمعاویهٔ، فبلغت جبایته من أرض الکوفهٔ وسوادها: خمسین ألف ألف (ملیون) درهماً! وأمره أن یحمل إلیه هداایاهم فی عیدی النوروز والمهرجان۱۸۸ فکانت عشرهٔ آلاف ألف.

ص: ۸۳

---

[۱۸۷] شرح النهج للمعتزلی ۶: ۲۹۵- ۲۹۷ عن المدائنی البصری.

[۱۸۸] النوروز: أی الیوم الجدید فی رأس السنهٔ الفارسیهٔ، والمهرجان معرّب: مهرگان: الیوم الأول من شهر مهر فی منتصف السنهٔ الفارسیهٔ، ثم أُطلقت الکلمهٔ علی الاحتفالات الکبری.

وكأنه حسن حال عبد الرحمان بن أبى بكرة الثقفى البصرى ابن أخى زياد عند معاوية، واستضعف ابن عامر فى ذلک، فكتب إليه بمثل ذلک فى أرض البصرة[189] فتلک من أوّليات معاوية: أن استعمل فى الإسلام النوروز والمهرجان من أعياد الفرس طمعاً فى أموالهم! فكرهوه وحكمه.

أجل، جمع كل ذلک، ومنع ما اشترط عليه الحسن (ع) من خراج فسا ودارابجرد لأبناء شهداء الجمل وصفين كما مرّ.

فقد روى البلاذرى: أن معاوية قد أمر ابن عامر أن يغرى أهل البصرة ليقولوا: ما جعله معاوية للحسن (كذا) أنقص أعطياتنا، وهذا المال مالنا فكيف يصرف إلى غيرنا؟! فضجّ أهل البصرة بذلک! وكان الحسن (ع) قد أرسل رسله إلى الكورتين فطردوهم، فأبدله معاوية عن ذلک بألف ألف (مليون) درهم، أو ألفى ألفى (مليونين) درهم من خراج إصفهان[190].

واختصر الخبر ابن سعد فى «الطبقات» وعنه ابن كثير فى «تاريخ دمشق» عن الشعبى وغيره: أن معاوية دسّ إلى أهل البصرة فقالوا لوكيل الحسن (ع): لا تحمل فيئنا إلى غيرنا! يعنون خراج فسا ودارابجرد، وطردوه! فأجرى معاوية له كل سنة ألف ألف (مليون) درهم[191].

واكتفى الطبرى عن عوانة بقوله: حال أهل البصرة بينه وبين خراج

دارابجرد وقالوا: هو فيئنا[192]! فأكمله ابن الأثير فى كامله بقوله: وكان منعهم بأمر معاوية[193].

ص: ۸۴

ولما فرغ عبد الله بن خازم السلمى البصرى من تعقيب زياد بن عبيد فى أوائل سنة (۴۲) وعاد إلى البصرة، ضمّه ابن عامر إلى عبد الرحمان بن سمرة ووجّه به لفتوح خراسان، فاتجّه إلى بلخ وبعد حرب شديدة افتتحها، ثمّ صار إلى كابل فحاصرها ليالى حتّى توصّل إلى بوّابها، فجعل له شيئاً ليفتح الباب ففتحه، فأدخل الحرب إلى المدينة حتّى طلبوا إليه الصلح، فصالحهم ابن سمرة، ثمّ خلف فى خراسان ابن خازم وانصرف هو إلى البصرة[194].

---

[189] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۸.

[190] أنساب الأشراف ۳: ۵۱- ۵۲، الحديث ۵۶.

[191] تاريخ دمشق لابن عساكر، الإمام الحسن(ع): ۱۷۶ بتحقيق المحمودى.

[192] تاريخ الطبرى ۵: ۱۶۵.

[193] الكامل فى التاريخ ۳: ۱۶۲.

[194] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۷- ۲۱۸.

وأمّر معاوية لموسم الحجّ هذه السنة (۴۲) أخاه عنبسة۱۹۵.

موسم الحج والاحتجاج على الحسن (ع):

مرّ الخبر قبل قليل عن أمر معاوية للمغيرة بإلزام زعماء الشيعة فى الكوفة: سليمان بن صرد وعمرو بن الحمق الخزاعيّين مع حُجر بن عَدى الكندى بحضور صلاة الجماعة مع المغيرة، فلعلّ هذا ونحوه من المضايقات حملتهم على أن اجتمعوا فى موسم الحجّ بعد نحو سنتين من الصلح بالحسن (ع) فى المدينة.

فقال له سليمان: ما ينقضى تعجّبنا من بيعتک معاوية ومعک أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء وهم على أبواب منازلهم! ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتک من أهل البصرة والحجاز، ثمّ لم تأخذ لنفسک ثقة فى العقد ولا حظّاً من العطية! فلو كنت- إذ فعلت ما فعلت- أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق (العراق) والمغرب (الشام) وكتبت عليه كتاباً بأن الأمر لک بعده، كان الأمر علينا أيسر! ولكنّه أعطاک شيئاً بينک وبينه! ثمّ لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد: «إنى كنت شرطت شروطاً ووعدت عدات، إرادة لإطفاء نار الحرب، ومداراة لقطع الفتنة! فأمّا إذ جمع الله لنا الكلمة والأُلفة فإنّ

ص: ۸۵

ذلک تحت قدمىّ»! والله ما عنى بذلک غيرک ولا أراد بذلک إلّا ما كان بينه وبينک، وقد نقضه.

فإذا شئت فأعد الحرب جذعة (رأساً)، وأذن لى فى تقدّمک إلى الكوفة فاخرج عنها عاملها (المغيرة) واظهر خلعه، وننبذ إليه على سواء (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ)۱۹۶.

ثمّ تكلّم الباقون بمثل كلامه.

ثمّ تكلّم الإمام (ع) فقال لهم: أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربص وأنصب، لما كان معاوية بأشدّ منّى بأساً، ولا أسدّ شكيمة ولا أمضى عزيمة. ولكنّى أرى غير ما رأيتم، ولا أردت بما فعلت إلّا حقن

---

[۱۹۵] تاريخ الطبرى ۵: ۱۸۰.

[۱۹۶] الأنفال: ۵۸، يستدل بها للزوم النبذ إليه أى إعلان الحرب دون المفاجأة.

الدماء، فارضوا بقضاء الله وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم وكفّوا أيديكم، حتّى يستريح برٌّ (الإمام) أو يُستراح من فاجر (معاوية)١٩٧.

هذا ما رواه أبو مخنف الكوفى، وعنه الكلبى، وعنه البلاذرى والمرتضى، وأرسله الدينورى معاصر البلاذرى وزاد:

مع أن أبى كان يحدّثنى: أن معاوية سيلى الأمر! فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

وقد نقل أول الخبر سلامه عليه بقوله: السلام عليک يا مذلّ المؤمنين! فهنا زاد:

ص: ٨۶

وأما قولک «يا مذلّ المؤمنين»! فوالله لئن تذلّوا وتعافوا أحبّ إلىّ من أن تعزّوا وتقتلوا! فإن ردّ الله علينا حقّنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنّا رضينا وسألنا الله أن يبارک لنا فى صرفه عنّا. فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً، فإن يهلک ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وكأنّ ابن صرد أصرّ على عدم الاستسلام لكلام الإمام، ظانّاً الفرق فى الموقف بينه وبين أخيه الحسين (ع)، فخرج من عند الحسن ودخل على أخيه الحسين (عليهما السلام) وعرض عليه ما عرضه من قبل وأخبره بردّ الحسن غير مقتنع به.

فقال لهم الحسين (ع): إنها بيعة كنت- والله- لها كارهاً! ثمّ كرّر عليه أمر أخيه لهم فقال: (ولكن) ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً، فإن هلک معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم١٩٨ فعلموا أن الحسين يتصاغر لإمامه وأخيه الأكبر الحسن (عليهما السلام).

ولعلّ هذا ونحوه بلغ معاوية ناقصاً فأراد أن يختبر الإمام هل فى نفسه الإثارة لذلک فدسّ إليه دسيساً هو جُبير بن نُفير الحضرمى الشامى، كما جاء فى رسالة محمد بن بحر الشيبانى فى «علل الشرائع» للصدوق، ووصفه بالشامى جاء فى «تاريخ دمشق» قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون: إنک تريد الخلافة! فقال: كانت جماجم العرب بيدى يسالمون من

---

[١٩٧] تنزيه الأنبياء: ١٧١- ١٧٢ عن عباس بن هشام، عن أبيه هشام الكلبى، عن أبى مخنف بسنده، وقال: وهذا كلام منه(ع) يشفى الصدور ويذهب بكل شبهة. وبالسند نفسه فى أنساب الأشراف ٣: ٥٢، الحديث ٥٧.

[١٩٨] الإمامة والسياسة ١: ١۶٣- ١۶٥، وفيه: ومعک مئة ألف مقاتل! تحريفاً منفرداً به.

سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثمّ اريدها- أو قال:- أُثيرها بأهل الحجاز؟! أو قال: بأتياس الحجاز[۱۹۹]؟!

ص: ۸۷

عقيصا وعويص أمر الصلح:

مرّ الخبر عن «وقعة صفين» فى نبع العين لأمير المؤمنين عن أبى سعيد عقيصا من موالى تيم كان معه (ع)، ويبدو لى أنّه بعد ذلک سكن المدينة، فروى الصدوق بسنده عنه قال:

قلت للحسن بن على (ع): يابن رسول الله، لمَ داهنت معاوية وصالحته؟ وقد علمت أنّ الحقّ لک دونه، وأن معاوية ضالّ باغ؟!

فقال لى: يا أبا سعيد، ألست حجّة الله «تعالى ذكره» على خلقه وإماماً عليهم بعد أبى؟ قلت: بلى. قال: ألست الذى قال رسول الله (ص) لى ولأخى:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[۲۰۰]

) قلت: بلى. قال: فأنا- إذن- إمام لو قمت، وأنا إمام- إذن- لو قعدت.

يا أبا سعيد، علّة مصالحتى لمعاوية: علّة مصالحة رسول الله (ص) لبنى ضمرة، وبنى أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، وأُولئک كانوا كفاراً بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل.

يا أبا سعيد؛ إذا كنت إماماً من قبل الله «تعالى ذكره» لم يجب (أو: يجب أن لا) يسفّه رأيى فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً. ألا ترى الخضر لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى فعله- لاشتباه وجه الحكمة عليه- حتّى أخبره، فرضى. هكذا أنا؛ سخطتم

ص: ۸۸

---

[۱۹۹] أنساب الأشراف ۳: ۵۳، الحديث ۵۸، وتاريخ دمشق لابن عساكر، الإمام الحسن(ع): ۲۰۵ الحديث ۳۳۱ و ۳۳۲. وفى علل الشرائع ۱: ۲۵۸ آخر باب ۱۵۹ قال: يا تيّاس أهل الحجاز، وفسّر التياس بأنه الذى يبيع عسيب التيس أى ماء الفحل منه. وهو غير مناسب للمخاطب الحضرمى الشامى وليس الحجازى.

[۲۰۰] احتجّ الإمام(ع) هنا بهذا الحديث النبوى الشريف، ولم يحتجّ قط بما رووه عن الصحابى أبى بكرة الثقفى عنه(عليهما السلام) قوله فى الحسن:« ابنى هذا سيّد، وسيصلح الله به بين طائفتين أو فئتين من أُمتى» ولو صحّ عنه ذلک لكان أولى بالاحتجاج به، ممّا يدلّ على اختلاقه ووضعه على لسانه كذباً.

علیَّ بجهلكم وجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترک أحد من «شيعتنا» على وجه الأرض إلّا قتل۲۰۱.

وروى أيضاً عنه: أن بعض الناس لامه على بيعته لمعاوية فقال لهم:

ويحكم! ما تدرون ما عملت! والله للذى عملت خير «لشيعتى» مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنّى إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، وأحد «سيدى شباب أهل الجنة» بنصّ من رسول الله علىَّ؟ قالوا: بلى۲۰۲.

قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلک مسخطاً لموسى بن عمران (ع) إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلک، وكان ذلک عند الله «تعالى ذكره» حكمة وصواباً!

ثمّ أضاف: أما علمتم أنه ما منّا أحد إلّا وتقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الذى يصلّى خلفه روح الله عيسى بن مريم (ع)، فإنّ الله يخفى ولادته، ويغيِّب شخصه، لئلّا يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج. وذلک (هو) التاسع من ولد أخى الحسين، (وهو) ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره فى غيبته ثمّ يظهره بقدرته فى صورة شابّ دون أربعين سنة! ذلک ليعلم أنّ الله على كلّ شىء قدير۲۰۳.

وعليه فالخبران من البوادر الأُولى فى تقرير عقيدة الشيعة فى الإمامة۲۰۴.

ص: ۸۹

هل حجّ ابن العاص ولقى الإمام (ع)؟:

ذلک أن عمراً لم يعمّر بعد عودته إلى فسطاطه بمصره بعد هدنة الإمام (ع) إلّا أقل من ثلاث سنين، إذ توفّى فى عيد الفطر عام (۴۳ ه-)، ونقل عنه لقاء بالمساءة للإمام (ع) وهما فى الإحرام أو فى الطواف ببيت الله الحرام، فلعلّه كان فى أيام الموسم هذا العام.

---

۲۰۱ علل الشرائع ۱: ۲۴۸- ۲۴۹، الباب ۱۵۹، الحديث ۲.

۲۰۲ يعود هنا الكلام السابق فى الحديث السابق، فلو صحّ حديث الفئتين أو الطائفتين لكان نصّاً فى شرعية الصلح وصحّته، ولا نراه احتجّ به أبداً، وإنما اختلقوه ووضعوه لذلک كذباً.

۲۰۳ كمال الدين ۱: ۳۱۶ بسنده عن حنان بن سدير الصيرفى الكوفى مولى الأزد، ووصف الرجل فى الرجال أنه توقّف عن إمامة الرضا(ع)، فلم يكن يستدلّ بما يرويه من هذا الخبر على دوام الإمامة حتّى التاسع من ولد الحسين(ع)!

۲۰۴ وللتفصيل يراجع كتاب عقيدة الشيعة فى الإمامة للمرحوم الشيخ محمد باقر شريعتى النجفى(رحمه الله).

قال للإمام (ع): يا حسن! أزعمت أن الدين لا يقوم إلّا بک وبأبيک؟! فقد رأيت الله أقامه بمعاوية؟! فجعله ثابتاً بعد ميله وبيّنا بعد خفائه! أفيرضى الله قتل عثمان؟! أم من الحقّ أنّ تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين! عليک ثياب كقشر البيض وأنت قاتل عثمان! والله إنّه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردک معاوية حياض أبيک! وسكت.

فأجابه الإمام (ع) قال له: إنّ لأهل النار علامات يُعرفون بها وهى: الإلحاد فى دين الله، والموالاة لأعداء الله، والانحراف عن دين الله. والله إنّک لتعلم أنّ عليّاً (ع) لم يتريّث فى الأمر، ولم يشکّ فى الله طرفة عين، وايم الله لتنتهينّ- يابن العاص- أو لأقرعنّ جبينک بكلام تبقى سُبّة عليک ما حييت! وإياک والجرأة علىّ! فإنى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهشّ المشاشة (العظام) ولا بمرىء المأكلة! وإنى من قريش كأوسط القلادة، معرق حسبى لا ادعى لغير أبى! وقد تحاكمت فيک رجال من قريش فغلب عليک ألأمها حسباً وأعظمها لعنة! (هو الأبتر) فإياک عنّى! فإنما أنت نجس! ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً[٢٠٥].

ص: ٩٠

فأمّا ابن العاص فهو عاص لله فى نهيه عن الجدال فى الحجّ حتّى لو كان فى الإحرام والطواف ببيته، وأما الإمام فهو فى هذا الكلام عامل بفرض النهى عن المنكر والإنكار على مرتكبيه وفاعليه، ورادّ عليهم ومدافع عن الحقّ والحقيقة، فهو يدلّ على جواز ردّ جدال بالباطل كهذا.

الإمام (ع) فى الشام:

مرّ فى الخبر حضور ابن عباس فى مجلس معاوية واتهام زياد إيّاه بأنّه هو الذى سلّمهم الحسنين (عليهما السلام) فى البأساء، وهو اليوم غرّهما وسوّل لهما ومنعهما من الوفود على معاوية حتّى ذلک الحين من عام (۴۲ ه-) فمن الطبيعى أن يكون ابن عباس قد نقل ذلک لهما (عليهما السلام) وفى طواف الحجّ لعام (۴۲ ه-) لقى ابن العاص الإمام الحسن (ع) فتحجَّج عليه واحتجّ الإمام عليه بما شمل معاوية، فلعلّه فى سنة (۴۳ ه-) وقبل هلاكه فى آخر شهر رمضان منها وفد لمرة أُخرى على معاوية فصادف وصول الحسن (ع) هناک، أو أوقفه معاوية على ذلک واستحضره لذلک المحضر وكذلک المغيرة بن شعبة، فكان ما يلى:

نقل المعتزلى عن كتاب «المفاخرات» للزبير بن بكّار الزبيرى (۲۵۶ ه-) قال: اجتمع عند معاوية من أصحابه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن قومه أخوه عتبة بن أبى سفيان والوليد بن عقبة بن أبى معيط ابن أخى عثمان وتوافقوا فيما

[٢٠٥] المحاسن للبيهقى: ٨۶ وط ٢: ٩۶، وعنه فى الإمام المجتبى للمصطفوى: ٢٠٩.

بينهم وقالوا لمعاوية: إن الحسن (ع) قد أحيا ذكر أبيه وقال فيه فصُدّق! ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا، وخفق النعال خلفه وإن ذلک لرافعه إلى ما هو أعظم منه! فابعث عليه فليحضر لنسبّه! ونسبّ أباه! ونعيّره ونوبّخه، ونقرّره أن أباه قتل عثمان! ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلک!

فقال معاوية: ويحكم لا تفعلوا! فوالله ما رأيته جالساً عندى قط إلّا خفت عيبه لى فى مقاله!

ص: ٩١

فقال عمرو: أتخشى أن يربى قوله على قولنا أو يأتى باطله! على حقّنا!

فقال معاوية: فإن أبيتم إلّا ذلک فلا تمرضوا له فى القول! واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار، ولكن تقولون له: إن أباک كره خلافة الخلفاء من قبله وقتل عثمان! تقذفوه بحجره!

فبعث إليه معاوية رسوله فقال له: إن أمير المؤمنين يدعوک. فسأله: من عنده؟ فسمّاهم له فدعا عليهم وقال: «اللهم إنى أعوذ بک من شرورهم، وأدرأُ بک فى نحورهم، واستعين بک عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت، بحول منک وقوة يا أرحم الراحمين» وقال لجارية لديه: يا جارية ابغينى ثيابى.

فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه، ثمّ قال له: إنّ هؤلاء عصونى فبعثوا إليک!

فقال الحسن (ع): سبحان الله، الدار دارک والإذن فيها إليک، فإن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما فى أنفسهم، فإنّى لأستحيى لک من الفحش! وإن كانوا غلبوک على رأيک فإنّى لأستحيى لک من الضعف! فأيّهما تقرّر وأيّهما تنكر؟! أما إنّى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب، ومالى أن أكون مستوحشاً منک ولا منهم إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ[٢٠٦].

فقال معاوية: يا هذا! إنى كرهت أن أدعوک ولكن هؤلاء حملونى على ذلک! وإنما دعوناک لنقرّرک أن أباک قتل عثمان! وأنه قتل مظلوماً! فاستمع منهم ثمّ أجبهم.

فبدأ عمرو بن العاص فذكر الله ورسوله فصلّى عليه، ثمّ ذكر عليّاً (ع) فلم يترک شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنه كره خلافة أبى بكر وامتنع من بيعته ثمّ بايعه مكرها وشتمه! ثمّ شرک فى دم عمر! ثمّ قتل عثمان ظلماً وادّعى

[٢٠٦] مقتبس من الآية: ١٩۶ من الأعراف.

ص: ۹۲

الخلافة وليست له! وأضاف إليه الفتنة وذكر مساوئ يعيّره بها. ثمّ قال: ثمّ إنک يا حسن! تحدّثک نفسک أنّ الخلافة صائرة إليک وليس لک عقل ذلک ولا لبّه! كيف ترى الله سبحانه سلبک عقلک وترکک أحمق قريش يسخر منک ويستهزأ بک! وذلک لسوء عمل أبيک! وإنما دعوناک لنسبّک وأباک! فأمّا أبوک فقد تفرّد الله به وكفانا أمره! وأمّا أنت فإنّک فی أيدينا نختار فيک الخصال، ولو قتلناک ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس! ثمّ قال: فإن كنت ترى أنا كذبنا فی شیء فارددہ علينا، وهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذّبنا! وإلّا فاعلم أنّک وأباک ظالمان!

ثمّ تكلّم الوليد بن عُقبة فقال: يا بنی هاشم، إنّكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقّكم! وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم، فكنتم أول من حسده! فقتله أبوک ظلماً! لا عذر له ولا حجّة! فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم؟! والله إنّ بنی أُميّة خير لبنی هاشم من بنی هاشم لبنی أُميّة! وإنّ معاوية خير لک من نفسک!

ثمّ تكلم عتبة بن أبی سفيان فقال: يا حسن! كان أبوک شرّ قريش لقريش! أسفكها لدمائها! وأقطعها لأرحامها! طويل السيف واللسان! يقتل الحیّ ويعيب الميّت! وإنّک ممن قتل عثمان ونحن قاتلوک به! وأمّا رجاؤک الخلافة فلست فی زندها قادحاً! ولا فی ميراثها راجحاً. وإنّكم يا بنی هاشم قتلتم عثمان! وإنّ فی الحقّ أن نقتلک وأخاک به! فأما أبوک فقد كفانا الله أمره وأقاد منه! وأما أنت فوالله! ما علينا لو قتلناک بعثمان إثم ولا عدوان!

ثمّ تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً ثمّ قال: والله ما أعيبه فی قضيّة يخون ولا فی حكم يميل، إلّا أنّه قتل عثمان!

فتكلّم الحسن (ع) فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وآله ثمّ قال:

ص: ۹۳

أمّا بعد يا معاوية؛ فما هؤلاء شتمونی ولكنّک شتمتنی! فحشاً ألفته وسوء رأی عُرفت به! وخُلقاً سيّئاً ثبتّ عليه وبغياً علينا! عداوة منک لمحمّد وأهله! فاسمعوا فلأقولنّ فيكم ما هو دون ما فيكم:

أنشدكم الله! أتعلمون أن الذی شتمتموه اليوم صلّى القبلتين كليهما وأنت- يا معاوية- كافر بهما، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزّى غواية!

وأنشدكم الله! هل تعلمون أنه بايع البيعتين: بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت- يا معاوية- بإحداهما كافر (بالرضوان) وبالأُخرى ناكث (بالفتح).

وأنشدكم الله! هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وأنت وأباک- يا معاوية- من المؤلّفة قلوبهم وتُستمالون بالأموال فتُظهرون الإسلام وتسترون الكفر!

وأنشدكم الله! ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر، ورايۀ المشركين كانت مع معاوية وأبيه! ثمّ لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ومعک ومع أبيک راية الشرک! وفی كلّ ذلک يفتح الله له ويفلج حجّته وينصر دعوته ويصدّق حديثه، ورسول الله (ص) عنه راض فی كلّ تلک المواطن وعليک وعلی أبيک ساخط!

وأنشدک الله- يا معاوية- أتذكر يوماً جاء أبوک علی جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوک عتبۀ هذا يقوده، فرآكم رسول الله (ص) فقال:

«اللهم العن الراكب والقائد والسائق»!

يا معاوية، أتنسی لمّا همّ أبوک أن يسلم كتبت إليه شعراً تنهاه فيه عن ذلک فقلت:

يا صخرُ لا تُسلمن يوماً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مُزُقاً

خالی وعمّی، وعمُّ الأُم ثالثهم و حنظل الخير! قد أهدی لنا الأرقا

لا تركننّ إلی أمر تكلّفنا- والراقصات- به فی مكۀ الخرقا

فالموت أهون من قول العداۀ لقد حاد ابن حرب عن العزّی إذاً فَرَقا

ثم قال له: والله لما أخفيت من أمرک أكبر مما أبديت!

وأنشدكم الله- أيها الرهط- أتعلمون أن رسول الله (ص) بعث أكابر أصحابه (أبا بكر وعمر) بالرايۀ إلی بنی قريظۀ (كذا) فنزلوا من حصنهم فهُزموا! فبعث عليّاً (ع) بالرايۀ فاستنزلهم علی حكم الله وحكم رسوله! وفی خيبر فعل مثلها!

وأنتم– أيها الرهط– نشدتكم الله! أتعلمون أن رسول الله (ص) لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أولها: يوم لقى رسول الله (ص) خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده وهمّ أن يبطش به ثمّ صُرف عنه، فلعنه الله ورسوله!

والثانية: يوم جاءت عيره من الشام وعرض لها رسول الله (ص) فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها، فلعنه رسول الله (ص) ودعا عليه، فكانت لأجلها وقعة بدر!

والثالثة: يوم احد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله (ص) فى أعلاه، وهو ينادى: أعْلِ هُبل مراراً، فلعنه رسول الله (ص) عشر مرات ولعنه المسلمون!

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فابتهل رسول الله (ص) ولعنه!

والخامسة: يوم الحديبية، إذ جاء أبو سفيان فى قريش فصدوا رسول الله (ص) عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محلّه، فقال رسول الله (ص):

«كلهم ملعونون وليس فيهم من يؤمن»!

فقيل: يا رسول الله كيف باللعنة؟ أفما يرجى الإسلام لأحد منهم؟ فقال (ص):

«أمّا القادة فلا يفلح منهم أحد، ولا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع»!

ص: ۹۵

والسادسة: يوم الجمل الأحمر (الذى مرّ خبره قبل فدعا على الراكب والقائد والسائق– الاحتجاج).

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله (ص) فى العقبة ليستنفروا به ناقته، وكانوا اثنى عشر رجلا منهم أبو سفيان!

ثمّ قال: يا معاوية أظنك لا تعلّم أنّى أعلم ما دعا به عليک رسول الله (ص) لما أراد أن يكتب كتاباً لبنى جذيمة (بعد الفتح) فبعث إليک ابن عباس فوجدک تأكل، ثمّ بعثه إليک مرة أُخرى فوجدک تأكل، فدعا عليک الرسول بجوعک ونهمک إلى أن تموت! ثم قال له:

فهذا لک يا معاوية! ثمّ التفت إلى ابن العاص وقال له:

وأما أنت- يابن العاص- فإن أمرک مشترک! وضعتک أُمک مجهولا (لمن؟) من عهر وسفاح، فتحاکم فیک أربعهٔ من قریش فغلب علیک جزّارها: ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً! ثمّ قام أبوک فقال: أنا شأنی محمد الأبتر! فأنزل الله فیه ما أنزل!

وقابلت رسول الله (ص) وآذیته وکدته کیدک کلّه، وکنت من أشد الناس تکذیباً وعداوهٔ! ثمّ خرجت ترید النجاشی لتأتی بجعفر وأصحابه إلی أهل مکهٔ.

ویحک- یابن العاص- لما خرجت من مکّهٔ إلی النجاشی ألست قلت فی بنی هاشم:

تقول ابنتی: أین هذا الرحیل؟ وما السیر منی بمستنکر

فقلت: ذرینی فإنی امرؤ ارید النجاشی فی جعفر

لأکویه عنده کیّهٔ أُقیم بها نخوهٔ الأصعر

وشأنی أحمد من بینهم وأقولهم فیه بالمنکر

وأجری إلی عتبهٔ جاهداً ولو کان کالذّهب الأحمر

ص: ۹۶

ولا أنثنی عن بنی هاشم وما استطعت فی الغیب والمحضر

فإن قبل العتب منّی له وإلّا لویت له مشفری!

فلما أخطأت ما رجوت خائباً جعلت حدّک علی صاحبک عُمارهٔ بن الولید فوشیت به إلی النجاشی لما ارتکب مع حلیلتک! ففضحک الله وفضح صاحبک! ثمّ إنک تعلم وکل هذا الرهط یعلمون أنک هجوت رسول الله (ص) بسبعین بیتاً من الشعر فقال رسول الله:

«اللهم إنی لا أقول الشعر ولا ینبغی لی، اللهمّ العنه بکل حرف ألف لعنة»

فعلیک إذاً من الله ما لا یُحصی من اللعن!

وأما ما ذکرت من أمر عثمان، فأنت سعَّرت علیه الدنیا ناراً (لما عزلک) ثمّ لحقت بفلسطین، فلما أتاک قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نکات قرحة أدمیتها! ثمّ حبست نفسک علی معاویة وبعت دینک بدنیاه! فلسنا نلومک علی بغض ولا نعاتبک علی ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حیّاً ولا غضبت له مقتولا! ثمّ قال له: فهذا جوابک، هل سمعته! ثمّ التفت إلی المتکلم الثانی الولید فقال له:

وأما أنت یا ولید؛ فوالله ما ألومک علی بغض علیّ (ع) وقد جلدک ثمانین فی الخمر، وقتل أباک بین یدی رسول الله صبراً! وأنت الذی سمّاه الله «الفاسق» وسمّی علیّاً «المؤمن» حیث تفاخرتما فقلت له: اسکت یا علیّ، فأنا أشجع منک جَناناً وأطول منک لساناً! فقال لک علی (ع): اسکت یا ولید فأنا مؤمن وأنت فاسق! فأنزل الله فی موافقة قوله: (أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ)۲۰۷.

ثمّ أنزل فیک علی موافقة قوله أیضاً: (إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا)۲۰۸.

ویحک یا ولید! مهما نسیت فلا تنس قول الشاعر۲۰۹ فیک وفیه:

أنزل الله فی الکتاب العزیز — فی علیّ وفی الولید قرآنا

فتبّوی الولید إذ ذاک «فسقاً« — وعلیّ مبوأ «إیماناً«

لیس من «کان مؤمناً» عمرک الله — »کمن کان فاسقاً» سیّانا

سوف یدعی الولید بعد قلیل — وعلی إلی الحساب عیانا

---

۲۰۷ السجدة: ۱۸.

۲۰۸ الحجرات: ۶.

۲۰۹ نظم الشعر شاعر النبیّ حسان بن ثابت الأنصاری نظماً لشأن نزول الآیة السابقة، ولم یسمّه الإمام(ع) لعلّه لأن ابن ثابت لم یبقَ ثابتاً علی ما کان یقوله یومئذ إذ صار عثمانیاً.

فعلى يُجزى بذاك جناناً ووليد يجزى بذاك هوانا

ربَّ جدٍّ لعقبة بن أبان لابس فى بلاده «تبّانا[٢١٠]»

وأما أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف (الرأى) فأُجيبك! ولا عاقل فأُعاتبك! وما عقلك وعقل أمتك إلّا سواء! فما يضرّ علياً لو سببته على رؤوس الأشهاد! وكيف ألومك على بغض علىّ وقد قتل خالك الوليد يوم بدر مبارزة، وأوحدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد، وشرك حمزة فى قتل جدّك عتبة (المخزومى)! وأما وعيدك إياىّ بالقتل! فهلّا قتلت اللحيانى إذ وجدته على فراشك (مع عرسك!) أما تستحيى من قول نصر بن الحجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان ولسبّة تخزى أبا سفيان

نبّئت «عتبة» خانه فى «عرسه» جبس لئيم الأصل من «لِحيان»

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكره لفحشه! فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك؟

وأما أنت يا مغيرة، فإنّما مَثلك مَثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكى فإنى طائرة عنك! فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة علىّ فاعلم بك طائرة عنى!

ص: ٩٨

والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها! وإن حدّ الله فى الزنا لثابت عليك؛ ولقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه! ولقد سألت رسول الله (ص) هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها؟ فقال: «لا بأس بذلك- يا مغيرة- ما لم ينو الزنا» لعلمه بأنّك زان!

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول: (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً))[٢١١].

---

[٢١٠] التبّان معرّب تمبان: سراويل قصيرة، فهى كناية عن أُصول غير عربية.

[٢١١] الإسراء: ١٦.

ثمّ قام الحسن (ع) وأخذ ينفض ثوبه، فمدّ عمرو يده وتعلق بثوبه وقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين! قد شهدت قوله فيّ وقذفه أُمّى بالزنا، فأنا اطالب بحدّ القذف فيه! فقال معاوية: خلّ عنه! لا جزاک الله خيراً! فتركه، فانصرف الحسن (ع).

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنّه ممّن لا تطاق عارضته (/ لسانه) ونهيتكم أن تسبّوه! والله ما قام حتّى أظلم علىَّ البيت! قوموا عنّى، فلقد فضحكم الله وأخزاكم٢١٢.

أجل، كان هذا قبل أجل عمرو بن العاص فى آخر شهر رمضان من سنة (۴۳ ه-).

وقبل ذلک كان خروج المستورد بن عُلَّفة التيمى فى العراق فى شعبان (۴۳ ه-).

ص: ۹۹

بقايا خوارج النهروان فى شعبان (۴۳ ه-):

مرّ فى أخبار خوارج النهروان أن أربعمئة منهم جُرحوا، وعفا عنهم علىّ (ع) وأُذن لأهلهم أن يؤوهم ويداووهم. وفى أيام المغيرة على الكوفة اجتمع ثلاثمئة منهم إلى ثلاثة منهم: حيّان بن ظبيان السلمى والمستورد بن علّفة التيمى ومعاذ بن جوين الطائى، اجتمعوا فى جمادى الآخرة (۴۳ ه-) فى دار حيّان وتشاورا لمن يبايعوا حتّى بايعون أسنّهم المستورد، وتواعدوا لغرة هلال شعبان.

وكان المغيرة قد جعل على شرطته حليف ثقيف: قبيصة بن الدمون الحضرمى، وأخبره هذا باجتماعهم فى دار حيّان، فأمره بقبضهم فأحاط بهم وهم عشرون رجلا فحبسهم. فخرج المستورد ببقيّتهم إلى دار بالحيرة ثمّ رجعوا إلى دار سليم السلمى العبدى من عبد قيس الكوفة لمصاهرة بينهم وبينه.

فخطب المغيرة وحذّر القبائل وهدّدهم، ثمّ بعث إلى رؤساء الناس فدعاهم وطلب منهم أن يكفى كلّ منهم من فى قومه، ومنهم صعصعة بن صوحان العبدى رئيس عبد قيس فخطبهم فقال لهم:

يا معشر عباد الله، إن الله لما قسم الفضل بين المسلمين خصّكم بأحسن القسم، فأجبتم إلى دين الله الذى اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله، فأقمتم عليه حتّى قبض الله رسوله (ص)، ثمّ اختلف الناس بعد: فثبتت طائفة، وارتدت طائفة، وأدهنت طائفة، وتربّصت طائفة، فلزمتم دين الله إيماناً به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتّى قام الدين وأهلک الله الظالمين،

---

٢١٢ شرح النهج للمعتزلى ۶: ۲۸۵- ۲۹۴ عن المفاخرات للزبير بن بكار، وأرسله الطبرسى فى الاحتجاج ۱: ۴۰۱- ۴۱۶ عن أبى مخنف الأزدى ومولاهم يزيد بن أبى حبيب عن الشعبى.

فلم يزل الله يزيدكم بذلک خيراً فی کل شیء وعلی کل حال حتّی اختلفت الأُمة بینها، فقالت طائفة: نرید طلحة والزبیر وعائشة، وقالت طائفة: نرید أهل المغرب (الشام) وقالت طائفة (فیما بعد): نرید عبد الله بن وهب الراسبی الأزدی (الخوارج) وأنتم قلتم:

ص: ۱۰۰

۲۱۳

لا نرید إلّا «أهل البیت» الذین ابتدأنا الله بالکرامة من قبلهم، تسدیداً من الله لکم وتوفیقاً.

فلم تزالوا علی الحقّ لازمین له آخذین به، حتّی أهلک الله بکم- وبمن کان علی مثل رأیکم وهداکم- «الناکثین» یوم الجمل (وسکت عن ذکر أهل الشام القاسطین لأن السلطان حینئذ کان سلطانهم، وقال:) ولا قوم أعدی لله ولکم ولأهل بیت نبیکم ولجماعة المسلمین من هذه «المارقة» الخاطئة، الذین فارقوا إمامنا (علیّاً) واستحلّوا دماءنا وشهدوا علینا بالکفر!

فإیاکم أن تؤوهم فی دورکم أو تکتموا علیهم، فإنّه لیس ینبغی لحیّ من أحیاء العرب أن یکونوا أعدی منکم لهذه «المارقة» وقد ذُکر لی: أن بعضهم فی جانب من حیّکم وأنا باحث وسائل عن ذلک، فإن کان ما حکی لی من ذلک حقّاً تقرّبت إلی الله بدمائهم فإنّ دماءهم حلال۲۱۴.

وبلغ ذلک ابن عُلّفة فتواعد مع أصحابه قریة سورا فخرجوا إلیها فکانوا ثلاثمئة، ثم ساروا إلی السّراة. وبلغ خبرهم المغیرة فدعا الرؤساء واستشارهم من یبعث إلیهم، فانبری لهم معقل بن قیس التمیمی، فجهّز معه ثلاثة آلاف رجل!

وقال لأمیر شرطته قبیصة: الصق «بشیعة علیّ» فأخرجهم مع معقل بن قیس، فإنّه کان من رؤوس أصحاب علیّ، فإذا جمعت إلیه «شیعته» استأنسوا وتناصحوا وهم أجرأ علی هذه «المارقة» وأشدّ استحلالًا لدمائهم وقد قاتلوهم من قبل!

وبلغ المغیرة: أن صعصعة العبدی یکثر ذکر علی (ع) ویفضّله ویعیب عثمان.

فدعاه وقال له: إنّک لست بذاکر من فضل علیّ شیئاً أنا أجهله! بل أنا أعلم بذلک! ولکن هذا السلطان قد ظهر وظفر، وقد أُخذنا باظهار عیبه للناس! فنحن

---

[۲۱۳] یوسفی غروی، محمدهادی، عصر الامام المجتبی علیه السلام، ۱جلد، المجمع العالمی لاهل البیت (علیهم السلام) – قم – ایران، چاپ: ۱، ۱۴۳۵ ه.ق.

[۲۱۴] ولیته کان یتذکر قول علیّ(ع) لهم: ألا لا تقاتلوا الخوارج بعدی، فلیس من ....

ندع كثيراً مما امرنا به ونذكر الشيء الذى لا نجد بدّاً منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا «تقيّة» فإن كنت ذاكراً فضله فاذكر ذلک بينک وبين أصحابک فى منازلكم سرّاً! وأما علانية فى المسجد فإن هذا لا يحتمله لنا الخليفة ولا يعذرنا به! فإياک أن يبلغنى عنک أنک تظهر شيئاً من فضل علىّ علانية! وإياک أن يبلغنى عنک أنک تعيب عثمان عند أحد من الناس!

فكان يقول له: نعم أفعل ما تقول. ثمّ يبلغه أنّه قد عاد إلى ما نهاه عنه!

وخرج المستورد بجمعه من السّراة إلى بهرسير وأراد أن يعبر جسر دجلة إلى مدينة (طيسفون) القديمة فقطع والى المدائن الجسر عليهم فأقاموا فى بهرسير يومين أو ثلاثة حتّى تبيّن لهم مسير معقل إليهم، فمضوا على شاطئ دجلة حتّى انتهوا إلى جرجرايا فعبروا دجلة، فمضوا فى أرض جوخى حتّى بلغوا المذار من البصرة، فبلغ خبرهم عبد الله بن عامر وقيل له: إنّ المغيرة نظر إلى رجل رئيس شريف كان من أصحاب علىّ (ع) وقاتل معه الخوارج، فبعثه ومعه «شيعة على» لعداوتهم لهم.

فبعث ابن عامر إلى شريک بن الأعور الحارثى الهمدانى وهو على رأى علىّ (ع)، وقال له: انتخب ثلاثة آلاف رجل واخرج بهم إلى هذه «المارقة» حتّى تخرجهم من أرض البصرة، أو تقاتلهم فتقتلهم. فانتخب الناس وألحّ على فرسان ربيعة على رأى «الشيعة».

ودنا معقل من المدائن فاخبر أنهم ارتحلوا، فنزل على باب مدينة بهرسير، فخرج إليه عامل المدائن سماک بن عبيد وأمر غلمانه ومواليه فأتوهم بالجزر والشعير والقتّ بما يكفيه ومن معه، وأقام معقل هناک ثلاثة أيام.

ثمّ قدّم مقدمة فى ثلاثمئة فارس مع أبى الروّاغ الشاكرى الهمدانى، فركب فى الوجه الذىأخذوا فيه، حتّى عبروا جرجرايا فى آثارهم حتّى لحقهم مقيمين بالمذار فتنحّوا عنهم وباتوا متحارسين. فلما ارتفع الضحى شدّ الخوارج

عليهم، فتناوشوا وتواقفوا حتّى صلّوا الظهر والعصر. ودعا معقل محرز بن شهاب التميمى وأمره أن يتخلّف فى ضعفة الناس، ليتعجّل هو بأهل القوة منهم سبعمئة رجل ولكنّه لم يصلهم إلّا بعد الأصيل وحين غربت الشمس، فنزلوا للصلاة، وشدّ الخوارج عليهم بعد الصلاة، فشدّ عليهم معقل بمن معه حتّى اضطروهم إلى بيوت قرية المذار.

وجاءهم محرز بن شهاب التميمى بمن معه، فصف معقل أصحابه فجعل أبا الرّواغ على الميمنة ومحرز بن بجير على الميسرة ومسكين بن عامر على الخيل، وقال لهم: على مصافّكم حتّى نُصبح.

ومرّ بعض أهل الطريق فى طريقه من البصرة بجيش شريک الأعور إلى الخوارج فأخبرهم بإقباله إليهم، فقال المستورد لأصحابه: نرجع إلى الوجه الذى جئنا منه، فإن أهل البصرة لا يتّبعونا إلى أراضى الكوفة، وقتال أهل مصر واحد أهون علينا من قتالهم جميعاً، فادخلوا فى القرية ثمّ اخرجوا من ورائها ثمّ نعود إلى الطريق. ففعلوا ذلک وأقبلوا حتّى نزلوا جرجرايا.

فدعا معقل أبا الرّواغ وقال له: اتبعه بأصحابک حتّى تحبسه وحتّى ألحقک، وكان معه ثلاثمئة فطلب الضّعف فضاعفه إلى ستمئة، فاتّبعوهم إلى جرجرايا، فتقاتلوا ساعة ثمّ مضى الخوارج حتّى عبروا دجلة إلى أرض بهرسير، واتّبعهم أبو الرّواغ بجمعه، فانصرف الخوارج حتّى نزلوا ساباط المدائن، وتبعهم أبو الرّواغ إليه. وعلم الخوارج بوصول معقل إلى قرية ديلمايا (ديالى؟) فى استان (محافظة) بهرسير إلى جانب دجلة على ثلاثة فراسخ (١٥ كم) من محلّ الخوارج، فخرجوا إلى معقل فى ديلمايا حتّى أطلّوا عليه فى مئتين من بقايا أصحابه وهم غارّون لا يشعرون، فحمل الخوارج عليهم حتّى لحقهم أبو الرّواغ بجمعه، فحملوا عليهم فتقاتلوا حتّى أفنوهم.

ص: ١٠٣

وقدم أبو الرّواغ ومسكين بن عامر على المغيرة مبشّرين، فأخبروا أن المستورد بعد قتال شديد طويل نادى: يا معقل ابرز إلىّ، فمشى إليه بالسيف وخرج المستورد برمحه فطعن معقل حتّى خرج السنان من ظهره، وضربه معقل بسيفه فى دماغه فقتلا، فأخذ الراية عمرو بن محرز وهو فتى حدث فأمرهم أن يشدّوا وشدّ هو فما لبثوا أن قتلوهم[٢١٥].

وهكذا تخلّص معاوية بشيعة الكوفة من خوارجها عليه فى شهر شعبان (٤٣ ه-).

فاستلحق زياداً ليوليّه البصرة:

نقل المعتزلى عن المدائنى البصرى: أن معاوية كان قد استقدم أبا مريم السلولى واستلّ منه أن زياداً من زنا أبى سفيان بسميّة، واستقدم زياداً واستلّ منه أنّه لا يكره ذلک بل يرغب فيه! فجمع الناس وفيهم السلولى وصعد المنبر وأجلس زياداً دونه بمرقاة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لهم:

---

[٢١٥] تاريخ الطبرى ۵: ١٨١- ٢٠٩ مختصراً. وفى الاشتقاق لابن دريد: ١٨۶: أن قطاماً قاتلة علىّ (ع) كانت اخت المستورد الخارجى وأخوه هلال كان قاتل رستم فى القادسية.

أيّها الناس، إنى قد عرفت نسبنا أهل البيت فى زياد، فمن كانت عنده شهادة فليقم بها! فعُلم أنه قد أعدّ لذلک أُناساً منهم أبو مريم السلولى فقام وقال:

يا أمير المؤمنين! أشهد أنّ أباک أبا سفيان قدم علينا بالطائف فاشتريت له طعاماً لحماً وخمراً، ثمّ قال لى: يا أبا مريم أصب لى بغيّاً! فخرجت إلى سميّة وهى تحت عُبيد وكان راعياً غائباً فقلت لها: إن أبا سفيان قد أمرنى أن أُصيب له بغيّاً فهل لک فى ذلک؟ فقالت: الآن يجىء عُبيد بغنمه! فإذا تعشّى ونام جئتک! فرجعت إلى أبيک أبى سفيان وأخبرته، فلم نلبث حتّى جاءت تجرّ ذيلها

ص: ۱۰۴

فأدخلتها إليه فكانت عنده حتّى الصباح ثمّ انصرفت عنّا. وقام ناس فشهدوا أنّهم سمعوا أبا سفيان قبل موته أقرّ بزياد.

ثمّ قام زياد فحمد الله وأثنى عليه! ثمّ قال لهم: أيها الناس، إنّ معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم، ولست أدرى حقّ هذا من باطله! وهو والشهود أعلم بما قالوا! وإنّما عُبيد أب مبرور ووال (لا والد) مشكور! وسكت ونزل۲۱۶.

وزوّج معاوية إحدى بناته لمحمد بن زياد ليؤكّد بذلک صحّة الاستلحاق! وبلغ ذلک أخاه نُفيعاً أبا بكرة الصحابى، فكره ذلک وأنكره وقال فيه: إنّه انتفى من أبيه وزنّى أُمه، لا والله ما علمت سميّة رأت أبا سفيان! يا ويله۲۱۷! فقيل له: يزعم الناس أنک تجد على معاوية وزياد فى أمر الدنيا! فقال: لا والله، ولكن القوم كفروا صراحية۲۱۸.

وقال اليعقوبى: إنّ زياداً أحضر لذلک شهوداً أربعة شهد أحدهم أنه سمع عليّاً (ع) قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب حين أتاه زياد برسالة أبى موسى الأشعرى، فتكلّم زياد بكلام أعجبه، فقال له: أتقول هذا للناس على المنبر؟ قال: هم أهون علىَّ منک! فقال أبو سفيان: والله لهو ابنى ولأنا وضعته فى رحم أُمّه! فقلت له: فما يمنعک من ادّعائه؟ قال: مخافة هذا العير الناهق۲۱۹!

ص: ۱۰۵

---

[۲۱۶] شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۱۸۷ عن المدائنى البصرى. وانظر مروج الذهب ۳: ۶– ۸.

[۲۱۷] انظر ترجمة زياد فى الاستيعاب.

[۲۱۸] أنساب الأشراف ۱: ۴۹۴.

[۲۱۹] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۱۸ وقارنه بما عن البلاذرى والواقدى والكلبى فى شرح النهج للمعتزلى ۱۶: ۱۸۰– ۱۸۱، وخبره فى باب الأدعياء من الجاهلية من كتاب مثالب العرب: ۱۳۰. وانظر الغدير ۱۰: ۲۱۶– ۲۲۷، واكتفى ابن الخياط بقوله: وفى(۴۴ ه–) كان من أمر معاوية وزياد الذى كان ۱: ۱۲۶.

معاوية وابن عباس وابن العاص:

يظهر من خبر نقله الصدوق بسنده عن عبدالملک بن مروان: كأنه قد بلغ معاوية أنه لما بلغ عبد الله بن عباس استلحاق معاوية لزياد، كان ممّن نفا زياداً عن ابن حرب، ووفد ابن عباس على معاوية وعنده ابن العاص، فقال له معاوية: يا بنى هاشم؛ بم تفخرون علينا أليس الأب والأُم واحداً والدار والمولد واحداً؟!

فقال ابن عباس: نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش، وتفخر قريش به على الأنصار، وتفخر به الأنصار على سائر العرب، وتفخر به العرب على العجم: برسول الله (ص)، وبما لا تستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً!

فقال له معاوية: يابن عباس! لقد اعطيت لساناً ذلقاً تكاد تغلب بباطلک حقّ سواک!

فقال ابن عباس: مَه! فإنّ الباطل لا يغلب الحقّ، ودع عنک الحسد فلبئس الشعار الحسد!

فصدّقه معاوية وقال له: أما والله إنى لأُحبّک لخصال أربع مع مغفرتى لک خصالا أربعاً! فأمّا ما أُحبّک له: فإنّک رجل من اسرتى وأهل بيتى ومن مُصاص (خالص) عبد مُناف، والثانية: كان أبى خِلّا لأبيک! والثالثة: لقرابتک من رسول الله (ص)! والرابعة: أنک لسان قريش وزعيمها وفقيهها! والأربع التى غفرت لک: فإساءتک فى خذلان عثمان فيمن أساء! ثمّ سعيک فيمن سعى على عائشة أُم المؤمنين! ثمّ عَدْوک علىَّ فيمن عدا بصفّين! ثمّ نفيک عنّى زياداً فيمن نفى! واستخرجت عذرک من كتاب الله عزّ وجل قوله: (خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً) ٢٢٠ وقال أخو بنى ذُبيان:

ولستَ بمُستبق أخاً لا تلمّه على شعَث، أىّ الرجال المهذّب؟

وقد قبلت فيک الأربع الأُولى، وغفرت لک الأربع الأُخرى فكنت كما قال الأول:

سأقبل ممن قد أُحبّ جميله وأغفر ما قد كان من غير ذلكا

---

[٢٢٠] التوبة: ١٠٢.

فحمد الله ابن عباس ثمّ قال: أما ما ذكرت أنک تحبّنی لقرابتی من رسول الله (ص)، فذلک الواجب علیک وعلی کل مسلم آمن بالله ورسوله؛ لأنّه الأجر الذی سألکم رسول الله علی ما آتاکم به من الضیاء والبرهان المبین فقال عزّ وجل: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی)[221] فمن لم یحب رسول الله إلی ما سأله خاب وخزی وکبا فی جهنّم! وأما صداقة أبیک لأبی فقد سبق فیه قول الأول:

سأحفظ مَن آخا أبی فی حیاته وأحفظه من بعده فی الأقارب

ولست لمن لا یحفظ العهد وامقاً ولا هو عند النائبات بصاحب

وأما أنی رجل من اسرتک وأهل بیتک فذلک کذلک ... وأما أنی لسان قریش وفقیهها وزعیمها فإنک قد اوتیتها[222]!

وأما خذلان عثمان، فقد خذله من کان أمسّ رحماً به منّی (یعنی معاویة) ولی فی الأقربین والأبعدین أُسوة، وإنی لم أعُد علیه فیمن عدا بل کففت عنه کما کفّ أهل الحِجی والمُروّات!

وأما سعیی علی عائشة؛ فإنّ الله تعالی کان قد أمرها أن تقرّ فی بیتها وتحتجب بسترها! فلمّا خالفت نبیّها وکشفت جلباب الحیاء وسعنا ما کان إلیها منّا!

ص: ۱۰۷

وأما عَدْوی علیک بصفّین؛ فوالله لو لم أفعل لکنت من ألأم العالمین! أفکانت نفسک- یا معاویة- (کذا بلا لقب) تحدّثک أنی أخذل ابن عمی أمیرالمؤمنین وسید المسلمین، وقد حشّد له المهاجرون والأنصار والمصطفون الأخیار؟! ولمَ- یا معاویة- ألشکّ فی دینی؟ أم لحیرة فی سجیّتی؟ أم ضنّاً (بخلا) بنفسی؟!

وأما ما ذکرت من نفی زیاد؛ فإنی لم أنفه بل نفاه رسول الله (صلی الله علیه وآله) إذ قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ولکنّی بعد هذا لأُحبّ ما سرّک فی جمیع امورک!

---

[221] الشوری: ۲۳.

[222] یستبعد أن یقرّ له ابن عباس بالفقه فی الدین، ولا یخفی أن الراوی عبد الملک الأموی.

فقال ابن العاص: يا أمير المؤمنين! والله ما أحبّک ساعة قط! غير أنّه قد أُعطى لساناً ذرباً يقلّبه كيف يشاء! فقال ابن عباس: إن عمراً دخل بين العصاء واللحاء، وبين العظم واللحم! وقد تكلم فليستمع:

أما والله يا عمرو؛ إنى لأُبغضک فى الله وما أعتذر منه۲۲۳ قد قال الله تبارک وتعالى: (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ)۲۲۴ وقد حاددت الله ورسوله قديماً وحديثاً، ولقد جهدت على رسول الله جهدک، وأجلبت عليه بخيلک ورجلک، حتّى إذا غلبک الله على أمرک، وردّ كيدک فى نحرک، وأوهن قوتک وأكذب أُحدوثتک، نزعت وأنت حسير! ثمّ كدت بجهدک لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده، ليس ذلک من حبّ لمعاوية ولا آل معاوية، ولكن عداوة لله ولرسوله، مع بغضک وحسدک القديم لأبناء عبد مناف!

فبدأ عمرو يتكلم فقال له معاوية: أما والله يا عمرو ما أنت من رجاله! فإن شئت فقل وإن شئت فدع!

ص: ۱۰۸

فقال ابن عباس: دعه- يا معاوية- فوالله لأسمنّه بميسم يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، تتحدث به الإماء والعبيد ويُتغنّى به فى المجالس ويُتحدث به فى المحافل! والتفت إليه وقال له: يا عمرو! اخسأ أيها العبد وأنت مذموم! فمدّ معاوية يده فوضعها على فم ابن عباس وقال له: أقسمت عليک يابن عباس إلّا أمسكت! فأمسک، وافترقوا۲۲۵.

وعاد عمرو فهلک:

اضطرّنا مضمون الخبر السابق أن يسبق هلاک ابن العاص بعد استلحاق معاوية لزياد، وكأنّ ابن العاص عاد إلى مصر فلما تصرّمت ليالى رمضان تصرّمت ليالى عُمر عَمرو!

قال اليعقوبى: وليلة عيد الفطر سنة (۴۳) توفى عمرو ... ولما حضرته الوفاة قال لابنه: إنى قد دخلت فى أُمور لا أدرى ما عذرى عند ربّى! ثمّ نظر إلى ماله كثيراً فقال: يا ليته كان بَعراً! يا ليتنى متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة (أى قبل خلافة الخلفاء) أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت دينى! وآثرت دنياى وتركت آخرتى! عُمّى علىَّ رشدى حتّى حضرنى أجلى! كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء خلافتى فيكم! فكان كذلک، فقد أقرّ معاوية عبد الله بن عمرو على مصر ولكنّه استصفى شطر ماله وحواه وقال: هى سنة عمر! ثمّ شاطر سائر عمّاله. وكانت مصر والمغرب طعمة لعمرو شرطها على معاوية شرطاً

---

[۲۲۳] هنا نسب الراوى إليه أنه نسب نزول سورة الكوثر بشأن ابن العاص، والصحيح إلى العاص.

[۲۲۴] المجادلة: ۲۲.

[۲۲۵] الخصال ۱: ۲۱۱- ۲۱۵.

يوم بايعه .. فكان عمرو يفرّق العطاء فى جيشه ثمّ يأخذ ما زاد لنفسه ولا يحمل منه إلى معاوية شيئاً حتى مات عن تسع وتسعين عاماً[٢٢٦] بل تسعين عاماً، وبدأ ابنه بالصلاة عليه ثمّ

ص: ١٠٩

صلّى العيد. وخلّف عمرو من الذهب: ثلاثمئة ألف دينار، ومن الفضة ألف درهم، ومن الغلّات مئتى ألف دينار، وضيعته المعروفة بالوهط وقيمتها عشرة آلاف ألف درهم[٢٢٧].

وضعف الفهرى عن إدارة البصرة:

كان معاوية يستوفد من عمّاله الوفود، فأوفد المغيرة الثقفى من الكوفة وفداً فيهم عبد الله بن الكوّاء اليشكرى الهمدانى فكان خطيبهم. وأوفد ابن عامر الفهرى من البصرة وكان قد انتشر عن البصرة انتشار الأُمور أو انتثارها. واجتمع الوفدان عند معاوية فكان من سياسته أن سأل معاوية ابن الكوّاء عن الكوفة والبصرة، فقال له ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين! إن أهل البصرة ضعف عنهم سلطانهم فأكلهم سفهاؤهم! هذا وأهل البصرة حضور. فلما انصرف وفد البصرة بلّغوا ابن عامر بذلك[٢٢٨].

وكان لا يعاقب فى سلطانه حتّى اللصوص لا يقطعهم! فقيل له فى ذلك فقال: كيف أنظر إلى رجل قد قطعت أخاه أو أباه! وأنا أتألّف الناس! وكأنه استحضر لذلك زياداً من الكوفة فشكا إليه ظهور خبث وفساد فى الناس. فقال زياد: جرّد سيفك فيهم! قال: أكره أن أصلحهم بفساد نفسى! فبسبب ذلك فسدت البصرة عليه يومئذ[٢٢٩].

ص: ١١٠

ووفد زياد بذلك على معاوية مع رجل من عبد قيس البصرة، فقبّح لمعاوية آثار ابن عامر وعرّض بأعماله وعمّاله[٢٣٠]! وقد روى الطبرى أن زياداً كان قد طلب من أهل الكوفة أن يلحقوا نسبه بمعاوية! فقالوا: أبشهادة الزور؟! فلا[٢٣١] بلا تاريخ

---

[٢٢٦] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢١– ٢٢٢.

[٢٢٧] مروج الذهب ٣: ٢٣. وراجع عمرو بن العاص للعقّاد، وعمرو بين يدى التاريخ لأبى رابية وتاريخ عمرو بن العاص لحسن إبراهيم، ومعاوية وعمرو بن العاص للسيّد تحسين الموسوى، والغدير ٣: ١٧٣– ٢٥٧.

[٢٢٨] تاريخ الطبرى ٥: ٢١٣.

[٢٢٩] تاريخ الطبرى ٥: ٢١٢.

[٢٣٠] الطبرى ٥: ٢١٤.

[٢٣١] تاريخ الطبرى ٥: ٢١٥.

للخبر هل كان هذا قبل استلحاق معاوية أو بعده؟ فإن كان هذا قبله فلعلّه بلغ هذا معاوية أو أبلغه المغيرة الثقفى، وأبلغه أن خمّار الطائف أبا مريم السلولى يقول به، فاستقدمهما معاوية، واستشهد له أبا مريم.

وعزل ابن عامر عن البصرة:

وكان معاوية قد كتب إلى ابن عامر يطلب منه أن يزوره، وذلک فى سنة (۴۴ ه-)، فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم وقدم على معاوية۲۳۲.

فاستأذن العبدىّ البصرىّ الذى كان مع زياد، استأذنه أن يزور ابن عامر، فاشترط عليه زياد أن يخبره بما يجرى بينهما! وكان ابن عامر قد علم بأن زياداً قبّح لمعاوية آثار ابن عامر وعرّض بعمّاله، فلما أتاه العبدى قال له: هيه هيه! أصبح ابن سُمية يُقبّح آثارى ويعرّض بعمالى! لقد هممت أن آتى بقسامة من قريش يحلفون أنّ أبا سفيان لم يرَ سميّة!

فأخبر العبدىّ زياداً بذلک، فأخبر زياد بذلک معاوية، فحجبه فشكا ابن عامر ذلک إلى يزيد بن معاوية فأدخله معه، فقال له: يابن عامر! أنت القائل فى زياد ما قلت! أما والله لقد علمت العرب أنى لم اتكثّر بزياد من قلة ولم أتعزّز

ص: ۱۱۱

به من ذلّة! ولكن عرفت له حقاً! فوضعته موضعه! فقال: يا أمير المؤمنين! نرجع إلى ما يحبّ زياد! ثمّ خرج إليه فترضّاه۲۳۳!

ثم قال له معاوية: اختر بين أن احاسبک فيما صار إليک وأتتبّع أثرک وأردّک إلى عملک، وبين أن اسوّغک ما أصبت وتعتزل! فاختار أن يسوّغه ويعتزل ثمّ قال له: وتنكحنى ابنتک هنداً! قال: قد فعلت۲۳۴! ثمّ زوّج ابنته أُم كلثوم ليزيد، كما يأتى.

وكان معاوية عزل ابن عامر ليولّى زياداً، ولكنّه حلّل بينهما بالحارث بن عمرو الأزدى من أهل الشام بأربعة أشهر! وأعاد زياداً إلى الكوفة فنزل على سلمان بن ربيعة الباهلى، ينتظر أمر معاوية، وبلغ المغيرة أن زياداً ينتظر أن تجىء إمارته على الكوفة! فاستخلف عتيبة بن النّهاس العجلى على الكوفة وخرج إلى معاوية وسأله أن يعزله فردّه إلى عمله، فدعا معبد بن

---

[۲۳۲] تاريخ الطبرى ۵: ۲۱۳ عن المدائنى.

[۲۳۳] تاريخ الطبرى ۵: ۲۱۴- ۲۱۵ عن النميرى البصرى.

[۲۳۴] تاريخ الطبرى ۵: ۲۱۴ عن المدائنى.

خالد الجدلی وقال له: اذهب إلی ابن سمیّة! فرحّله عن البلد إلی ما وراء الجسر قبل أن یصبح فلا یصبح إلّا فیما وراءه! وقدم رسول معاویة علی زیاد: أن سِر إلی البصرة، فرحل إلیها[۲۳۵] وتملّک قصراً فأقام فیه واتّخذ له حاجباً.

وکأنه بلغه عزم معاویة علی الحجّ، فکتب إلیه یستأذنه فی الحجّ، فکتب إلیه یولّیه أمر الموسم ویجیزه بألف ألف (ملیون) درهم! فأخذ یتجهّز للحجّ لسنة (۴۴ ه-)، وبلغ ذلک أخاه نفیعاً أبا بکرة، فأقبل أبو بکرة یریده وبصر به حاجبه وعلم قصده فأسرع إلی زیاد وقال له: هذا أخوک أبو بکرة یرید قصرک! قال له: ویحک أنت رأیته؟ قال: هاهو ذا طلع! وکان زیاد قاعداً وفی حجره

ص: ۱۱۲

صبیّ یلاعبه، فجاء أبو بکرة حتّی وقف علیه بلا سلام والتفت إلی الغلام وقال له: یا غلام کیف أنت؟ قال له: إن أباک رکب فی الإسلام عظیماً! زنّی أُمّه وانتفی من أبیه، ولا والله ما علمت سمیّة رأت أبا سفیان قط! ثمّ هو یرید أن یرکب ما هو أعظم من ذلک: یوافی الموسم غداً ویوافی أُمّ حبیبة بنت أبی سفیان- وهی من أُمهات المؤمنین- فإن استأذن علیها فأذنت له فأعظم بها فریة علی رسول الله (ص) ومصیبة! وإن هی منعته فأعظم بها علی أبیک فضیحة! ثمّ انصرف.

فقال زیاد له: جزاک الله یا أخی عن النصیحة خیراً! ساخطاً کنت أو راضیاً!

ثم کتب إلی معاویة: إنی قد اعتللت عن الموسم! فلیوجّه أمیر المؤمنین إلیه من أحبّ فوجّه إلیه أخاه عتبة بن أبی سفیان[۲۳۶].

وکان زیاد فی شبابه سابقاً قد وقع فی بنی قیس بن ثعلبة علی أمة لهم فحملت منه وجاءت بذکر امتلکوه واسموه عبّاداً وکان فی البصرة خرّازاً یخرز القرب، وکان قد سمع من امّه ومنهم أنه لزیاد بن سمیّة، فلما بدأ زیاد یتجهّز جاء أصحاب القرب یعرضون علیه قربهم، وتقدم فیهم عبّاد فصار یعرض علیه ویحاوره، وکأن زیاداً لمح فیه ملامحه فسأله: ویحک من أنت؟ قال: أنا ابنک! ثمّ قصّ علیه قصّته، فصدّقه واشتراه منهم وادّعاه وألحقه، وتزوّج له الستیرة ابنة أنیف بن زیاد الکلبی سیدهم علی عهده، وعظم أمره[۲۳۷].

وحجّ معاویة لسنة (۴۴ ه-):

---

[۲۳۵] تاریخ الطبری ۵: ۲۱۶ عن المدائنی وغیره.

[۲۳۶] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۱۸۸ عن الجاحظ.

[۲۳۷] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۱۹۳ عن الکلبی النسابة، ولیس فی المنشور من کتابه مثالب العرب.

فقدم المدينة، فكان من استقبله من قريش أكثر من الأنصار، وكان فيهم قيس بن سعد بن عُبادة الأنصارى وكان سيّدهم فسأله معاوية: يا معشر الأنصار!

ص: ١١٣

ما لكم لا تستقبلونى مع إخوانكم من قريش؟ فقال قيس: أقعدنا- يا أمير المؤمنين!- أن لم تكن لنا دوابّ. فقال معاوية: فأين النواضح (نواقل الماء) يعيّرهم بها! فقال قيس: يا معاوية! تعيّرنا بنواضحنا! والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله وأن تكون كلمة الشيطان هى العليا، ثمّ دخلت أنت وأبوك فى الإسلام كرهاً حين ضربناكم عليه! أما إن رسول الله قال: «إنكم سترون بعدى أثرة» فقال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه! فقال: فاصبروا حتّى تلقوه! ثمّ قال له: كأنک تمنّ علينا بنصرتک إيانا! والله لقريش بذلک المنّ والطَّول إذ جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا!

فقال له قيس: إن الله عزّ وجل بعث محمّداً رحمة للعالمين، فبعثه إلى الناس كافة إلى الجن والإنس والأسود والأبيض والأحمر، واختاره لنبوّته واختصّه برسالته، فكان أوّل من صدّقه وأمن به ابن عمّه على بن أبى طالب، وكان أبو طالب عمه يذبّ عنه ويمنع منه ويحول بين كفار قريش وبينه أن يروّعوه أو يؤذوه، ويأمره بتبليغ رسالات ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتّى مات عمه أبو طالب وأمر ابنه عليّاً بمؤازرته ونصرته، فوازره علىّ ونصره وجعل نفسه دونه فى كلّ شديدة وكلّ ضيق وكلّ خوف، واختصّ الله بذلک عليّاً من بين قريش وأكرمه من بين جميع العرب والعجم ... فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلّا ذكره واحتجّ بهقال: ومن أهل هذا البيت حمزة سيد الشهداء، وجعفر بن أبى طالب الطيار فى الجنة بجناحين اختصّه الله بذلک من بين الناس، ومنهم فاطمة سيدة نساء العالمين، فإذا وضعت من قريش رسول الله و «أهل بيته» وعترته الطيبين فنحن والله خير- يا معشر قريش- وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى «أهل بيته» منكم! ثمّ لم يدع آية نزلت فى علىّ (ع) إلّا ذكرها.

فعند ذلک غضب معاوية وأمر فكتب كاتبه نسخة إلى عمّاله: ألا برئت الذمّة ممّن روى حديثاً فى مناقب على بن أبى طالب أو فضائل أهل بيته! وأمر فنادى

ص: ١١٤

مناديه بها فى المدينة، وقام الخطباء فى كلّ كورة وعلى كلّ المنابر بلعن علىّ (ع) والبراءة منه والوقيعة فيه وفى أهل بيته واللعنة لهم۲۳۸.

وزاره أبو قتادة الأنصارى الذى كان واليّاً لعلىّ (ع) على مكة، فقال له معاوية: يا أبا قتادة، تلقّانى الناس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار، فما منعكم؟ قال: لم يكن معنا دواب! قال معاوية: فأين النوق النواضح؟ يعيّرهم بحملهم المياه! فأجابه أبو قتادة: عقرناها فى طلبک وطلب أبيک يوم بدر! فقال معاوية: نعم يا أبا قتادة (ثمّ ماذا؟) فقال: إن رسول الله (ص) قال لنا: «ستلقون بعدى أثرة» فقال معاوية: فما أمركم به عند ذلک؟ قال: أمرنا بالصبر. قال: فاصبروا حتّى تلقوه! وكان حسّان بن ثابت قد مات فلما بلغ هذا إلى ابنه عبد الرحمان قال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر أمير المؤمنين نبا كلامى

فإنا صابرون ومُنظروكم إلى يوم

التغابن والخصام۲۳۹

ثمّ جمع النعمان بن بشير بشراً من الأنصار وصار بهم إلى هاوية معاوية فأقرّوا له بفقرهم! واستعطفوه بذكر الحديث النبوىّ لهم: «ستلقون بعدى أثرة» وقالوا: لقد لقيناها! فقال لهم معاوية: فما قال لكم؟ قالوا: قال لنا: «فاصبروا حتّى تردوا علىَّ الحوض» قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم! ولم يعطهم شيئاً!

نقله المعتزلى فى شرحه وعلّق عليه يقول: وهذا الخبر هو الذى يكفّر به كثير من أصحابنا (المعتزلة) معاوية بالاستهزاء به۲۴۰.

ص: ۱۱۵

وكما دخل عليه والى علىّ (ع) على مكة، دخل عليه والى على على المدينة أبو أيوب الأنصارى، وشكا إليه ديناً عليه، فلم يرفع رأسه إليه وجفاه!

---

[۲۳۸] كتاب سليم بن قيس ۲: ۷۷۷– ۷۸۰، الحديث ۲۶. وانظر مروج الذهب ۳: ۱۷، وخبراً عن الرضا(ع) بشأن قيس بن سعد وعبادته وشجاعته. وتخريجه فى ۳: ۹۸۸.

[۲۳۹] تاريخ الخلفاء للسيوطى: ۲۴۱، وانظر الغدير ۱۰: ۲۸۲ عن الاستيعاب وابن عساكر.

[۲۴۰] شرح النهج للمعتزلى ۶: ۳۲.

فقال أبو أيوب: صدق رسول الله: إنكم سترون بعدى أثرة فعليكم بالصبر! فقال معاوية: فأنا أوّل من أُصدّقه: صدق رسول الله! فقال أبو أيوب: أجرأة على الله ورسوله؟! فوالله لا أسألک شيئاً أبداً ولا اكلمک أبداً ولا يأوينى وإياک سقف بيت أبداً[٢٤١] ولعلّه كان أوّل من دخل ونقل له ذلک فكان أوّل من صدّقه فى ذلک!

معاوية وسعد فى المدينة:

وكان سعد بن أبى وقاص الزهرى قد اعتزل القتال، ونرى أوّل لقاء له بمعاوية هذه السنة فى المدينة: دخل عليه فسأله معاوية: ما لک لم تقاتل عليّاً؟! قال: مرّت بى ريح مظلمة فأنخت راحلتى حتّى انجلت عنّى فعرفت الطريق فسرت!

فقال معاوية: ولكن فى كتاب الله: (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ)[٢٤٢] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية!

فقال سعد: ما كنت لأُقاتل رجلا قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبى بعدى» فكأنّ معاوية أنكر ذلک فسأله: من سمع هذا معک؟ قال: فلان وفلان وأُمّ سلمة. فطلب إليه معاوية أن يقوما معاً إلى أُم سلمة فقاما إليها فسألاها فحدثتهما بما حدّث به سعد. فلما سمع

ص: ١١۶

ذلک معاوية قال جدلا: لو سمعت هذا قبل اليوم لكنت خادماً لعلىّ! حتّى يموت أو أموت[٢٤٣]!

وروى المفيد الخبر بسنده عن ابن عباس قال: نزل معاوية فى حجه المدينة فاستؤذن لسعد بن أبى وقاص عليه، فقال لجلسائه: إذا أذنت لسعد وجلس فخذوا فى علىّ بن أبى طالب! ثمّ أذن له فلما دخل أجلسه معه على سريره!

ثمّ سمعهم سعد يشتمون عليّاً (ع) فاستعبر سعد، ورآه معاوية فقال له: يا سعد! أتبكى أن يشتم قاتل أخيک عثمان!

فقال سعد: والله ما ملكت بكائى! ثمّ قال: خرجنا من مكة مهاجرين حتّى نزلنا هذا المسجد فكان فيه مبيتنا ومقيلنا، حتّى أخرجنا منه رسول الله وترک عليّاً، فاشتدّ علينا ذلک ولكنّا هِبنا نبىّ الله أن نذكر له ذلک! فقلنا لعائشة: إنّ لنا صحبة مثل

---

[٢٤١] الغدير ١٠: ٢٨٣ عن ابن عساكر.

[٢٤٢] الحجرات: ٩.

[٢٤٣] البداية والنهاية لابن كثير الشامى ٨: ٧٧، وعنه فى الغدير ١٠: ٢٥٨، وانظر تعليق الأمينى عليه. ونقله فى علل الشرائع ١: ٢۶٠ الباب ١۶٠ فى رسالة الشيبانى فى صلح الحسن(ع) وذكر استحالته وكذبه.

صحبة عليّ وهجرة مثل هجرته، وأخرجنا من المسجد وتركه فيه! فلا ندرى أمن سخط الله أو من غضب رسوله! وإنّا نهابه فاذكرى له ذلک! فذكرت ذلک له فقال لها: يا عائشة، لا والله ما أنا أخرجتهم ولا أنا أسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه!

وغزونا خيبر فانهزم من انهزم فقال نبى الله: «لُاعطين الراية اليوم رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» فدعاه وكان أرمد فتفل فى عينه وأعطاه رايته ففتح الله له!

وغزونا تبوک مع رسول الله (ص)، فودّع عليّ النبى على ثنيّة الوداع وبكى، فقال له النبى: ما يبكيک؟ فقال: كيف لا أبكى ولم أتخلّف عنک فى غزاة منذ بعثک الله تعالى، فما بالک تخلفنى فى هذه الغزاة؟

ص: ۱۱۷

فقال له النبى (صلى الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبىّ بعدى؟

فقال على: بلى قد رضيت۲۴۴.

وابن عباس ومعاوية:

قال اليعقوبى: وزاره عبد الله بن العباس فى جماعة من بنى هاشم، وكلّموه فى أُمورهم، فقال لهم:

أما ترضون- يا بنى هاشم- أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتّى تقولوا ما تقولون؟! فوالله لأنتم أحلّ دماً من فلان وفلان وأعظم لهم فى القول!

فقال له ابن عباس: كلّ ما قلت لنا- يا معاوية- من شرّ بين دفّتيک! وأنت والله أولى بذلک منّا: أنت قتلت عثمان ثمّ قمت تغمص على الناس أنک تطلب بدمه! فانكسر معاوية! فقال ابن عباس: والله ما رأيتک صدقت إلّا فزعت وانكسرت! فضحک معاوية ... ولم يقضِ لهم حاجة۲۴۵.

وكان ابن عباس يجلس بعلمه للناس، وقد اجتمع حوله حلقة من قريش، ومرّ عليهم معاوية فقاموا له إلّا ابن عباس، فتوقّف وقال له: يابن عباس؛ ما منعک من القيام كما قام أصحابک إلّا موجدة علىّ بقتالى إياكم فى صفّين! يابن عباس إن ابن عمى عثمان قتل مظلوماً! وكأنه يستثيره بها!

---

[۲۴۴] أمالى الطوسى: ۱۷۰ م ۶، الحديث ۳۹ عن المفيد وليس فى أماليه.

[۲۴۵] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۲۳.

فقال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً! أفسلمتم الأمر إلى ولده؟! فقال معاوية: إن عمر قتله مشرک. فقال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال:

ص: ۱۱۸

المسلمون! قال: فذلک أدحض لحجّتک أن کان المسلمون خذلوه وقتلوه! فبهت معاوية فصرف القول وقال:

يابن عباس، فإنا قد کتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذکر مناقب علیّ وأهل بيته! فکفّ لسانک وأربع على نفسک! فقال ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله (أی تفسيره وتطبيقه) قال: نعم! قال: فنقرأه ولا نسأل عن ما عنى به الله؟ قال: نعم! قال: فأيهما أوجب علينا: قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به! قال: فکيف نعمل به حتّى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟ قال: سل عن ذلک من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتک! قال: فإنّما أنزل القرآن على أهل بيتی فأسأل عنه آل أبی سفيان؟! أو أسأل عنه آل أبی مُعيط؟ أو اليهود والنصارى؟! قال معاوية: فقد عدلتنا بهم وصيّرتنا منهم! قال: لعمری ما أعدلک بهم، ولکنّک نهيتنا أن نعبد الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهى أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محکم أو متشابه! وإن لم تسأل الأُمة عن ذلک اختلفوا وتاهوا وهلکوا! قال معاوية: فاقرؤوا القرآن ولا ترووا شيئاً فيما أنزل الله فيکم وما قاله رسول الله فيکم (منع التحديث بالحديث) وارووا ما سوى ذلک! فتلا ابن عباس قوله سبحانه: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ)۲۴۶.

فقال معاوية: يابن عباس اکفنی نفسک وکفّ عنی لسانک! فإن کنت فاعلا فليکن ذلک سرّاً ولا يسمعه أحد منک علانية! ثمّ بعث إليه بخمسين ألف درهم۲۴۷!

ص: ۱۱۹

أُسامة بن زيد وعمرو بن عثمان:

کان النبی (ص) جعل حائطاً من حوائطه فی المدينة لمولاه زيد بن حارثة الکلبی أو بعده لابنه أُسامة، وکأنّ عثمان بن عفان کان قد تصرّف فيه، فلما قدم معاوية المدينة خاصمه عمرو بن عثمان على ذلک الحائط إلى معاوية بمجمع من الأمويين والهاشميين، وارتفع الکلام بينهما فقال عمرو لأُسامة: تلاحينی (تخاصمنی) وأنت مولای! فغضب أُسامة وقال: والله ما أنا بمولاک ولا يسرّنی أن أکون فی نسبک! مولای رسول الله (ص). فقال عمرو: ألا تسمعون بما يقابلنی به هذا العبد؟!

---

[۲۴۶] التوبة: ۳۲. وللتفصيل فی منع الحديث انظر: تاريخ تدوين الحديث حتّى عهد معاوية.

[۲۴۷] سليم بن قيس ۲: ۷۸۲– ۷۸۴، الحديث ۲۶. وتخريجه فی ۳: ۹۸۸.

يابن السوداء ما أطغاک! فقال أُسامة: أنت أطغى منى وألأم، تعيّرنى بأُمّى! وامى والله خير من امک (المجنونة) هى امّ أيمن مولاة رسول الله وقد بشّرها رسول الله فى غير مرّة بالجنة، وأبى خير من أبيک صاحب رسول الله وحِبّه ومولاه وقُتل شهيداً بمؤتة على طاعة الله ورسوله، وقبض رسول الله وأنا أمير على أبيک وأبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسروات المهاجرين والأنصار (كذا) فأنّى تفاخرنى يابن عثمان! فقال عمرو: يا قوم أما تسمعون بما يجبهنى هذا العبد؟!

فقام مروان فجلس إلى عمرو يدعمه، فقام الحسن (ع) فجلس إلى أُسامة، فقام عتبة أخو معاوية فجلس إلى عمرو، فقام عبد الله بن عباس فجلس إلى اسامة، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى بنى أُمية، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى بنى هاشم. فخشى معاوية من تفاقم الأمر فقال: أقول فيه بعلمى؟ قالوا: قل فقد رضينا. فقال: أشهد أن رسول الله جعله لأُسامة، فقم فاقبض حائطک هنيئاً مريئاً! فقام الهاشميون وانصرفوا.

فأقبل عمرو على معاوية وقال له: لا جزاک الله عن الرحم خيراً! ما زدت على أن كذبت قولنا وفسخت حجّتنا وشمتّ بنا عدونا! فقال معاوية: ويحک يا عمرو! إنى لما رأيت هؤلاء من بنى هاشم قد اعتزلوا ذكرت أعينهم تزوَرّ من تحت المغافر بصفين، نازعونى مهجة نفسى حتّى نجوت منهم بعد نبأ

عظيم وخطب جسيم، وما يؤمّننى منهم يابن عثمان وقد أحلّوا بأبيک ما أحلّوا! فانصرف فنحن مخلفون لک خيراً من حائطک إن شاء الله[٢٤٨]!

ولم يُذكر خبر عن لقائه بعائشة، ولعلّها لم تأذن له لقتله أخاها ابن أبى بكر بمصر فكانت تقنت عليه كما مرّ، وكأنّه بلغه عنها أنها لا تراه أهلًا للخلافة، ودخل عليه الحسن (ع) ومعاوية فى صدر مجلس ضيق ولم يوسع للامام فاضطره للجلوس عند رجليه! ثمّ شكا إليه معاوية مقالة عائشة متعجباً منها، فقال له الإمام: وأعجب من ذلک جلوسک فى صدر المجلس وأنا عند رجليک! فضحک وجلس وقال: يابن أخى! بلغنى أن عليک ديناً؟ كم هو؟ قال: مئة ألف! فأمر له بثلاثمئة ألف! وكان يزيد مع أبيه فتعجّب من ذلک فقال له أبوه: يا بنى، إنّ الحقّ حقّهم، فمن جاءک منهم فاحثُ له[٢٤٩]!

سعد ومعاوية فى الطريق وفى مكة:

وكأنّ ابن أبى وقاص تنقّص معاوية فى دينه من كلامه، فعزم على أن لا يكلّمه بل لا يردّ سلامه.

---

[٢٤٨] أمالى الطوسى: ٢١٢- ٢١٤ م ٨، الحديث ٢٠/ ٣٧٠ عن المفيد وليس فى أماليه.

[٢٤٩] شرح النهج للمعتزلى ١٦: ١٢ عن أمالى محمد بن حبيب.

فقد نقل الجهشیاری: أن سعداً تقدم معاویهٔ إلی مکهٔ فلحقه معاویهٔ فی الطریق بین الطلوعین ومعه أهل الشام، فوقف وسلّم علیه، فلم یردّ علیه سعد سلامه! فقال معاویهٔ لمن معه من أهل الشام: أتدرون من هذا؟ هذا سعد صاحب رسول الله، لا یتکلم حتی تطلع الشمس! فبلغ ذلک سعداً فقال: بل کرهت أن أُکلّمه[۲۵۰]!

ص: ۱۲۱

وکأنّ معاویهٔ لم یترک سعداً بل حاول أن یسعد حظّاً بمساعدهٔ سعد له، والتقی به فی طوافه، فاصطحبه معه إلی «دار الندوهٔ» ولعلّه إحیاء لمجد الجاهلیهٔ! وکان قد أعدّ فیه لنفسه سریراً، فأجلس سعداً معه علی سریره ثمّ شرع بالوقوع فی علیّ (ع) وسبّه! فزحف عنه سعد وقال له: أجلستنی معک علی سریرک ثمّ شرعت فی سبّ علی! والله لئن یکون لی خصلهٔ واحدهٔ من خصال کانت لعلیّ. فذلک أحبّ إلیّ من أن یکون لی ما طلعت علیه الشمس! أو حمر النعم! ثمّ ذکر حدیث الرایهٔ فی خیبر، والمنزلهٔ فی تبوک، والمباهلهٔ فی العاشرهٔ، ثمّ قال: فایم الله لادخلت لک داراً ما بقیت! ثمّ نهض لیقوم فضرط له معاویهٔ وقال له: اقعد حتّی تسمع جواب ما قلت: ما کنت عندی قط ألأم منک الآن، فهلّا نصرته؟ ولم قعدت عن بیعته؟ وکرّر هنا دعواه: إنی لو سمعت من النبی (ص) مثل الذی سمعت فیه لکنت خادماً لعلیّ ما عشت!

وأعرض سعد عن جواب هذا الخطاب، ولکنّه ضربه فی الصمیم فقال له: والله إنی لأحقّ منک بموضعک! وکان سعد من بنی زهرهٔ ولکنّه کان ینسب لبنی عُذرهٔ! فقال له معاویهٔ: یأبی علیک بنو عذرهٔ[۲۵۱].

وکان قد قدم معه من الشام بمنبر وضعه عند باب البیت الحرام فکان أوّل من وضعه[۲۵۲].

وکان قد حجّ معه عبدالله بن الزبیر ومعه ابنه عبّاد، فروی أحمد والطبرانی عنه قال: لما قدمنا مکّهٔ ظهراً صلّی بنا الظهر رکعتین ثمّ انصرف إلی دار الندوهٔ فقام إلیه عمرو بن عثمان مع مروان بن الحکم فقالا له: ألم تعلم أن ابن عمّک عثمان قد أتمّ الصلاهٔ بمکّهٔ! قال: ویحکما قد صلّیتهما مع رسول الله وأبی بکر

ص: ۱۲۲

وعمر رکعتین! قالا: فإنّ ابن عمّک قد أتمها وإن خلافک إیاه عیب علیه! فوعدهما بذلک وصلّی العصر أربعاً[۲۵۳]!

---

[۲۵۰] الوزراء والکتّاب: ۴۳.

[۲۵۱] مروج الذهب ۳: ۱۴– ۱۵ عن الطبری والنوفلی.

[۲۵۲] تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۲۲.

[۲۵۳] الغدیر ۱۰: ۱۹۰– ۱۹۱.

ولمّا حجّ لم يلبِّ فى عرفات والمشعر الحرام ومنى قبل الرمى۲۵۴ ولما كان العيد أمر مؤذنه أن يؤذن لصلاة العيد خلافاً للسنة الجارية المعمولة بالنداء بالصلاة فقط۲۵۵ ثمّ قدّم الخطبتين قبل الصلاة۲۵۶.

وذلک أن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لئلّا يسمعوا لعن علىّ (ع) فقدّم الخطبة ليسمعهم ذلک۲۵۷.

ثمّ وصل معاوية من حجّه إلى الشام، ووصل الأزدىّ الشامى إلى البصرة أميراً عليها لأول محرم سنة (۴۵ ه-).

هذا وقد مرّ عن البصرة فى أواخر عهد ابن عامر أنّها كانت قد انتشر أمرها وضعفت إدارتها، ولم يتغيّر حالها ووضعها عما كانت عليه فى الأشهر الأربعة من حكم الأزدى الشامى، فاستبد له بزياد.

إمرة زياد على البصرة:

بدأ حكم زياد على البصرة فى آخر شهر ربيع الآخر أو أول جمادى الأُولى، هذا والفسق بها ظاهر فاش۲۵۸.

وقد روى عن الوصىّ عن النبىّ قال: «كل أمر ذى بال لم يبدأ ببسم الله فهو أبتر»۲۵۹ ولذا نقل الجاحظ: أن خطباء السلف الطيّب ما زالوا يسمّون الخطبة

ص: ۱۲۳

- التى لم تُبتدأ (بالتسمية) والتحميد والتمجيد- بالبتراء، والتى لم تزيّن بالصلاة على النبىّ بالشوهاء. ثمّ روى بسنده: أن زياداً فى بدء أمره بالبصرة خطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها أو لم يسمّ وحمد فقال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه، اللهمّ كما رزقتنا نعماً فألهمنا شكراً على نعمتک علينا. أما بعد: فإن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغىّ المدنى بأهله على النار الباقى عليهم سعيرها: ما فيه سهفاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأُمور العظام، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشاها الكبير، كأن لم تسمعوا بآى الله ولم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمد الذى لا يزول. أتكونون

---

[۲۵۴] الغدير ۱۰: ۲۰۵- ۲۱۱.

[۲۵۵] الغدير ۱۰: ۱۹۱- ۱۹۵.

[۲۵۶] الغدير ۱۰: ۲۱۱- ۲۱۳.

[۲۵۷] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۲۳.

[۲۵۸] تاريخ الطبرى ۵: ۲۱۶- ۲۱۷.

[۲۵۹] بحار الأنوار ۷۶: ۳۰۴ عن تفسير الإمام.

كمن طرفت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانيۀ على الباقيۀ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه من تركككم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله! وهذه المواخير المنصوبۀ! ألم تكن منكم نهاۀ تمنع الغواۀ عن دَلَج الليل وغارۀ النهار! قربتم القرابۀ وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتغضّون على المختلس، كل امرئ منكم يذبّ عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً! ما أنتم بالحلماء وقد اتّبعتم السفهاء! ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام! حرام علىَّ الطعام والشراب حتّى اسوّيها بالأرض إحراقاً وهدماً! وإنى أُقسم بالله لآخذن الولى بالولىّ والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول له: أُنج سعد فقد هلک سعيد! أو تستقيم لى قناتكم! إياى ودلج الليل فإنى لا اوتى بمدلج إلّا سفكت دمه، وقد أجّلتكم فى ذلک بقدر ما يصل الخبر الكوفۀ ويرجع إلىَّ! وإياى ودعوى الجاهليۀ! فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلّا قطعت لسانه! فمن غرّق قوماً غرّقته! ومن حرّق على قوم حرّقناه! ومن نقب بيتاً نقّبت عن قلبه! ومن نبش قبراً دفنته

ص: ۱۲۴

فيه حيّاً! فكفّوا عنّى أيديكم وألسنتكم أكفف يدى وأذاى! لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامّتكم إلّا ضربت عنقه! وايم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرۀ فليحذر كلّ امرئ منكم أن يكون من صرعاى! ولست محتجباً عن طالب حاجۀ منكم ولو أتانى بليل.

فقام الصحابى أبو بلال مرداس بن اديۀ وقال له: قال الله: (أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى* وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى)[۲۶۰] فأنبأنا الله بغير ما قلت وأوعدنا خيراً مما واعدت يا زياد!

فقال زياد: انا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابک سبيلا حتّى نخوض إليكم الباطل خوضاً[۲۶۱].

واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن العبيدى (أو اليربوعى) وجعلهم أربعۀ آلاف. وقيل له: إن السبل مخوفۀ! فقال: لا أُعانى شيئاً الآن وراء هذا المصر حتّى أغلب على المصر وأصلحه. وكان يؤخّر صلاۀ العشاء حتّى يكون آخر من يصلّى، ثمّ يأمر رجلا يرتل سورۀ البقرۀ، ثمّ يمهل بقدر ما يبلغ شخص محلۀ الخريبۀ بالبصرۀ القديمۀ، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فلا يرى أحداً إلّا قتله!

---

[۲۶۰] النجم: ۳۸- ۳۹.

[۲۶۱] البيان والتبيين للجاحظ البصرى ۲: ۶۱- ۶۶، والأخبار الموفقيات: ۳۰۴ بمختلف الروايات، والطبرى ۵: ۲۱۸- ۲۲۱.

وقدم البصرة أعرابى ببقرة له حلوب وغشيه الليل فأقام بموضع ليصبح، ولا علم له بنداء زياد، فأخذوه إليه فسأله عن ندائه فقال: لا والله لا علم لى بما كان من الأمير! قال: أظنک صادقاً ولكن فى قتلک صلاح هذه الأُمة! فضرب عنقه.

ص: ١٢٥

فجرّد السيف وأخذ بالظنّة وعاقب على الشبهة، فخافه الناس خوفاً شديداً حتّى أمن بعضهم بعضاً، وحتّى كانت المرأة تبيت فلا تغلق عليها بابها! وحتّى كان يسقط شىء من أحد فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه! وحتى كان يقول: لو ضاع بينى وبين خراسان حبل لعلمت من أخذه! فكان أول من أكّد الملک لمعاوية وألزم الناس طاعته وشدّ من أمر السلطان، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله.

وبنى مدينة الرزق (وكانت من مسالح الفرس بالبصرة) فكانت بيت المال، وأدرّ العطاء عليهم، وكتب خمسمئة من مشايخ أهل البصرة فى صحابته ما بين الثلاثمئة إلى الخمسمئة (درهم أو دينار)٢٦٢!

واستعان بعدة من الصحابة فاستقضى عمران بن حُصين الخزاعى، ثمّ سَمُرة بن جُندَب الأنصارى، ثمّ أنس بن مالک، ثمّ عبد الله بن فضالة الليثى ثمّ أخاه عاصم بن فضالة ثمّ زرارة بن أوفى الحريثى وقد تزوّج زياد اخته.

واتّخذ خمسمئة من شرطته حرّاساً مرابطين لا يبرحون المسجد (والقصر) عليهم شيبان السعدى التميمى، ومشوا بين يديه بالحراب والعمد!

وجعل خراسان أربعة أقسام: فجعل على مرو أمير بن أحمر اليشكرى الهمدانى، وعلى أبرشهر خُليد بن عبد الله الحنفى، وعلى مرو الرود والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة وبادغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحى٢٦٣.

ص: ١٢٦

وحمل الدؤلى على تنقيط المصحف:

مرّ الخبر أن عليّاً (ع) بعد الجمل بالبصرة علّم أبا الأسود الدؤلى النحو. وكان زياد بن أبيه يومئذ مع الإمام (ع) وعلم بذلک.

---

[٢٦٢] تاريخ الطبرى ٥: ٢٢٢– ٢٢٣ عن النميرى البصرى عن المدائنى البصرى وغيره، وعنه قبله فى الموفقيات: ٣٠٧ وفيه: أنه صحّ أوّل يوم بسبعمئة رأس بباب القصر: وفى الآتية بخمسين رأساً! وفى الثالثة برأس واحد! ولعلّه هو الأعرابى التالى خبره.

[٢٦٣] تاريخ الطبرى ٥: ٢٢٤ عن النميرى البصرى عن المدائنى البصرى وغيره.

فنقل ابن النديم، عن أبى عبيد البصرى قال: بعث زياد إلى أبى الأسود وأمره أن يعمل شيئاً يُعرف به (حركات) كتاب الله، فاستعفاه من ذلک. ثمّ سمع قارئاً يقرأ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ) بكسر اللام! فقال: ما ظننت أنه قد آل أمر الناس إلى هذا! فرجع إلى زياد وقال له: أفعل ما أمر به الأمير! فليبغنى كتاباً لَقناً يفعل ما أقول. فاتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأُتى بآخر (منهم) فقال له أبو الأسود: إذا رأيتنى فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمى فانقط نقطة بين يديه، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[٢٦٤].

وأخذ يقرأ القرآن بالتأنّى والكاتب يضع النقط، وكلّما أتمّ الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها، واستمر على ذلک، حتّى أعرب المصحف كلّه، فجرى الناس على طريقته. ثمّ زاد أتباعه علامات اخرى للسكون ولألف الوصل، ووضع أهل المدينة علامة للحرف المشدّد[٢٦٥].

أراد يزيد ورشّحوا غيره فقتله:

ومنذ سنة (٤٥) بدأ أبو يزيد بالتمهيد لترشيحه لولاية عهده من بعده، فاختار قائداً سابقاً من قوّاد غاراته: سفيان بن عوف الغامدى ووجّهه لغزو ثغر الروم إلى

ص: ١٢٧

قرية انطوانة، وأرفق معه ابنه يزيد ومعه زوجته أُم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، فتقدموا حتى بلغوا الفرقدونة وأصاب طاعون كثيراً منهم، ويزيد متخلّف عنهم بدير مُرّان، وبلغه ذلک وهو مع ندمائه على شرابه مع أُم كلثوم فقال:

أهون علىّ بما لاقت جموعهم يوم الطّوانة ٢٦٦من حمّى ومن موم!

إذا اتّكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مُرّان، عندى امّ كلثوم!

وبلغ ذلک معاوية وكان على خلاف مرامه منه فقال: والله ليغزونّ! وأردف معهم أبا أيوب الأنصارى، فبلغوا إلى أبواب القسطنطينية ومات أبو أيوب فدفن هناک[٢٦٧].

---

[٢٦٤] الشيعة وفنون الإسلام: ١٦٣ عن الفن الأول من المقالة الثانية من الفهرست، وعنه فى التمهيد ١: ٣١٠- ٣١١ ولكنه قال: كان والياً على الكوفة، والصحيح: كان ذلک بالبصرة حيث أبو الأسود البصرى، وانظر تاريخ القرآن للزنجانى: ٩٦.

[٢٦٥] انظر تاريخ القرآن للزنجانى: ٩٦.

[٢٦٦] (أو: بالقدقدونة).

وفی شتاء سنة (۴۶ ه-) أغزی معاویة عبد الرحمان بن خالد بن الولید من عمله علی حمص إلی ثغور الروم، فغزاهم وعاد، وکان قد عظم شأنه بالشام ومال أهلها إلیه لغنائه بأرض الروم وبأسه۲۶۸.

وبدأ معاویة یبدی قوله بکبر سنّه ودنوّ أجله، یرید التمهید لیزید، فخطبهم وقال: یا أهل الشام، إنه قد کبرت سنّی وقرب أجلی، وقد أردت أن أعقد لرجل یکون نظاماً لکم، وإنما أنا رجل منکم فرؤا رأیکم! فقالوا: قد رضینا بعبد الرحمان ابن خالد بن الولید! فشق ذلک علی معاویة وأسرّها فی نفسه، وکان له طبیب نصرانی أو یهودی مکین عنده یقال له: ابن أثال، ومرض عبد الرحمان،

ص: ۱۲۸

فأمر معاویة طبیبه أن یذهب إلیه فیسقیه ما یقتله به! فأتاه وسقاه فانخرق بطنه ومات بحمص، فولّاه معاویة خراجها ووضع عنه خراجه۲۶۹.

المغیرة الثقفی وحجر الکندی:

مرّ الخبر عن وصیة معاویة الأکیدة الشدیدة علی المغیرة عند تولیته الکوفة بعدم الکفّ عن الکفر بسبّ إمام الإیمان أمیر المؤمنین (ع)، وکیفیة مقالة المغیرة فی ذلک.

فروی الطبری، عن الکلبی، عن أبی مخنف، عن الشعبی- وهو یمدح المغیرة- أنّ حُجر بن عَدی الکندی لما سمع المغیرة قال ذلک قام فقال: إنّ الله عزّ وجل یقول: (کُونُوا قَوَّامِینَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ)۲۷۰ فأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعیّرون لأحقّ بالفضل، وأن من تزکّون وتطرون أولی بالذم!

---

[۲۶۷] مروج الذهب ۳: ۲۴ وتاریخ الیعقوبی ۲: ۲۲۹، وفی رجال الکشّی: ۳۸، الحدیث ۷۷: سئل الفضل بن شاذان عن قتال أبی أیوب مع معاویة فقال: کانَ ذلک منه أنّه ظنَّ ظنّاً أنّه إنّما یعمل عملا یقوی به الإسلام ویوهن به الشرک وأنّه لیس علیه من معاویة شیء کان معه و لم یکن وکانَ ذلک منه غفلة وقلّة فقه!

[۲۶۸] الطبری ۵: ۲۲۷ ونحوه فی الیعقوبی ۲: ۲۲۳.

[۲۶۹] انظر الغدیر ۱۰: ۲۳۳ عن ترجمة عبد الرحمان فی الاستیعاب؛ لأنه کان قد أدرک النبیّ فعدّه فی الأصحاب. وقال: ثمّ دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفیاً، وکان ابن أثال یسمر عند معاویة فخرجوا من عنده ومعه قوم، فهجم المهاجر وغلامه علیهم فهرب القوم وقتل ابن أثال. ونقل عن الأغانی قال: قتله خالد بن المهاجر، وأُخذ إلی معاویة فقال له: لا جزاک الله من زائر خیراً! قتلت طبیبی؟! فقال: قتلت المأمور وبقی الآمر! وقال أبو عمر: وهی قصة مشهورة فی أهل العلم بالآثار والأخبار، ومنهم النمیری البصری فی أخبار المدینة. یعنی تاریخ المدینة المحقق والمنشور ولکن لیس هذا فیه! وفی الیعقوبی ۲: ۲۲۳: قتله خالد بن عبد الرحمان بإثارة المنذر بن الزبیر بن العوّام! فحبسه معاویة أیاماً حتی أدّی دیته فأطلقه، وانظر الطبری ۵: ۲۲۴ عن النمیری البصری، عن المدائنی البصری.

[۲۷۰] تاریخ الطبری ۵: ۲۵۴- ۲۵۵، والآیة ۱۳۵ من سورة النساء.

فقال له المغيرة: يا حُجر! ويحک! اتّقِ السلطان، اتّقِ غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان أحياناً مما يهلک كثيراً أمثالک! ثمّ يصفح عنه.

ودعا المغيرة يوماً على قتلة عثمان، وقد بلغ الكبر، فقام حُجر عليه ونعر نعرة أى صيحة شديدة قال له: أيها الإنسان، إنک لا تدرى بمن تولع من هرمک! أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين! وقد حبست عنّا أرزاقنا

ص: ١٢٩

وليس ذلک لک، ولم يكن يطمع فى ذلک من كان قبلک فأمر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا. فقام معه أكثر من ثلثى الناس يتنادون: برّ والله حجر وصدق، مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فانا لا ننتفع بقولک هذا ولا يجدى علينا شيئاً! فسكت المغيرة ونزل ودخل.

فدخل عليه قومه فكان أشدّهم عليه عبد الله بن أبى عقيل الثقفى عظّموا عليه أمر حُجر وقوله وجرأته عليه وسخط معاوية عليه إذا بلغه ذلک ووهن سلطانه.

فقال لهم: إنه قد اقترب أجلى وضعف عملى، ولا احبّ أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم! وسفک دمائهم! فيسعدوا بذلک وأشقى! ويعزّ فى الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة! وسيذكرونى لو قد جرّبوا العمّال بعدى، إنه سيأتى أمير بعدى فيحسبه مثلى فيفعل شبيهاً بما ترونه يصنع بى فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة[٢٧١]!

وكتب معاوية إلى المغيرة أن يمدّه بمال، فجهّز له المغيرة قافلة، فلما فصلت القافلة جاء حُجر بجمع من أصحابه فحبس القافلة وقال حجر: والله لا تذهب حتّى يُعطى كل ذى حقّ حقّه (المتأخر) وقال شباب ثقيف للمغيرة: ائذن لنا نقتله! فقال: ما اقتل حُجراً أبداً! فبلغ ذلک معاوية فأراد عزله[٢٧٢].

وبلغ ذلک المغيرة فأراد أن يدرک ذلک فيستدركه، فقدم عليه وشكا إليه ضعفه واستعفاه. وكان مع المغيرة كاتبه ابن خنيس فأحسّ أن معاوية يريد أن يولى الكوفة سعيد بن العاص الأموى وانتهى الخبر إلى المغيرة، فدخل على

ص: ١٣٠

يزيد بن معاوية، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فعرّض بالبيعة له بالكوفة بولايته العهد[٢٧٣]! ولعلّه لعلمه بتمهيد معاوية له.

---

[٢٧١] تاريخ الطبرى ۵: ۲۵۴- ۲۵۵.

[٢٧٢] تاريخ الشام لابن عساكر ۴: ۸۴، وعنه فى تعاليق الغارات ۲: ۸۱۵.

المغيرة وولاية العهد ليزيد:

دخل المغيرة على يزيد وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله) وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقى أبناؤهم، وأنت من أفضلهم! وأحسنهم رأياً! وأعلمهم بالسنّة والسياسة! ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين! أن يعقد لک البيعة! فقال يزيد: أو ترى يتمّ ذلک؟ قال: نعم! فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة.

فأحضر معاوية المغيرة وسأله: ما يقول يزيد؟ قال: يا أمير المؤمنين! قد رأيت ما كان من سفک الدماء والاختلاف بعد عثمان! وفى يزيد منک خلف! فاعقد له، فإنْ حدث بک حادث كان للناس كهفاً ومنک خلفاً، ولا تسفک دماء ولا تكون فتنة!

فقال معاوية: ومن لى بهذا؟ قال: أنا أكفيک أهل الكوفة، وزياد يكفيک أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفک! قال: فارجع إلى عملک وتحدّث مع من تثق إليه فى ذلک، وترى ونرى. فودّعه وعاد إلى أصحابه فقال لهم: لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أُمّة محمّد (كذا) وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً[٢٧٤]!

ص: ١٣١

المغيرة يكفّر معاوية:

قضى مرام المغيرة من سفرته هذه، وحيث تزلّف فيها إلى معاوية، وتحدّث معه عن كبر سنّه ورغّبه فى تولية عهده ليزيد، كأنّه طمع فيه أن يبسط عدلا ويظهر خيراً، ويصل أرحام بنى هاشم، وكان يذهب إليه فى الليالى يتحدّث معه، فخلا به ليلة فقال له:

يا أمير المؤمنين! إنک قد بلغت سنّاً وقد كبرت، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيراً، ونظرت إلى إخوتک من بنى هاشم! فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شىء تخافه، وإن ذلک مما يبقى لک ذكره وثوابه!

فقال له: هيهات هيهات! أىّ ذكر أرجو بقاءه! ملک أخو تيم (أبو بكر) فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلک حتّى هلک ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر! ثمّ ملک أخو عدى (عمر) فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلک حتى هلک ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر! ثمّ ملک أخونا عثمان فملک رجل لم يكن أحد فى مثل نسبه، فعمل ما عمل وعُمل به، فوالله ما

---

[٢٧٣] تاريخ الطبرى ۵: ٣٠١- ٣٠٢ عن المدائنى، عن الشعبى. وفى الإمامة والسياسة: ١۶۵: أنه فاتح معاوية بذلک رأساً.

[٢٧٤] الكامل لابن الأثير ٣: ٢١۴، وانظر الغدير ١٠: ٢٢٩.

عدا أن هلک فهلک ذکره وذکر ما فعل به! وإن أخا هاشم- أو: ابن أبی کبشة- یصرخ به فی کل یوم خمس مرّات: «أشهد أن محمّداً رسول الله» فأیَّ عمل یبقی مع هذا؟ لا امّ لک؟! لا والله إلّا دفناً دفناً!

نقل الخبر الزبیر بن بکار، عن المدائنی، عن مطرّف بن المغیرة قال: کان أبی یذهب کلّ لیلة فیتحدّث مع معاویة ثمّ ینصرف إلیّ فیذکر من عقله ویُعجب برأیه! وعاد ذات لیلة مغتماً وأمسک عن العشاء فانتظرته ساعة ثمّ قلت له: ما لک أراک مغتماً؟ فقال لی: یا بنیّ! جئتک من عند أخبث الناس وأکفرهم! قلت: وما ذاک؟ قال: فحدّث بذلک الحدیث۲۷۵!

ص: ۱۳۲

وفد العراق لولایة عهد یزید:

أجل، أجّل المغیرة عشاءه مع ابنه المطرّف مغتماً مما هاله من اکتشاف أشدّ الخبث والکفر والنفاق فی صاحبه وأمیره معاویة، وإلّا فإنّ هذا لم یحرّک فیه الغیرة لیغیّر علی معاویة ما وعده به من کفایته أمر أهل الکوفة لحملهم علی الإذعان بولایة یزید لعهد أبیه معاویة، بل عاد إلی الکوفة وأخذ یذاکر من عرفه بتشیّعه لمعاویة وبنی أُمیة فی أمر یزید، فأجابه جماعة منهم إلی ذلک، فأوفد منهم وفداً: عشرة مع ابنه الآخر موسی، وأعطاهم ثلاثین ألف درهم لکلّ واحد منهم ثلاثة آلاف! أو أربعین رجلا مع ابنه الآخر عروة بأربعمئة دینار لکلّ واحد منهم عشرة دنانیر!

فلما دخلوا علی معاویة قالوا له: إنهم إنما شخصوا إلیه للنظر فی أمر أُمة محمّد (صلی الله علیه وآله)! ثمّ قالوا له:

یا أمیر المؤمنین! لقد کبر عمرک وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً وحدّ لنا حدّاً ننتهی إلیه!

فقال لهم: أشیروا علی! فقالوا: نشیر علیک بابنک یزید! فقال لهم: أو قد رضیتموه! قالوا: نعم! قال: وهذا رأیکم؟ قالوا: نعم ومن معنا من ورائنا! فقال لهم: ننظر ما قدمتم له ویقضی الله ما أراد! والأَناة خیر من العجلة! فکونوا علی رأیکم ولکن لا تعجلوا بإظهاره!

ثم سأل موسی سرّاً: بکم اشتری أبوک من هؤلاء دینهم؟ قال: بثلاثین ألف درهم! أو قال ذلک لعروة فقال: بأربعمئة دینار! فقال: لقد هان علیهم دینهم! أو: لقد وجد دینهم رخیصاً عندهم۲۷۶!

---

[۲۷۵] مروج الذهب ۳: ۴۵۴ عن الموفّقیات للزبیر بن بکار، والاربلی فی کشف الغمة ۲: ۴۲ عنه کذلک، وشرح النهج للمعتزلی ۵: ۱۲۰ کذلک، ونقله المسعودی عن ندیم المأمون للمأمون أیضاً.

[۲۷۶] الکامل لابن الأثیر ۳: ۲۱۴- ۲۱۵، وانظر الغدیر ۱۰: ۲۲۹- ۲۳۰. ولم یذکره الطبری.

ص: ۱۳۳

وإنّ رخص دين هؤلاء العراقيين الكوفيّين الأمويين وهوان دينهم عليهم وإذعانهم لولايهٔ عهد يزيد، أطمع معاويهٔ فی البصريّين العثمانيين ولعلهم كانوا أولی بذلک، والمغيرهٔ كان قد أغری معاويهٔ فی ذلک بزياد وهو أولی بذلک إذ أصبح عمّ يزيد! ومع ذلک اكتفی معاويهٔ فی كتابه إلی زياد باستشارته فی ذلک! بدون أن يخبره بما فعل المغيرهٔ ووفده، فكتب زياد إليه يشير عليه بالتوئدهٔ وأن لا يعجل فی ذلک، وقبل منه معاويهٔ فكفّ عنه بعض الشیء.

وعمد زياد إلی عبيد بن كعب النميری البصری وقال له: إن أمير المؤمنين! كتب إلیّ يستشيرنی فی عزمه علی بيعهٔ ابنه يزيد! وهو يتخوّف نفرهٔ الناس من ذلک! ذلک أنّ يزيد صاحب رسلهٔ وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد! فما تقول؟

فقال: أنا ألقی عنک يزيد سرّاً عن أبيه معاويهٔ فأخبره عنک أن أباه معاويهٔ كتب إليک يستشيرک فی بيعته، وأنک تخاف خلاف الناس، لهنات ينقمونها عليه، وأنک تری له ترک ما ينقم عليه، فتستحكم له الحجهٔ علی الناس، ثمّ شخص وفعل ما قاله۲۷۷.

موت المغيرهٔ وزياد علی العراقين:

لعلّه لم يمرّ علی عودهٔ وفد المغيرهٔ عهد بعيد حتّی لحقهم الطاعون بالكوفهٔ، فهرب المغيرهٔ من الطاعون وخفّ الطاعون فعاد إليها فاصيب بها ومات فی سنهٔ تسع وأربعين۲۷۸ فی شهر شعبان۲۷۹ وكان رجلًا طوالًا أعور أُصيبت عينه فی اليرموک، مات وهوابن سبعين سنهٔ. فكتب معاويهٔ إلی زياد بعهده علی الكوفهٔ مع

ص: ۱۳۴

البصرهٔ، وكان سُمرهٔ بن جُندَب الأنصاری بعد زيارته معاويهٔ وتأويله له الآيتين من سورهٔ البقرهٔ بشأن أمير المؤمنين علی (ع) وقاتله ابن ملجم بالتحريف، كان قد قدم البصرهٔ، فاستخلفه زياد عليها وشخص بأهله إلی الكوفهٔ، فأقام بها إلی آخر تلک السنهٔ ستهٔ أشهر، ثمّ أخذ يختلف بينها وبين البصرهٔ كل ستهٔ أشهر۲۸۰.

زياد أميراً علی الكوفهٔ:

---

[۲۷۷] تاريخ الطبری ۵: ۲۰۲ عن المدائنی البصری باختصار.

[۲۷۸] تاريخ الطبری ۵: ۲۳۳، ومروج الذهب ۳: ۲۴، وهذا التاريخ أوفق مع سائر الحوادث التاليهٔ.

[۲۷۹] تاريخ خليفهٔ: ۱۲۸، والطبری ۵: ۲۳۴.

[۲۸۰] تاريخ الطبری ۵: ۲۳۴– ۲۳۵.

دخل زياد الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ هذا الأمر أتانى وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص إليكم فى ألفين من شرطة البصرة (كذا) ثمّ ذكرت أنكم أهل حقّ! فأتيتكم فى أهلى ... فحصبوه حتّى أمسكوا! فدعا خاصّته، وأمر فوضع له كرسىّ على باب المسجد (وسدّ سائر الأبواب) ثمّ أمر أن يخرجوا أربعة أربعة! فيحلفون له أنهم لم يحصبوه، فمن لم يحلف منهم عزله وحبسه، فكانوا ثمانين أو ثلاثين رجلا! فأمر بهم فقطعوا أيديهم فى المكان! ثمّ أمر فبنوا له المقصورة للمحراب كما فعل معاوية.

وأتاه عُمارة بن عُقبة بن مُعيط الأُموى الذى كان قد بقى بالكوفة جاسوساً لمعاوية، ومعه يزيد بن رُويم الشيبانى وعمرو بن حُريث المخزومى، فأخبره الأوّلان: أن «شيعة أبى تراب» يجتمعون إلى عمرو بن الحمق الخزاعى! فقال الثالث المخزومى: ما يدعوك إلى رفع تقرير فيما لا تتيقّنه ولا تدرى عاقبته! بل ما كان (عمرو بن الحمق) أكثر إقبالا على ما ينفعه منه اليوم! فأمرهم زياد أن يقوموا إليه ويقولوا له عنه: ما هذه الزرافات التى تجتمع عندك؟! من أرادك أو أردت كلامه ففى المسجد. ثمّ قال: ولو علمت أن مخّ ساقه يسيل من بغضى فلا اهيجه حتّى يخرج علىَ[٢٨١].

ص: ١٣٥

وكان من بقايا خوارج النهروان بالبصرة: زحّاف الطائى وقريب الايادى وكانا ابنى خالة، وكأنّهم تجرّؤوا بعد خروج زياد منها إلى الكوفة أن يخرجوا بها فى شهر رمضان سنة (٤٩ ه-) ومعهم سبعون رجلا من بنى يشكر من همدان، فأمر زياد خليفته سمرة بالاشتداد عليهم، واشتد سمرة بالبصرة حتّى أنّه لما عاد زياد إليها فى أول سنة الخمسين كان سمرة قد استعرض أهل البصرة فقتل منهم ثمانية آلاف! فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً أحداً! قال: لو كنت قتلت معهم مثلهم ما خشيت من ذلك! وكان منهم سبعة وأربعون من بنى عدىّ من قرّاء القرآن وحفّاظه[٢٨٢].

كان يؤتى بالرجل فيقول له: ما دينك؟ فيشهد الشهادتين ويتبرّأ من الخوارج، ومع ذلك يقتله[٢٨٣].

فعزله معاوية، فكان يقول: لعن الله معاوية! والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذّبنى أبداً[٢٨٤]!

---

[٢٨١] تاريخ الطبرى ٥: ٢٣٥- ٢٣٦.

[٢٨٢] تاريخ الطبرى ٥: ٢٣٧- ٢٣٨.

[٢٨٣] تاريخ الطبرى ٥: ٢٩٢.

[٢٨٤] تاريخ الطبرى ٥: ٢٩١. وفى تهذيب ابن حجر ٤: ٢٣٧: أن النبى(صلى الله عليه وآله) كان قد قال له ولأبى هريرة وأبى محذورة: آخركم موتاً فى النار! فمات أبو هريرة فى المدينة سنة(٥٩) وبقى هو بالبصرة وأبو محذورة بمكة فكان كلّ منهما يسأل المسافرين عن الآخر حتى مات أبو محذورة قبل سمرة كما فى أنساب الأشراف ١: ٥٢٧ فأخذت سمرة الزمهريرة وكزاز شديد فكان يتعالج بالقعود على قدر مملوءة ماء حاراً فسقط فيها فمات آخر تسع وخمسين، كما

ص: ۱۳۶

وتعقّب المولى سعيد بن سرح:

مرّ فى أخبار صلح الإمام (ع) أخذه الأمان لعامّة أصحابه ولخاصّة منهم، ولم يذكر فيهم سعيد بن سرح، ولكن ابن خلّكان قال: لما استلحق معاوية زياداً وقرّبه وأحسن إليه وولّاه، صار من أكبر الأعوان على بنى على (رضى الله عنه) حتّى قيل: إنّ زياداً لما كان أمير العراقين طلب رجلا من أصحاب الحسن (رضى الله عنه) يعرف بابن سرح، وكان فى الأمان الذى كتبه لأصحابه (رضى الله عنه) فكتب الحسن إلى زياد: «من الحسن إلى زياد، أما بعد، فقد علمت ما كنّا أخذنا لأصحابنا من الأمان، وقد ذكر لى ابن سرح أنک عرضت له، فأحبّ أن لا تعرض له إلّا بخير، والسلام»۲۸۵.

وروى المعتزلى، عن الشرقى بن القطامى قال: كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس «شيعة» لعلى (ع)، فلما قدم زياد الكوفة طلبه، فخافه فأتى الحسن (ع) مستجيراً به، فوثب زياد على أهله وأولاده وأخيه فحبسهم! وصادر أمواله ونقض داره! فكتب الحسن (ع) إلى زياد:

«من الحسن إلى زياد، أما بعد، فإنک عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله وحبست أهله وعياله! فإن أتاک كتابى هذا فابن له داره واردد عليه عياله وماله، وشفّعنى فيه، فقد أجرته، والسلام».

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان! إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد، فقد أتانى كتابک تبدأ فيه بنفسک قبلى! وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة!

ص: ۱۳۷

وتأمرنى فيه بأمر المطاع المسلّط على رعيّته! كتبت إلىّ فى فاسق آويته إقامة منک على سوء الرأى! ورضا منک بذلک وايم الله لا تسبقنى به ولو كان بين جلدک ولحمک وإن نلت بعضک! غير رفيق بک ولا مرع عليک! فإنّ أحبّ لحم علىّ أن آكله للّحم الذى أنت منه! فسلّمه بجريرته (؟) إلى من هو أولى به منک! فإن عفوتُ عنه لم أكن شفّعتک فيه؟ وإن قتلته فلا أقتله إلّا لحبّه أباک الفاسق! والسلام.

فى أسد الغابة ۲: ۳۵۵ أو بالكوفة بعد قتل الحسين(ع) وعقبه بها كما فى المعارف لابن قتيبة: ۳۰۵ وقال: قال النبى ذلک لعشرة من أصحابه! وفى البلاذرى قال: آخر أصحابى موتاً وهما تحريف.

[۲۸۵] وفيات الأعيان ۲: ۳۸۸ ط بولاق، فى ترجمة يزيد بن المفرّغ الحميرى. ونقل مثله المعتزلى فى شرح النهج ۱۶: ۱۸ عن المدائنى البصرى وهو الأصل فى الخبر. وانظر مسند الإمام المجتبى للعطاردى: ب ۵۷.

فلما ورد الكتاب على الحسن (ع) قرأه وتبسّم، وكأنّه (ع) علم أنّه إنما غضب لعدم نسبته فی کتابه إلی أبی سفیان! فکتب فی جواب کتابه: «من الحسن بن فاطمهٔ إلی زیاد بن سمیهٔ! أما بعد، فإن رسول الله (صلی الله علیه وآله) قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر» والسلام. وکتب بذلک إلی معاویهٔ وضمّ إلیه کتاب زیاد.

فلما قرأ معاویهٔ کتاب زیاد إلی الحسن ضاقت به الشام! وکتب إلی زیاد: أما بعد فإنّ الحسن بن علی بعث إلیّ بکتابک إلیه جواباً عن کتاب کتبه إلیک فی ابن سرح، فأکثرت العجب منک! وعلمت أن لک رأیین: أحدهما من أبی سفیان والآخر من سمیهٔ! فأمّا الذی من أبی سفیان فحلم وحزم! وأما الذی من سمیّهٔ فما یکون من رأی مثلها! ومن ذلک کتابک إلی الحسن تشتم أباه وتعرّض له بالفسق، ولعمری إنک الأولی بالفسق من أبیه! فأمّا أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً علیک فإنّ ذلک لو عقلت لا یضعک! وأما تسلّطه بالأمر فحقّ لمثل الحسن أن یتسلّط! وأمّاترکک تشفیعه فیما شفع فیه إلیک فحظّ دفعته عن نفسک إلی من هو أولی به منک، فإذا ورد علیک کتابی فخلّ ما فی یدیک من سعید بن سرح وابنِ له داره واردد علیه ماله ولا تعرض له، وقد کتبت إلی الحسن أن یخیّره: إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلی بلده، فلا سلطان لک علیه بید أو لسان!

ص: ۱۳۸

وأما کتابک إلی الحسن باسمه واسم امّه ولا تنسبه إلی أبیه، فویحک إن الحسن من لا یُرمی به فی رجوان (الآبار) وإلی أیّ امّ وکلته- لا امّ لک- أما علمت أنّها فاطمهٔ بنت رسول الله صلّی الله علیه وسلم (بلا آله) فذلک- إن کنت تعلمه وتعقله- أفخر له۲۸۶.

وکان ذلک من الإمام (ع) إنکاراً لمنکر معاویهٔ فی استلحاقه زیاداً، ومن زیاد زیادهٔ فی قیادهٔ الشرّ والضرّ، ومن معاویهٔ محاولهٔ لتلمیع صورته وتخفیض صوت الإمام بإنکار منکرات معاویهٔ، ولا نملک دلیلا علی أن لا یکون من بعض التأثر بشیء من نصیحهٔ المغیرهٔ له، ولیمهّد لعهد یزید.

مصاهرهٔ معاویهٔ لبنی هاشم:

لم یطمع معاویهٔ فی مصاهرهٔ الحسنین (علیهما السلام) ولکنّه طمع فی مصاهرهٔ عبد الله بن جعفر وزینب ابنهٔ علی والزهراء (علیهما السلام)، وکان عامله علی المدینهٔ مروان بن الحکم، فکتب إلیه أن یخطب لیزید ابنهٔ عبد الله بن جعفر من زینب: ام

---

[۲۸۶] شرح النهج للمعتزلی ۱۶: ۱۹۴- ۱۹۵. ومختصر الخبر فی مناقب آل أبی طالب ۴: ۲۷. وأقدم النصوص فی البیان والتبیین: ۳۶۱، ثم أنساب الأشراف ۳: ۵۳ ثم تاریخ دمشق ۱۸: ۱۸۷.

كلثوم۲۸۷ لصلح الحيّين بنى اميّة وبنى هاشم، وعلى قضاء ديون ابن جعفر وحكمه لصداق ابنته. فبعث مروان إلى ابن جعفر يخطب إليه، فقال عبد الله: إن أمر نسائنا إلى الحسن بن على فاخطب إليه. فأتى مروان الحسن (ع) خاطباً، فقال له الحسن (ع): اجمع من أردت، فأرسل مروان فجمع الحيّين بنى أُميهٔ وبنى هاشم.

وتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين معاويهٔ أمرنى أن أخطب (أُم كلثوم)۲۸۸ بنت عبدالله بن جعفر ليزيد بن معاويهٔ

ص: ۱۳۹

۲۸۹

على صلح الحيّين بنى أُميهٔ وبنى هاشم، وعلى حكم أبيها فى الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ! ويزيد بن معاويهٔ كفؤ من لا كفؤ له! ولعمرى لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبط يزيد بكم! فيزيد ممّن يُستسقى بوجهه الغمام! وسكت.

فتكلم الحسن (ع) فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما ما ذكرت من حكم أبيها فى الصّداق؛ فإنا لم نكن لنرغب عن سنهٔ رسول الله (ص) فى أهله وبناته! وأما قضاء دين أبيها؛ فمتى قضت نساؤنا بمهورهن ديون آبائهن؟! وأما صلح الحيّين؛ فنحن عاديناكم لله وفى الله، فلا نصالحكم للدنيا! وأمّا قولك: يزيد كفؤ من لا كفؤ له؛ فأكفاؤه اليوم أكفاؤه بالأمس لم يزده سلطانه! وأما قولك: من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا؛ فإن كانت الخلافهٔ قادت النبوّهٔ فنحن المغبوطون، وإن كانت النبوّهٔ قادت الخلافهٔ فهو المغبوط بنا، وأما قولك: إن الغمام يستسقى بوجه يزيد، فإن ذلک لم يكن إلّا لآل رسول الله (ص).

ثمّ قال: فاشهدوا جميعاً: أنى قد زوّجت ام كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمئهٔ وثمانين درهماً، وقد انحلتهما ضيعتى بأرض العقيق، وإن نحلتها فى السنهٔ ثمانيهٔ آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله.

فقال مروان: أغدراً يا بنى هاشم! فقال الحسن (ع): واحدهٔ بواحدهٔ.

---

[۲۸۷] مناقب آل أبى طالب ۴: ۴۴، وانظر المعارف لابن قتيبهٔ: ۲۰۶- ۲۰۷.

[۲۸۸] فى مقتل الخوارزمى ۱: ۱۲۴: زينب، خطأ.

[۲۸۹] يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الامام المجتبى عليه السلام، ۱جلد، المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) – قم – ايران، چاپ: ۱، ۱۴۳۵ ه.ق.

وكتب مروان بذلک إلى معاوية[۲۹۰].

ص: ۱۴۰

وفود البصرة فی عهد سَمُرة:

غيّر موت المغيرة الوضع فی العراقين لصالح أمير الفاسقين معاوية، فقد خفّف المغيرة فی آخر عمره فی الكوفة، وأبی زياد العمل لعهد يزيد بالبصرة، فأرسله معاوية إلى الكوفة ليتشدّد له عليهم، وتخلو البصرة منه فيستوفد منها لعهد يزيد، وهكذا فعل.

وأطول ما بأيدينا من الأخبار عن أقوال الرجال بمحضر وفد البصرة كتاب «تاريخ الخلفاء» للدينورى المعروف بالإمامة والسياسة، فيما فيها من التصريح بكونها على عهد الحسن (ع) أى فی عام (۴۹ ه-)، واختصر أخباره المسعودى فی «مروج الذهب» وأرّخ الوفد بسنة (۵۹ ه-) وحذف منها التصريح بكونها فی عهد الحسن (ع)، والراجح هو الأول، ونختار اختصار المسعودى، قال:

وفی سنة تسع] وأربعين [وفد على معاوية وفد الأمصار من العراق وغيرها، ومنهم الأحنف بن قيس التميمی السعدى فی آخرين من وجوه الناس.

وكان الضحاک بن قيس الفهرى القرشی أمير شرطة معاوية، ففاتحه معاوية بتوليته عهده ليزيد وقال له: إنی جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله! فإذا فرغت من كلامی فقم وقل فی يزيد ما يحقّ له عليک! وادع الناس إلى بيعته، وقد أمرت عبد الرحمان بن عثمان الثقفی، وعبد الله بن عضاة الأشعرى، وثور بن مِعَن السلمی: أن يصدّقوک فی كلامک! وأن يجيبوک إلى دعوتک!

ولما كان الغد قعد معاوية وأُدخلوا عليه، فخطبهم فأعلمهم بما رأى من حسن رعاية ابنه يزيد وهديه! وأن ذلک دعاه إلى أن يولّيه عهده! فقام الضحاک فأجابه إلى ذلک وحضّ الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت! فقام عبد الرحمان الثقفی ثمّ عبد الله بن عضاة الأشعرى ثمّ ثور بن معن

ص: ۱۴۱

[۲۹۰] مناقب آل أبی طالب ۴: ۴۴- ۴۵ ثمّ نقل أبياتاً، وفی مقتل الحسين(ع) للخوارزمی ۱: ۱۲۴، وأبو القاسم: محمد بن جعفر كان فی فتح تستر فقتل شهيداً، وله مقبرة عامرة خارج بلدة دزفول. فلم يكن يومئذ حاضراً، كما فی المعارف أيضاً.

السلمى فصدّقوهما، والأحنف ووفده حضور سكوت، فقال معاوية: أين الأحنف بن قيس؟ فقام الأحنف فقال: إنّ الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان يؤتنف، ويزيد حبيب قريب، فإن تولّه عهدک فعن غير كبر مفن، أو مرض مضن، وقد حلبت الدهور وجرّبت الأُمور، فاعرف من تسند إليه عهدک ومن تولّيه الأمر بعدک، واعصِ رأى من يأمرک ولا يقدّر لک، ويشير عليک ولا ينظر لک[٢٩١] وأنت أنظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة! مع أنّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن (ع) حيّاً[٢٩٢].

فقام الضحاک الفهرى مغضباً فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال لمعاوية: اردد رأيهم فى نحورهم! وقام عبد الرحمان الثقفى فتكلم بمثله، ثمّ قام رجل من الأزد فأشار إلى معاوية وقال له: أنت أمير المؤمنين فإذا متّ فأمير المؤمنين يزيد، ومن أبى فهذا وسلّ سيفه! فقال له معاوية: اقعد فأنت من أخطب الناس! فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد، وفى ذلک قال ابن همّام السلولى:

فإن تأتوا برملة أو بهند	نبايعها أميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى	نعدّ ثلاثة متنا سقينا
فيا لهفا لو أنّ لنا أُنوفاً	ولكن لا نعود كما عنينا
إذاً لضُربتم حتّى تعودوا	بمكة تلعقون بها السّخينا
حَسِبنا الغيظ حتّى لو شربنا	دماء بنى امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم	تصيدون الأرانب غافلينا

ص: ١۴٢

وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يعلمه باختياره ليزيد ومبايعته إياه بولاية عهده ويأمره بمبايعته وأخذ البيعة له على من قبله! فلما قرأ مروان ذلک خرج مغضباً فى أهل بيته وأخواله من بنى كنانة حتّى أتوا إلى دمشق، ودخل

---

[٢٩١] مروج الذهب ٣: ٢٧– ٢٨.

[٢٩٢] الإمامة والسياسة ١: ١۶٩ وحذفه المسعودى.

على معاوية يمشى بين السماطين حتّى إذا دنا منه بقدر ما يسمعه صوته سلّم‌تكلّم بكلام كثير يوبّخ به معاوية ومنه قوله له: أقم الأُمور يابن أبى سفيان (كذا) واعدل عن تأميرک الصبيان! واعلم أن لک من قومک نظراء! وأن لهم على مناوأتک وزراء!

فقال له معاوية يسالمه ويستلينه: أنت نظير! أمير المؤمنين! وعُدّته فى كلّ شديدة وعضده «والثانى بعد ولىّ عهده» فجعله ولىّ عهد يزيد وردّه إلى المدينة عزله عنها وولّاها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان۲۹۳.

كان هذا اختصار المسعودى لهذه الأخبار، واختزل فى تلخيصه خطبة الأحنف الثانية ردّاً على الفهرى.

وذكرها الدينورى قال: فقام الأحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال لمعاوية:

يا أمير المؤمنين! إنا قد فرزنا عنک قريشاً فوجدناک أكرمها زنداً وأشدها عقداً وأوفاها عهداً! وقد علمت أنک لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً! ولكنّک أعطيت «الحسن بن علىّ» من عهود الله ما قد علمت: ليكون له الأمر من بعدک، فإنْ تف فأنت أهل الوفاء! وإن تغدر تعلم- والله- إنّ وراء الحسن (ع) خيولا جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً! إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعاً من نصر! وإنک تعلم أن أهل العراق ما أحبوک منذ أبغضوک! ولا أبغضوا

ص: ۱۴۳

عليّاً وحسناً منذ أحبّوهما! وما نزل عليهم فى ذلک خبر من السماء! وإن السيوف التى شهروها عليک مع علىّ يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التى أبغضوک بها لبين جوانحهم! وايم الله إن «الحسن» لأحبّ إلى أهل العراق من «علىّ»۲۹۴.

ثمّ خطب عبد الرحمان الثقفى فى ردّ الأحنف التميمى، ثمّ خطب معاوية فعوى وأنذر وأوعد وهدّد، فهنا قام الأزدى الشامى وهدّد بسيفه!

فقام الأحنف أخيراً وقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين! أنت أعلم بليل يزيد ونهاره وبسرّه وعلانيته، فإن كنت تعلم أنه خير لک فولّه واستخلفه! وإن كنت تعلم أنه شرّ لک فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة! فإنه ليس لک من الآخرة إلّا ما طاب،

---

[۲۹۳] مروج الذهب ۳: ۲۸ وفى غيره: ولّاها سعيد بن العاص الأشدق.

[۲۹۴] الإمامة والسياسة ۱: ۱۷۰.

واعلم أنه لا حجّة لک عند الله إن قدّمت يزيد على «الحسن والحسين» وأنت تعلم من هما! وإلى ما هما! وإنما علينا أن نقول: (سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَيْکَ الْمَصِيرُ)[۲۹۵].

ثمّ أعرض معاوية عن ذكر البيعة ليزيد حتّى:

قدم المدينة سنة خمسين:

ولما استقر فی منزله أرسل إلى العبادلة الأربعة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فلما اجتمعوا منع من أن يدخل عليه أحد! ثمّ تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فقد كبر سنّی ووهن عظمی وقرب أجلی، وأوشكت أن ادعی فاجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدی يزيد، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء

ص: ۱۴۴

خيارها! ولم يمنعنی أن احضر «حسناً وحسيناً» إلّا أنهما أولاد أبيهما علیّ! على حسن رأيی فيهما وشديد محبّتی لهما! فردّوا على أمير المؤمنين! خيراً رحمكم الله!

فقام عبد الله بن عباس فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه وآله ثمّ قال: أما بعد، فإنک قد تكلّمت فانصتنا، وقلت فسمعنا، وإن الله- جل ثناؤه وتقدست أسماؤه- اختار محمّداً (ص) لرسالته، واختاره لوحيه، وشرّفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرّف به، وأولاهم بالأمر أخصّهم به، وإنّما على الأُمة التسليم لنبيّها إذ اختاره الله لها، فإنه إنما اختار محمّداً بعلمه وهو العليم الخبير، وأستغفر الله لی ولكم.

فقام عبد الله بن جعفر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإن هذه الخلافة إن اخذ فيها بالقرآن فاولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فی كتاب الله، وإن أُخذ فيها بسنة رسول الله فاولوا رسول الله أولى به، وإن أُخذ فيها بسنة! الشيخين أبی بكر وعمر فأیّ الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وايم الله لو ولّوه بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه، ولُاطيع الرحمان وعُصی الشيطان، وما اختلف فی الأُمة سيفان. فاتق الله- يا معاوية- فإنک قد صرت راعياً ونحن رعيّة، فانظر لرعيتک فإنک مسؤول عنها غداً!

[۲۹۵] الإمامة والسياسة ۱: ۱۷۰- ۱۷۱، والآية من البقرة: ۲۸۶.

وأما قولک فی ابنَی عمّی وترکک أن تُحضرهما، فوالله ما أصبت الحقّ ولا یجوز لک ذلک إلّا بهما! وإنّک لتعلم أنّهما معدن العلم والکرم! فقل أو دع، وأستغفر الله لی ولکم.

فتکلم عبدالله بن الزبیر فحمد الله وأثنی علیه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة لقریش خاصة! تتناولها بمآثرها السنیة وأفعالها المرضیة، مع شرف الآباء وکرم الأبناء! فاتقّ الله یا معاویة وأنصف من نفسک، فإنّ هذا عبد الله بن عباس

ص: ۱۴۵

ابن عمّ رسول الله، وهذا عبد الله بن جعفر ذی الجناحین ابن عمّ رسول الله، وأنا عبد الله بن الزبیر ابن عمة رسول الله! وعلیّ خلّف «حسناً وحسیناً» وأنت تعلم من هما وما هما؟ فاتق الله یا معاویة وأنت الحاکم بیننا وبین نفسک. ثمّ سکت.

فتکلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنی علیه ثمّ قال: أما بعد، فإنّ هذه الخلافة لیست بهرقلیّة ولا قیصریة ولا کسرویة یتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو کان کذلک لکنت القائم بها بعد أبی! فوالله ما أدخلنی مع الستة من أصحاب الشوری إلّا علی أن الخلافة لیست شرطاً مشروطاً! وإنما هی فی قریش خاصة لمن کان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من کان أتقی وأرضی! فإن کنت ترید الفتیان من قریش فلعمری إن یزید من فتیانها ولکنک تعلم أنه لا یغنی عنک من الله شیئاً.

فتکلم معاویة فقال: قد قلت وقلتم، وإنه ذهبت الآباء وبقیت الأبناء، فابنی أحبّ إلیّ من أبنائهم! مع أن ابنی إن قاولتموه وجد مقالا! وإنما کان هذا الأمر لبنی عبد مناف؛ لأنهم أهل رسول الله، فلما مضی رسول الله ولّی الناسُ أبا بکر وعمر من غیر معدن الملک ولا الخلافة! غیر أنهما سارا بسیرة جمیلة! ثمّ رجع الملک إلی بنی عبد مناف! فلا یزال فیهم إلی یوم القیامة! فقد أخرجک الله منها یابن الزبیر وأنت یابن عمر! وهذان ابنا عمی فلیسا بخارجین من الرأی إن شاء الله! ثمّ أمر بعطیاتهم وصلاتهم فلم یقطعها عنهم، ثمّ أمر بالرحلة وانصرف راجعاً إلی الشام، وسکت عن الأمر فلم یعرض له حتّی سنة إحدی وخمسین[۲۹۶].

ص: ۱۴۶

وسمّ الإمام (ع):

---

[۲۹۶] الإمامة والسیاسة ۱: ۱۷۲– ۱۷۴، وجمهرة الخطب ۲: ۲۳۳– ۲۳۶، وانظر الغدیر ۱۰: ۲۴۲– ۲۴۴. ویبدو أنه حاول أن یغطّی مقصد سفرته هذه بلا حجّ ولا عمرة بحمل منبر النبی إلی الشام، وحملوه، فکسفت الشمس حتّی رؤیت النجوم نهاراً، فزعموها من ذلک فردّه وأمر فعمّر وزید علیه ستّ مراقی فأصبح ذا تسع مراق، کما فی مروج الذهب ۳: ۲۵– ۲۶.

روى الحلبى عن الصادق (ع): أنّ الحسن بن على (عليهما السلام) قال لأهل بيته: إنّى أموت بالسمّ كما مات رسول الله (ص)! فسألوه: ومن يسمّک؟ قال: امرأتى أو جاريتى! فقالوا له: فأخرجها من ملکک. فقال: ولو أخرجتها ما يقتلنى غيرها أمراً واجباً (ثابتاً) من الله وقضاء مقضياً منيّتى على يدها مالى منها محيص، هيهات من إخراجها۲۹۷.

وقد مرّ فى الخبر: أنّ معاوية دسّ لمالک بن الحارث الأشتر النخعى فى طريقه إلى مصر من سمّه فى شراب من عسل مسموم، فلما بلغه خبره قال: إن لله جنوداً من عسل! ومرّ فى الخبر أيضاً: أنه لما استمزج الناس بالشام لولاية عهده تنادوا باسم عبد الرحمان بن خالد بن الوليد، فدسّ إليه طبيبه ابن أثال النصرانى فسقاه شربة انخرق منها بطنه فمات!

وسيأتى فى الأخبار التالية أن الحسن (ع) سُقى السم مراراً، فيبدو أن معاوية كان يسقيه السموم السابقة فلم تنجع فيه، فروى «الاحتجاج» أنه كتب إلى ملک الروم (؟) يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتال شربة! فكتب إليه ملک الروم: إنه لا يصلح لنا فى ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا! فكتب إليه: إنّ هذا ابن الرجل الذى خرج بأرض تهامة وقد خرج يطلب ملک أبيه، وأنا اريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلک فاريح العباد والبلاد منه، ووجّه إليه بهدايا وألطاف، فوجّه إليه ملک الروم (؟) بشربة واشترط عليه شروطاً فى ذلک فدفع بالسمّ لقتل الحسن (ع)۲۹۸.

ص: ۱۴۷

وإلى جانب الإمام الحسن (ع) كان سعد بن أبى وقّاص هو البقية الباقية من الستة نفراً أعضاء شورى عمر، فكأن معاوية كان يراهما مانعَين عن تولية العهد ليزيد: فقد روى الإصفهانى الأموى قال: لما أراد معاوية البيعة لابنه يزيد لم يكن شىء أثقل عليه من أمر الحسن بن علىّ وسعد بن أبى وقاص، فدسّ إليهما سمّاً ماتا منه فى أيام۲۹۹ متقاربة بعد عشر سنين من عهد معاوية.

وذكر البلاذرى: أن معاوية دسّ إلى هند ابنة سهيل بن عمرو، وإلى امرأة الحسن (ع) شربة بعث بها إليها على أن تسقيها للحسن، على مئة ألف دينار! ففعلت۳۰۰ ولم يعلم ما علاقة هند بالحسن (ع)، فلعلّها كانت امرأة سعد. ولم يُعلم مَن الوسيط

---

[۲۹۷] مناقب آل أبى طالب ۴: ۱۱.

[۲۹۸] الاحتجاج ۲: ۱۱.

[۲۹۹] مقاتل الطالبيين: ۴۷- ۴۸.

[۳۰۰] أنساب الأشراف ۳: ۶۳.

المدسوس من معاوية إلى زوج الإمام (ع)، ولم يُذكر لسعيد بن العاص دور فى ذلک، فلعلّه کان لرقیبه فی الإمارة، مروان، ولم یذکر أیضاً[۳۰۱].

واکتفت نصوص بعض المصادر کالیعقوبی بذکر السمّ عن لسان الإمام (ع) فی وصیته إلی أخیه الحسین (ع): «یا أخی إن هذه آخر ثلاث مرار سُقیت فیها السمّ ولم أُسقه مثل مرّتی هذه، وأنا میّت من یومی»[۳۰۲] بلا ذکر لمعاویة ولا مروان ولا حتّی جعدة، وإن کانت المظنّة السیاسیة تعود إلی معاویة طبعاً. واکتفی معاصره الدینوری بقوله: «ویقال: إن امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته»[۳۰۳].

ص: ۱۴۸

کذلک نقل الکلینی، بسنده عن أبی بکر الحضرمی قال: إن جعدة بنت الأشعث بن قیس الکندی، سمّت الحسن بن علی، وسمّت مولاة له، فأمّا مولاته فقاءت السمّ، وأما الحسن فانتقض به فمات[۳۰۴] ورواه بسنده عن الصادق (ع): أن جعدة ابنة الأشعث سمّت الحسن (ع)[۳۰۵].

نعم، صرّح بذکر معاویة مع أبی الفرج الأموی معاصره المسعودی قال: کان الذی بعثها علی سمّه أنّ معاویة دسّ إلیها: إنک إن احتلت فی قتل الحسن وجّهت إلیک بمئة ألف درهم وزوّجتک من یزید، فذلک الذی بعثها علی سمّه[۳۰۶].

وزاد الطبری الإمامی قال: أرسل معاویة إلی امرأته جعدة ... وبذل لها عشرین ألف دینار، وإقطاع عشر ضیاع من شعب سواد الکوفة، وأن یزوّجها ابنه یزید، فسقت الحسن بُرادة من الذهب فی السویق المقنَّد[۳۰۷].

وروی المفید بسنده عن المغیرة (؟) قال: أرسل معاویة إلی جعدة بنت الأشعث، وبعث إلیها بمئة ألف درهم وأن یزوّجها ابنه یزید علی أن تسمّ الحسن ففعلت.

---

[۳۰۱] أجل، نقل ذلک فی صلح الحسن(ع): ۳۶۴ عن مروج الذهب، ولیس فیه. وکذلک فی حیاة الحسن(ع) للقرشی ۲: ۴۱۸.

[۳۰۲] تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۲۵.

[۳۰۳] المعارف: ۲۱۲ وهو والبلاذری والیعقوبی أقدم النصوص.

[۳۰۴] أُصول الکافی ۱: ۴۶۲.

[۳۰۵] روضة الکافی: ۱۴۷، الحدیث ۱۸۷.

[۳۰۶] مروج الذهب ۲: ۴۲۷.

[۳۰۷] دلائل الإمامة: ۶۱ والمقنّد: المحلّی بالقند: سکر ملبّد.

وفصّله قبله قال: لما تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، دسّ إلى جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن (ع) من (؟) حملها على سمّه وضمن لها أن يزوّجها بابنه يزيد، وأرسل إليها مئة ألف درهم، فسقته السمّ، فبقى (ع) مريضاً أربعين يوماً، ومضى لسبيله فى صفر سنة خمسين من الهجرة۳۰۸.

وروى المسعودى، عن الصادق، عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام): أن الحسن (ع) لما سقى السمّ دخل عليه الحسين (ع)، فقام الحسن لحاجة الإنسان

ص: ۱۴۹

ثمّ رجع فقال: لقد سُقيت السمّ عدة مِرار فما سُقيت مثل هذه المرّة، لقد لفظت طائفة من كبدى۳۰۹ حتّى أنّى قلّبتها بعود بيدى ... ولقد حاقت شربته (؟) وبلغ امنيّته! والله لا وفى لها (؟) بما وعد، ولا صدق فيما قال۳۱۰ بلا تصريح به ولا بها؟!

وورد ذكر الأربعين يوماً فيما رواه ابن عساكر بسنده، عن أُم موسى (؟): أنّ جعدة بنت الأشعث سقت الحسن السمّ، فكان يوضع عنده طست وترفع اخرى نحواً من أربعين يوماً۳۱۱.

وورد التعبير الأصح بالأمعاء بدل الكبد عند ابن كثير قال: وكأنّ معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً ... واختلف إليه الطبيب وقال: هذا رجل قد قطّع السمّ أمعاءه۳۱۲.

مواعظه لجنادة:

جنادة بن أبى اميّة، عدّته كتب تراجم الصحابة منهم۳۱۳ ولم يروِ عنه فى كتبنا إلا حديثنبوى واحد فى «أمالىالطوسى»۳۱۴ وعنه عنعُبادةبنالصامت،

ص: ۱۵۰

---

[۳۰۸] الإرشاد ۲: ۱۵– ۱۶ والخبر هو ما فى مقاتل الطالبيين: ۴۸ وعنه نقل المفيد.

[۳۰۹] يتكرر ذكر تقيؤ الإمام المجتبى(ع) قطعاً من كبده، والسمّ قد يؤدى فى حالات نادرة وكعارض من عواض السمّ إلى التهاب فى الكبد ولكن لا يؤدى إلى تقطّعه ولا إلى تداخله فى المعدة والمرى، كما ينصّ عليه الطبّ العدلى بل كما هو واضح. ولكن الكلام جار على لسان العرب، وجاء فى« لسان العرب»: أن الكبد يطلق على الجهاز الخاص الصفراوى فى الجانب الأيمن، وكذلك على كلّ ما فى الجوف، وهو المقصود هنا.

[۳۱۰] مروج الذهب ۲: ۴۲۷، وفى مقاتل الطالبيين: ۴۸ بطريق آخر، وعنه فى الإرشاد ۲: ۱۶– ۱۷.

[۳۱۱] ترجمة الإمام الحسن(ع) من تاريخ دمشق: ۲۱۰، الحديث ۳۴۰.

[۳۱۲] البداية والنهاية ۸: ۴۳.

[۳۱۳] انظر قاموس الرجال ۲: ۷۲۳ برقم ۱۵۹۱ ..

[۳۱۴] أمالى الطوسى: ۴۷۴، الحديث ۳ م ۱۷.

عن‌النبی (ص)، مما لا صراحة فیه بصحابیّته. ولم یذکر فی أی خبر مع علیّ والحسن (علیهما السلام)، ویُذکر فی قوّاد معاویة لغزو الروم فی البحر فی عام (۵۶ ه‍-) و (۵۹ ه‍-) ومات فی (۸۰ ه‍-)[۳۱۵].

وعلی أی حال فقد نقل الخزّاز القمیّ الرازی فی «کفایة الأثر فی النصّ علی الأئمة الاثنی عشر» بسنده عنه قال: دخلت علی الحسن بن علی فی مرضه الذی توفّی فیه وبین یدیه طست یقذف فیه الدم قطعة قطعة من السمّ الذی سقاه معاویة، فقلت له: یا مولای ما لک لا تعالج نفسک؟ فقال: یا عبد الله بماذا اعالج الموت؟! ثمّ التفت إلیّ فقال: والله لقد عهد إلینا رسول الله (صلی الله علیه وآله): أن هذا الأمر یملکه اثنا عشر إماماً من ولد علیّ وفاطمة (کذا!)، ما منّا إلّا مسموم أو مقتول! ثمّ رفع الطست، وبکی، فقلت له: عظنی یابن رسول الله.

قال: نعم، استعدّ لسفرک، وحصّل زادک قبل حلول أجلک، واعلم أنّک تطلب الدنیا والموت یطلبک، ولا تحمل همّ یومک الذی لم یأت علی یومک الذی أنت فیه. واعلم أنّک لا تکسب من المال شیئاً فوق قوتک إلّا کنت فیه خازناً لغیرک!

واعلم أن فی حلالها حساباً، وفی حرامها عقاباً وفی الشبهات عتاباً. فأنزل الدنیا بمنزلة المیتة! خذ منها ما یکفیک، فإن کان ذلک حلالا کنت قد زهدت فیها، وإن کان حراماً لم یکن فیه وزر إذا أخذت کما أخذت من المیتة، وإن کان العتاب فإن العتاب یسیر.

واعمل لدنیاک کأنک تعیش أبداً، واعمل لآخرتک کأنک تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشیرة وهیبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصیة الله إلی عزّ طاعة الله عزّ وجل.

ص: ۱۵۱

وإذا نازعتک إلی صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانک وإذا خدمته صانک، وإذا أردت منه معونة أعانک، وإن قلت صدّق قولک، وإن صلت شدّ صولتک، وإن مددت یدک بفضل مدّها، وإن بدت منک ثلمة سدّها، وإن رأی منک حسنة عدّها، وإن سألته أعطاک وإن سکتّ عنه ابتداک، وإن نزلت بک إحدی الملمّات ساءه. من لا تأتیک منه البوائق ولا تختلف علیک منه الطرائق، ولا یخذلک عند الحقائق، وإن تنازعتما مَنْفَساً آثرک.

[۳۱۵] انظر فهارس تاریخ الخیاط. وعن اسد الغابة فی ۶۷ ه‍- وقال: اسمه کثیر الأزدی.

ثمّ انقطع نفسه واصفرّ لونه حتى خشيت عليه. ودخل الحسين (ع) فانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وبين عينيه، ثمّ قعد عنده ... فأخذ الحسن يُسرُّ إلى الحسين بوصيّته، وكان قد دخل مع الحسين الأسود بن أبى الأسود (؟) فقال: إنا لله! إنّ الحسن قد نُعيت إليه نفسه فهو يوصى إلى الحسين[٣١٦].

وصيته إلى الحسين (ع):

وروى المفيد، عن المخارقى قال: لما حضرت الحسن (ع) الوفاة استدعى الحسين (ع) فقال له: يا أخى، إنّى مفارقك ولاحق بربّى عزّ وجل، وقد سقيت السمّ ورميت بكبدى (كذا) فى الطست، وإنى لعارف بمن سقانى السمّ ومن أين دهيت، وأنا اخاصمه إلى الله تعالى، فبحقّى عليك إن تكلمت فى ذلك بشىء.

فإذا قضيتُ فغمّضنى وغسّلنى وكفّنى، واحملنى على سريرى إلى قبر جدى رسول الله (ص) لأُجدّد به عهداً، ثمّ ردّنى إلى قبر جدّتى فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفنى هناك. والقوم سيظنّون بكم أنكم تريدون دفنى عند

ص: ١٥٢

رسول الله (ص) فيجلبون فى منعكم عن ذلك، فباللّه اقسم عليك أن تهريق فى أمرى محجمة دم!

ثم وصّى (ع) إليه بأهله وولده وتركته وما كان وصّى به إليه أمير المؤمنين (ع) حين استخلفه وأهَّلَه لمقامه، ونصبه علماً لشيعته من بعده ودلّهم على استخلافه[٣١٧].

وكان من أولاد طلحة التميمى حين قُتل يوم الجمل ابنته ام إسحاق، فزوّجها علىّ لابنه الحسين (عليهما السلام): فولدت له ابناً أسمته باسم أبيها طلحة ولم يناقضها الحسن (ع) لكن الولد مات صغيراً. ثم كانت هى زوجاً صالحاً فقال الحسن فى وصيته للحسين: يا أخى أنّى رضيت هذه المرأة لک فلا تخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عدّتها فتزوجها[٣١٨].

تشييعه ودفنه:

قال المفيد: فلما مضى الحسن (ع) لسبيله غسّله الحسين (ع) وكفّنه وحمله على سريره ولم يشک مروان[٣١٩] ومن معه من بنى أُميّة أنهم سيدفنونه عند رسول الله (ص)[٣٢٠].

---

[٣١٦] بحار الأنوار ۴۴: ١٣٨– ١۴٠ عن كفاية الأثر: ٢٢۶.

[٣١٧] الإرشاد ٢: ١٧.

[٣١٨] الأغانى ٢١: ١١۴، ١١۵.

فتجمعوا له ولبسوا السلاح. فلما توجّه به الحسين (ع) إلى قبر جدّه ليجدّد به عهداً أقبلوا إليهم بجمعهم، وخرجت إليهم عائشة على بغل وهى تقول: مالى

ص: ۱۵۳

ولكم تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أحب۳۲۱! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجا هى خير من دَعَة! أيُدفن عثمان بأقصى المدينة (البقيع) ويدفن الحسن مع النبىّ؟! لا يكون ذلک أبداً وأنا أحمل السيف! وكاد أن تقع الفتنة!

فبادر ابن عباس۳۲۲ إلى مروان وقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت، فإنّا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله (ص)، لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثمّ نردّه إلى جدّته فاطمة فندفنه عندها بوصيّته بذلک، ولو كان وصّى بدفنه مع النبىّ (ص) لعلمت أنّک أقصر باعاً من ردّنا عن ذلک! لكنه كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرّق عليه هدماً كما طرّق ذلک غيره ودخل بيته بغير إذنه!

ثمّ أقبل على عائشة فقال لها: وا سوأتاه! يوماً على جمل ويوماً على بغل تريدين أن تطفئى نور الله وتقاتلين أولياء الله! ارجعى فقد كُفيتِ الذى تخافين وبلغتِ ما تحبّين! والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين!

وقال الحسين (ع): والله لولا عهد الحسن إلىّ بحقن الدماء وأن لا اهريق فى أمره محجمة دم، لعلمتم كيف كانت تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا لأنفسنا عليكم۳۲۳!

ص: ۱۵۴

وعن الباقر (ع): أنّه قال لعائشة: أنت قديماً هتكت حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يحبّ قربه! وإن الله سائلک عن ذلک! إن أخى أمرنى أن أقرّبه من رسول الله ليجدّد به عهداً. ثمّ تكلّم محمد بن الحنفية قال لها: يا عائشة! يوماً على جمل

---

[۳۱۹] ولم يكن مروان فى تلک الأوان عامل آل أبى سفيان بالمدينة، كان قد تلكّأ فى أخذ البيعة ليزيد فعزله معاوية وولّاها سعيد بن العاص، وهو الذى صلّى على الحسن(ع) حسب السنة الجارية كما فى مقاتل الطالبيين: ۵۰.

[۳۲۰] ومن هنا نسب ذلک إلى وصية الحسن(ع)، كما فى مقاتل الطالبيين مثلا: ۴۹.

[۳۲۱] خلافاً لآية مودة قربى النبى(عليهما السلام): ۲۳ الشورى، ولذا فقد كبرت الكلمة على بعضهم فروى: أن الحسن(ع) كان قد أرسل إليها أن تأذن له أن يدفن مع جده فقالت: نعم ما بقى إلّا موضع قبر واحد! ولكن بنى امية سمعوا بذلک فلبسوا السلاح وكذلک بنو هاشم! وبلغ ذلک الحسن فقال لهم: أما إذا كان هذا فلا حاجة لى فيه، ادفنونى إلى جانب امى فاطمة- أى جدّته بنت أسد- مقاتل الطالبيين: ۴۹.

[۳۲۲] وستأتى الأخبار عن عدم حضور ابن عباس عند وفاته بالمدينة.

[۳۲۳] الإرشاد ۲: ۱۸ و ۱۹، هذا ولم يكن مروان أمير المدينة يومئذ بل سعيد بن العاص. والطبرسى فى إعلام الورى ۲: ۴۱۴ نقل قول المفيد فى الإرشاد إلى قول عائشة ثم روى عن الباقر(ع) أن الحسين(ع) قال لها: أنتِ قديماً هتكت حجاب رسول الله وأدخلت بيته من أبغضه.

ويوماً على بغل! فما تملكين نفسک عداوة لبنى هاشم! فأقبلت عليه وقالت له: يابن الحنفية! هؤلاء بنو فاطمة يتكلمون فما كلامک؟! نحّوا ابنكم واذهبوا فإنّكم قوم خصِمون[٣٢٤]!

أجمع الأخبار فى ذلک:

الواقدى نقل أشمل النقول فى ذلک بسنده عن الحسن بن محمد بن الحنفية: أنّ الحسن (ع) سُقى السمّ فأمسى مريضاً مبطوناً أربعين يوماً، فكان بنو هاشم لا يفارقونه يبيتون عنده، وكان على المدينة سعيد بن العاص وكان يعوده فمرة يأذن له ومرة يُحجب عنه. وبعث مروان رسولا إلى معاوية يخبره بثقله.

ولما ثقل أو احتضر وعنده إخوته والحسين عهد إليه: أن يُدفن مع رسول الله (ص) إن أمكن، وإن حيل بينه وبينه وخيف أن يهراق فيه محجمة من دم دفن عند امه (فاطمة بنت أسد) بالبقيع، وأخذ يؤكّد على الحسين: يا أخى إياک أن يُسفک دم فإن الناس سُرّاع إلى الفتنة! ولما توفى الحسن ارتجّت المدينة صياحاً فلا يُلفى أحد إلّا باكياً! وأبرد مروان إلى معاوية يخبره بموت الحسن وأنهم

ص: ١٥٥

يريدون دفنه مع النبى (ص)، وأنهم لا يصلون إلى ذلک أبداً وأنا حى[٣٢٥] وكذا أبرد سعيد بن العاص بدون القول الأخير[٣٢٦].

وقيل: إن الحسين (ع) أظهر هذه الوصية للحسن (ع) قبل موته فبلغ مروان، فكتب بها إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلک أشدّ المنع، كما مُنعنا من دفن عثمان مع النبىّ[٣٢٧].

وبعث بنو هاشم، صائحاً يصيح فى كلّ قرية من قرى الأنصار بعوالى المدينة بموت الحسن (ع)، فنزل أهل العوالى ولم يتخلف عنه أحد منهم[٣٢٨].

---

[٣٢٤] أُصول الكافى ١: ٣٠٢، الحديث ٣ ولكن فيه عن الحسين(ع): أنّ ضرب المعاول حول رسول الله خلاف قوله سبحانه:(لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) فهو حرام غير جائز! وهو وهم وتقوّل غير جائز! والخبر مكرر الخبر الأول بالباب وفيه: أن الحسين صلّى عليه! وفى هذا: فصلّى على الحسن! وفيه: ثمّ اصرفنى إلى امى فاطمة ثمّ ردّنى إلى البقيع ... فمضى الحسين به إلى قبر امه ثمّ أخرجه إلى البقيع! كأن قبرها كان معروفاً معلوماً! فالخبر مضطرب المتن جداً فهو غير معتبر، وفيه بعد مستبعدات اخرى أيضاً.

[٣٢٥] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٥٢.

[٣٢٦] تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١: ٣٨.

[٣٢٧] أنساب الأشراف ٣: ٦٧، الحديث ٧٢.

وحضر سعيد بن العاص وهو أمير ليصلّى عليه، فتنادى بنو هاشم: لا يصلى عليه إلّا الحسين (ع) قال حسن بن محمد بن الحنفية: فوالله ما نازعنا فى الصلاة عليه وقال: أنتم أحقّ بميّتكم، فإن قدّمتمونى تقدمت. فقال الحسين (ع): تقدّم، فلولا أنّ الأئمة تُقدّم ما قدّمناک!

وانتهى الحسين (ع) إلى قبر النبىّ (ص) فقال: احفروا هاهنا، فنكب سعيد بن العاص واعتزل ولم يحل بينه وبينه[٣٢٩].

فلما بلغ ذلک إلى مروان جاء إلى سعيد بن العاص وسأله: ما أنت صانع فى أمرهم؟ فقال: لست منهم فى شىء ولا أحول بينهم وبين ذلک! فقال له مروان: فخلّنى وإيّاهم! فقال له: أنت وذاک! فجمع لهم مروان من كان هناک من بنى امية ومواليهم وحشمهم[٣٣٠].

ص: ١٥۶

وصاح مروان فى بنى أُمية ومن لفّ معهم ومعهم السلاح: لا كان هذا أبداً!

فصاح به الحسين (ع): يابن الزّرقاء ما لک ولهذا؟! أوال أنت؟! قال: لا كان هذا ولا يُخلص إليه وأنا حىّ! فصاح الحسين بحلف الفضول فاجتمع بنو هاشم وأسد وتيم وزُهرة وجَعونة، وصارت بينهم مراماة بالنبال، حتّى قام بينهم رجال من قريش: المِسور بن مَخرمة وعبد الله بن جعفر وجعل هذا يلحّ على الحسين يقول له: يابن العم ألم تسمع إلى عهد أخيک: إن خفت أن يهراق فىّ محجمة من دمّ فادفنّى مع امّى (فاطمة بنت أسد) بالبقيع! فأُذكّرک الله أن تُسفک الدماء!

وقال له المِسور بن مَخرمة: يا أبا عبد الله، إنى سمعت أخاک قبل أن يموت بيوم يقول لى: يابن مَخرمة، إنى قد عهدت إلى أخى أن يدفننى مع رسول الله إن وجد إلى ذلک سبيلا، فإن خاف أن يُهراق فى ذلک مِحجم من دم فليدفنّى مع أُمى (فاطمة بنت أسد) بالبقيع! وإنى أُذكّرک الله فى هذه الدماء، ألا ترى ما هاهنا من السلاح والرجال! والناس سُرّاع إلى الفتنة!

وسمعت أبى يقول: قلت لأخى برفق: يا أبا عبد الله، إنا لا ندع قتال هؤلاء القوم جُبناً منهم! ولكنّا إنما نتّبع وصية أبى محمد، إنه والله لو قال: ادفنونى مع النبىّ، لُمتنا من آخرنا أو ندفنه معه! ولكنه خاف ما قد ترى فقال لنا: إن خفتم أن يُهراق فىَّ مِحجم من دم فادفنونى مع امى (بنت أسد) وإنما نتّبع عهده وننفّذ أمره[٣٣١].

---

[٣٢٨] الطبقات الكبرى ٨، الحديث ١۶۴.

[٣٢٩] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١۵٢.

[٣٣٠] تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن(ع): ٢٢٠، الحديث ٣۵۵.

[٣٣١] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١۵٢.

وحضر أبو هريرة ومروان ينادى: والله ما كنت لأدع ابن أبى تراب أن يُدفن مع رسول الله وقد دُفن عثمان (فى حُشّ كوكب اليهودى)!

ص: ١٥٧

فناداه أبوهُريرة: يامروان اتقِ الله ولاتقل لعلىّ إلّا خيراً! فأشهد سمعت رسول الله يوم خيبر يقول: «لُاعطينّ الرايۀ رجلا يحبّه الله ورسوله ليس بفرّار» وأشهد لقد سمعت رسول الله يقول فى الحسن: «اللهم إنى احبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه».

فقال له مروان: إنک والله قد أكثرت على رسول الله الحديث؛ فلا نسمع منک ما تقول، فهلمّ معک غيرک يعرف ما تقول! وكان أبو سعيد الخُدرى حاضراً وقد سمع معه ما سمع، فأشار إليه أبو هريرة وقال: هذا أبو سعيد الخُدرى. فقال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله إذ لا يرويه إلّا أنت وأبو سعيد الخُدرى، والله ما أبو سعيد الخُدرى يوم مات رسول الله إلّا غلاماً! ولقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاۀ رسول الله بيسير! فاتّقِ الله يا أبا هريرۀ! فقال: نِعم ما أوصيت به! وسكت عنه٣٣٢.

وقال للقوم: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليُدفن مع أبيه فمُنع، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا: نعم! قال: فهذا ابن نبىّ الله قد جيء به ليُدفن مع أبيه فمُنع منه!

ثم أقبل على الحسين (ع) وقال له: أنشدک الله فى وصيۀ أخيک! فإن القوم لن يدعوک حتّى يكون بينكم دماً٣٣٣!

وحضر عبد الله بن عمر فقال للحسين (ع): اتّقِ الله ولا تُثر فتنۀ ولا تسفک الدماء! وادفن أخاک إلى جنب امّه (فاطمۀ بنت أسد) فإن أخاک قد عهد بذلک إليک٣٣٤!

ص: ١٥٨

وحضر جابر بن عبد الله الأنصارى فقال للحسين (ع): يا أبا عبد الله، اتّقِ الله، فإن أخاک كان لا يحبّ ما ترى، فادفنه بالبقيع مع امّه (فاطمۀ بنت أسد)٣٣٥.

وكان سعد بن أبى وقاص بأرضه بضاحيۀ المدينۀ فحضر وتكلّم مع الحسين (ع) ولم يزل به٣٣٦.

---

[٣٣٢] الطبقات الكبرى ٨: ترجمۀ الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٧٨.

[٣٣٣] الطبقات الكبرى ٨: ترجمۀ الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٥١.

[٣٣٤] الطبقات الكبرى ٨: ترجمۀ الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٥٩.

[٣٣٥] الطبقات الكبرى ٨: ترجمۀ الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٥٧.

وكان أبان بن عثمان حاضراً ويقول: إن هذا لهو العجيب أن يُدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبى بكر وعمر! ويُدفن أمير المؤمنين الشهيد المظلوم ببقيع الغرقد٣٣٧!

ونادت عائشة (وهى على بغلة شهباء): هذا الأمر لا يكون أبداً! يدفن (الحسن) ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً! والله إنه لبيتى أعطانيه رسول الله فى حياته! وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلّا بأمرى، وما أثر علىٍّ عندنا بحسن٣٣٨! إنه بيتى ولا آذن فيه لأحد! فأتاها القاسم ابن أخيها محمد بن أبى بكر وقال لها: يا عمّة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر! أتريدين أن يقال: يوم البغلة الشهباء! فرجعت.

ونادى خلق من الناس مع الحسين قالوا له: دعنا وآل مروان فوالله ما هم عندنا إلّا كأكلة رأس!

ص: ١٥٩

فقال: إن أخى أوصانى أن لا اريق فيه محجمة دم٣٣٩ وتقدّم عبد الله بن جعفر فأخذ بمقدم السرير فدفعه وصار به إلى البقيع، فانصرف مروان ومن معه٣٤٠.

تأبينه والحداد عليه:

وعند قبر الحسن (ع) فى البقيع قال الحسين (ع): رحمک الله أبا محمد! إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل فى مواطن التّقية بحسن الرويّة، وتستشفّ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتقبض عنها يداً طاهرة، وتردع بادرة أعدائک بأيسر المؤونة عليک. وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لِبان الحكمة، وقد صرت إلى رَوح وريحان وجنة نعيم. أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه٣٤١.

ولما دفن الحسن (ع) وقف أخوه محمد بن الحنفية على قبره وقال: لئن عزّت حياتک لقد هدّت وفاتک، ولنعم الروح روح تضمّنه كفنک، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنک، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلَف أهل التقوى، وخامس

---

[٣٣٦] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٧٧.

[٣٣٧] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٧٥.

[٣٣٨] الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ١٥٣.

[٣٣٩] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢٥ ونسب المنع إلى مروان وسعيد بن العاص، ولعلّه لعدم معارضته لمروان كما مرّ الخبر عنه. وحاولوا توجيه منع عائشة فقالوا: إنها لما رأت الرجال والسلاح وخافت أن يقع الشرّ بينهم وتسفک الدماء، قالت: البيت بيتى ... كما فى أنساب الأشراف ٣: ۶۶، الحديث ٧١ عن عروة بن الزبير، عن خالته عائشة! وانظر أصول الكافى ١: ٣٠٠.

[٣٤٠] أنساب الأشراف ٣: ٢٢٠، الحديث ٣٥٥.

[٣٤١] عيون الأخبار للدينورى ٢: ٣١٤ مرسلا وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام الحسن(ع): ٢٣٣، الحديث ٣۶٩ مسنداً عن غير ابن قتيبة.

أصحاب الكساء (كذا)، غذتک بالتقوى أكفّ الحقّ، وأرضعتک ثدىّ الإيمان، وربّيت فى حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقک؛ رحمک الله يا أبا محمد ... وأنت ابن محمّد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء، ثمّ أنشأ يقول:

ص: ۱۶۰

أأُدهن رأسى أم أُطيب محاسنى	وخدّک معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه	وقد ضمن الأحشاءَ منک لهيب
سأبكيک ما ناحت حمامة أيكة	وما اخضرّ فى دوح الحجاز قضيب
غريب وأطراف الديار تحوطه	ألا كلّ من تحت التراب غريب۳۴۲

وكان البقيع يوم دفنه لو طُرحت إبرة ما وقع إلّا على رأس إنسان۳۴۳ وبكى عليه الرجال والنساء والصبيان بالمدينة ومكة سبعة أيام ما تقوم الأسواق۳۴۴! وأقام نساء بنى هاشم عليه النوح شهراً۳۴۵ وحدت عليه نساء بنى هاشم سنة۳۴۶.

نعى الإمام فى الشام:

قال الدينورى: لما كانت سنة إحدى وخمسين (يعنى أوائلها) مرض الحسن ابن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة (سعيد بن العاص، بذلک إلى

ص: ۱۶۱

---

[۳۴۲] مروج الذهب ۲: ۴۲۸– ۴۲۹، وقبله فى تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۲۵ ولكنه ذكره عند تكفينه. وذكره ابن عساكر الدمشقى فى تاريخه: ۲۳۴، الحديث ۳۷۰ مسنداً عن عمر بن على(ع).

[۳۴۳] المستدرک على الصحيحين للحاكم ۳: ۱۷۳، الحديث ۲۳ و ۲۴، وتاريخ دمشق: ۲۳۵، الحديث ۳۷۲.

[۳۴۴] الطبقات الكبرى ۸: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ۱۶۸، والمستدرک للحاكم ۳: ۱۷۳، الحديث ۲۱.

[۳۴۵] الطبقات الكبرى ۸: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ۱۶۹، والمستدرک للحاكم ۳: ۱۷۳، الحديث ۲۱.

[۳۴۶] الطبقات الكبرى ۸: ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ۱۷۰ و ۱۷۱، والمستدرک للحاكم ۳: ۱۷۳، الحديث ۲۳ و ۲۴.

معاویهٔ، فکتب إلیه معاویهٔ: إن استطعت أن لا یمضی یوم یمرّ بی إلّا یأتینی فیه خبره فافعل! فلم یزل یکتب إلیه بحاله حتّی توفی فکتب إلیه بذلک.

فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتّی أنه سجد وسجد من کان معه۳۴۷.

وروی المسعودی، عن الطبری، عن ابن إسحاق، عن الفضل بن عباس بن ربیعهٔ قال: کنت فی مسجد دمشق إذ سمع أهل المسجد التکبیر من أهل القصور الخضراء لمعاویهٔ فکبّروا بتکبیرهم، فبلغنی أن فاخته بنت قرظهٔ بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف کانت فی إحدی تلک القصور (وهی زوجته) فلما سمعت التکبیر أطلّت من خوختها علی معاویهٔ وقالت له:

یا أمیر المؤمنین: سرّک الله! فما هذا الذی بلغک فسُررت به؟ قال: موت الحسن بن علی!

فقالت: إنا لله وإنا إلیه راجعون وبکت وقالت: مات سیّد المسلمین وابن بنت رسول الله!

فقال معاویهٔ متظاهراً: نعمّا فعلتِ إنه کان کذلک أهلا أن تبکی علیه!

وروی أبو داود وأحمد فی مسنده بسنده: لما بلغ نعی الحسن (ع) إلی الشام، وفد من قنّسرین علی معاویهٔ ثلاثهٔ: المقدام بن معدی کرب، وعمرو بن الأسود ومعهما رجل من بنی أسد، فقال معاویهٔ للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علی توفّی؟ فقال إنا لله وإنا إلیه راجعون، فقال معاویهٔ: أتراها مصیبهٔ! فقال: ولِمَ لا أراها مصیبهٔ وقد (رأیت) وضعه رسول الله (ص) فی حجره فقال: هذا منّی!

فقال الأسدی: جمرهٔ أطفأها الله عزّ وجل!

فقال المقدام لمعاویهٔ: أما أنا فلا أبرح الیوم حتّی أُسمعک ما تکره! ثمّ قال: یا معاویهٔ! إن أنا صدقت فصدّقنی وإن أنا کذبت فکذّبنی! قال: أفعل. فقال:

ص: ۱۶۲

فأُنشدک بالله هل تعلم أن رسول الله (ص) کان ینهی عن لبس الذهب؟ قال: نعم. قال:

فأُنشدک الله هل تعلم أن رسول الله (ص) نهی عن لبس الحریر؟ قال: نعم، قال:

فأُنشدک الله هل تعلم أن رسول الله (ص) نهی عن لبس جلود السباع ورکوبها؟ قال: نعم.

---

[۳۴۷] الإمامهٔ والسیاسهٔ ۱: ۱۷۴ و ۱۷۵.

فقال: فو الله لقد رأيت هذا كلّه فی دارک وفی بيتک يا معاوية!

فقال معاوية: قد علمتُ أنّی لن أنجوَ منک يا مقدام۳۴۸!

وكان عبد الله بن العباس قد وفد على معاوية وبلغه الخبر، فبلغنی أنه دخل على معاوية عصراً، فقال له معاوية: يابن عباس، علمت أن الحسن توفّی! قال: فكبّرتَ لذلک؟! قال: نعم! قال: أما والله ما موته بالذی ينسئ فی أجلک! ولا حفرته بسادّة حفرتک! ولئن اصبنا به فقد اصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين، ثمّ بعده بسيّد «الأوصياء» فجبر الله تلک المصيبة، ورفع تلک العثرة۳۴۹!

ص: ۱۶۳

ولعلّه كان الفضل بن العباس، وقد نقل الخوارزمی عنه مرثية للحسن (ع) قال:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه، إنّه	طالما أشجى ابن هند و أرنّ
استراح اليوم منه بعده	إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمناً	انما يقمص بالعير السمن
لستَ بالباقی فلا تشمت به	كل حی بالمنايا مرتهن
يابن هند إن تذق كأس الردی	تک فی الدهر كشی لم تكن۳۵۰

---

[۳۴۸] سنن أبی داود ۲: ۱۸۶، ومسند أحمد ۴: ۱۳۰، وانظر الغدير ۱۰: ۲۱۵: لُبس معاوية ما لا يجوز. وصدره فی كفاية الطالب: ۴۱۴، ورواه الطبرانی فی المعجم الكبير، الحديث ۱۰۹۹.

[۳۴۹] مروج الذهب ۲: ۴۲۹ و ۴۳۰ عن الطبری، وليس فی الطبری المنشور. وبعده نقل عن نسخة أُخرى عن الطبری: أن ذلک التكبير كان لبشارته بانقياد الحسن للصلح! ولذكره عن النبیّ: أن ابنی هذا سيد أهل الجنة! وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين! فالحمد لله الذی جعل فئتی إحدى الفئتين! وهی كما ترى محاولة فاشلة، إذ لم يكن معاوية يومئذ فی قصوره الخضراء بدمشق! ونقله المسعودی ولم يعلق عليه بشیء! ولعلّه لبداهة بلاهته وبطلانه، والحديث كما ترى من موضوعات معاوية تضليلًا ليحشر نفسه ومن معه مع المؤمنين! ولعلّ الصحيح:« إنّ ابنی هذا سيّد ولعلّ الله يصلح به فئتين عظيمتين» فحسب بلا زيادة، كما فی البخاری كتاب الصلح، والترمذی ۵: ۳۷۷۳.

[۳۵۰] مناقب آل أبی طالب ۴: ۴۹، ومقتل الخوارزمی ۱: ۱۴۱.

وأكمل الدينورى قال: ثمّ شهق ابن عباس فبكى، فبكى من فى المجلس حتى معاوية، ثمّ قال له:

بلغنى أنه ترک بنين صغاراً! فقال ابن عباس: كلنا كان صغيراً فكبر! قال معاوية: كم بلغ من عمره؟ قال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده! فأسكت معاوية لفترة ثمّ قال له: يابن العباس! أصبحت سيّد قومک من بعده! (متجاهلًا الحسين (ع) فقال ابن عباس: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا! فقال معاوية: لله أبوک يابن عباس! ما استنبأتک إلّا وجدتک مُعدّاً[٣٥١]!

واختصر الخبر اليعقوبى قال: لما توفى الحسن بن على كان ابن عباس عند معاوية (بدمشق) فلما بلغ معاوية نعى الحسن دخل عليه ابن عباس فقال له

ص: ١۶۴

معاوية: يابن عباس، مات الحسن! فاسترجع وقال: على عظيم الخطب وجليل المصاب! ثمّ قال له: أما والله يا معاوية، لئن كان الحسن مات فما ينسئ موته فى أجلک ولا يسدّ جسمه حفرتک! ولقد مضى إلى خير وبقيت على شرّ! فقال معاوية: لا أحسبه قد خلّف إلّا صبيةً صغاراً! قال: كلنا كان صغيراً فكبر! قال: بخْبخْ يابن عباس أصبحت سيّد قومک! قال: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله، فلا[٣٥٢].

واختزل النقل البلاذرى، عن الكلبى، عن أبى صالح قال: لقى ابن عباس معاوية فقال له معاوية: عجباً للحسن! شرب عسلة طائفية بماء بئر رؤمة فمنها مات! فقال ابن عباس: لئن هلک الحسن فلن ينسأ فى أجلک: قال: وأنت اليوم سيّد قومک! قال: أمّا ما بقى أبو عبد الله (الحسين) فلا[٣٥٣].

وللخبر مصادر عديدة وجاء فى بعضها قال له معاوية يبكّته. فظنّها بعضهم: بمكة، ومنهم البلاذرى.

وعلى أىّ حال، فلم يكن بالمدينة فى وفاة الحسن (ع) كما أفاده المفيد منفرداً به كما مرّ خبرُه.

وعزل سعيداً وأمّر مروان بعد زمان:

---

[٣٥١] الإمامة والسياسة ١: ١٧٥.

[٣٥٢] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢٥ و ٢٢۶.

[٣٥٣] أنساب الأشراف ٣: ۶٧، الحديث ٧۴، وانظر تعاليق المحقق المحمودى بمصادر أُخرى.

روى الواقدى قال: لما مات الحسن بن على (ع) بعث سعيد بن العاص رسولًا إلى معاوية يخبره بذلک، ولما دُفن الحسن بالبقيع أرسل مروان بريداً يخبر

ص: ۱۶۵

معاوية يقول: فإنى يا أمير المؤمنين! عقدت لوائى وأحضرت معى ممن أبتغى ألفى رجل! قد تلبّسنا السلاح فلم يزل الله! يدرأ الحسن أن يكون ثالثاً مع أبى بكر وعمر، حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم رحمه الله! وهم الذين فعلوا بعثمان ما فعلوا! وإنّ سعيد بن العاص قد لاقى بنى هاشم وما لأهم على أن يُدفن الحسن مع رسول الله وأبى بكر وعمر! فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع، ويعده أن يعزل سعيداً ويولّيه المدينة! وكان قد وليها فى آخر سنة (۴۹) قبل موت الحسن، فكان معاوية يستحيى من سرعة عزله إياه. وعلم سعيد بكتاب مروان إلى معاوية، فكان يلقاه.

ويقول له ممازحاً: ما جاءک فينا شيء؟ فيقول مروان: أتظن أنّى أطلب عملک؟! فاستحيا سعيد وسكت عنه ثمّ عزله معاوية وولّى مروان وكتب إليه: إذا جاءک كتابى هذا فلا تدع لسعيد بن للعاص قليلا ولا كثيراً إلّا قبضته۳۵۴.

وروى الخبر الزبير بن بكّار عن رجاله خبراً طويلا ذكر الأربلى موضع الحاجة منه وفيه: أنّ معاوية أذن للناس إذناً عاماً وأذن لابن عباس فى آخرهم واستدناه ونعى إليه الحسن (ع) وفى آخره: ثمّ قام وعينه تدمع.

وبعد انقضاء العزاء (؟) دخل عليه فقال له هذه المرة: يا أبا العباس، أتدرى ما حدث فى أهلک؟ هلک أُسامة بن زيد فعظم الله لک الأجر! قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» رحم الله أُسامة، وخرج.

وفى يوم الجمعة صلّى فى الجامع واجتمع عليه الناس يسألونه عن الفقه والحلال والحرام، والتفسير، وأحوال الجاهلية والإسلام (التاريخ) وهو يجيب،

ص: ۱۶۶

وبانت قلةُ من ذهب إلى معاوية فسأل فقيل له: إنهم شُغلوا بابن عباس! ولو شاء قبل الليل أن يضربوا معه بمئة ألف سيف لفعل! فقال: نحن ظلمناه: نعينا إليه أهله ومنعناه حاجته وحبسناه عن أهله! انطلقوا إليه فادعوه! فأتاه حاجبه فدعاه، فقال: نحن بنو عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقم حتى نصلى، فأُصلى إن شاء الله وآتيه!

---

[۳۵۴] الطبقات الكبرى: ۸ ترجمة الإمام الحسن(ع)، الحديث ۱۸۸، وتاريخ دمشق ۲۱: ۳۸ ترجمة سعيد ولكن لم يكن ذلک سريعاً بل بعد حين.

فصَلّى العَصر ثمّ ذهب إليه، فأراد معاوية أن يعرّف أهل الشام بميل ابن عباس إلى الدنيا فقال له: أقسمت عليک لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتک! فقال: إن ذلک ليس لی ولا لک! فإن أذنت أن أعطی کلّ ذی حقّ حقّه فعلت. فقال معاوية: أقسمت عليک إلّا دخلت فأخذت حاجتک. فدخل فرأی فيه برنُس خزّ أحمر کان يقال إنه لأمير المؤمنين علی (ع) فأخذه وخرج (ولعلّه بمعونة قائده) ثمّ قال لمعاوية:

يا أمير المؤمنين! بقيت لی حاجة! فقال: ما هی؟ قال: إنّک قد عرفت فضل علیّ بن أبی طالب وسابقته وقرابته، وقد کفاکه الموت، فأحبّ أن لا يُشتم علی منابرکم! ولعلّه سمعه من خطيبه.

فقال معاوية: يابن عباس! هيهات! هذا أمر دين! ثمّ أخذ يعدّد عليه: أليس فعل وأليس فعل؟ فقال ابن عباس: فالموعد القيامة و (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)۳۵۵ وخرج وتوجّه إلی المدينة۳۵۶.

ص: ۱۶۷

نعی الإمام فی الکوفة:

انتشر خبر وفاة الحسن (ع) وبلغ العراق والکوفة، وأشهر أزواج الإمام جعدة بنت الأشعث الکندی الکوفی، وشاعر أمير المؤمنين بالکوفة النجاشی الحارثی الشاعر فقال:

يا جعدُ بکّيه ولا تسأمی	بکاء حقّ ليس بالباطل
علی ابن بنت الطاهر المصطفی	وابن ابن عمّ المصطفی الفاضل
کان إذا شُبّت له ناره	يوقدها بالشرف القابل
کيما يراها بائس مُرملٌ	أو ذو اغتراب ليس بالآهل
لن تُغلقی باباً علی مثله	فی الناس من حاف ومن ناعل
نعم فتی الهيجاء يوم الوغی	والسيّد القائل والفاعل۳۵۷

---

[۳۵۵] الأنعام: ۶۷.

[۳۵۶] کشف الغمة ۲: ۴۸ و ۴۹ عن الموفقيات للزبير بن بکار، وهو الخبر السابع من عشرة أخبار عنه، وانظر تعليقته علی الکتاب والمؤلف فی ۲: ۴۲ و ۴۳.

نعم كأنه لم يعلم بأنها هى التى قتلته بسمّ معاوية، فعزّاها بشعره يخصّها بالرثاء والتأبين!

واجتمع «الشيعة» بالكوفة فى دار سليمان بن صُرد الخزاعى ومعهم بنو جعدة بن هُبيرة المخزومى أبناء عمة الإمام المجتبى (ع)، فكتبوا إلى الحسين يعزّونه بمصابه بالحسن:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن على، من «شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، سلام عليک، فإنّا نحمد إليک الله الذى لا إله إلّا هو. أما بعد، فقد بلغنا

ص: ۱۶۸

وفاة الحسن بن على، فالسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً وغفر الله ذنبه! وتقبّل حسناته وألحقه بنبيّه، وضاعف لک الأجر فى المصاب به وجبر بک المصيبة من بعده، فعند الله نحتسبه، و «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ما أعظم ما اصيبت به هذه الامّة عامّة وأنت وهذه «الشيعة» خاصّة، بهلاک ابن الوصى وابن بنت النبىّ، علم الهدى ونور البلاد، المرجوّ لإقامة الدين وإعادة سير الصالحين، فاصبر رحمک الله على ما أصابک (إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فإن فيک خلفاً ممّن كان قبلک، وإن الله يؤتى رشده من يهتدى بهديک، ونحن «شيعتک» المصابة بمصيبتک، المحزونة بحزنک والمسرورة بسرورک والسائرة بسيرتک والمنتظرة لأمرک شرح الله صدرک ورفع ذكرک وأعظم أجرک، وغفر ذنبک وردّ عليک حقّک[۳۵۸]!

وكتب إليه بنو عمته أم هانئ المخزوميون: أنهم قد لقوا من أنصارهم بالكوفة من يُطمأن إلى قوله ويُرضى هديه ويُعرف بأسه ونجدته، فأفضوا إليهم بما هم عليه من شأن ابن أبى سفيان والبراءة منه، وسألوا الحسين (ع) الكتابة برأيه إليهم. فكتب إليهم:

---

[۳۵۷] أنساب الأشراف ۳: ۷۵، الحديث ۸۲ ولها مصادر كثيرة منها بطريقين آخرين فى تاريخ دمشق- الإمام الحسن(ع): ۲۱۲، الحديث ۲۳۷ و ۳۴۱ و ۳۷۵، ويبدو أن شاعراً متطفلا زاد فيها بيتاً وجعلها فى على بن الحسين(ع) قال:

أعنى ابن ليلى ذا السدا والندا أعنى ابن بنت الشرف الفاضل

كما فى مقاتل الطالبيين: ۵۳ عن ابن عقدة!

[۳۵۸] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۲۸ وانفرد به بدون ذكر جواب عليه. والآية ۱۷ من سورة لقمان.

إنی لأرجو أن یکون رأی أخی (رحمه الله) فی الموادعة، ورأیی فی جهاد الظلمة، رشداً وسداداً. فاکموا الهوی واحترسوا الأظنّاء واخفوا أشخاصکم والصقوا بالأرض مادام ابن هند حیّاً، فإن یحدث به حدث وأنا حیّ یأتکم رأیی إن شاء الله[۳۵۹].

ص: ۱۶۹

وصفه وتاریخ شهادته

وکان الحسن (ع) أبیض مشرّباً بحمرة، ذا وفرة جعد الشعر من أحسن الناس وجها ملیحاً، أدعج العینین، سهل الخدّین، کث اللحیة یخضبها بالسواد کأن عنقه إبریق فضّة، بعید ما بین المنکبین، ربعة لیس بالطویل ولا بالقصیر، حسن البدن.

توفی فی سنة (۴۹ ه-) وغسّله الحسین ومحمد والعباس أُخوته[۳۶۰].

وقال الکلینی: مضی (ع) فی آخر شهر صفر من سنة (۴۹ ه-) وهو ابن سبع وأربعین سنة وأشهر[۳۶۱] واختار المفید أنه کان له (۴۸) سنة وتوفّی فی صفر سنة (۵۰ ه-)[۳۶۲] للیلتین بقیتا منه[۳۶۳].

وتبعه الطبرسی: للیلتین بقیتا من صفر[۳۶۴] وتبعه الحلبی الساروی ابن شهر آشوب المازندرانی[۳۶۵] وعلیه العمل فی بلاد فارس والعجم غالباً. واکتفی الإربلی بالنقل عن «الإرشاد» و «إعلام الوری» واختار الشهید والکفعمی السابع من شهر صفر[۳۶۶]، وعلیه العمل فی الشیعة العرب غالباً.

وقال ابن الخیاط: توفی الحسن (رحمه الله) فی سنة (۴۹) وفی سنة (۵۰) دعا معاویة أهل الشام إلی بیعة ابنه یزید فأجابوه وبایعوه وأغزاه مع أبی أیوب الأنصاری إلی الروم فلما عاد أمّره موسم الحجّ[۳۶۷].

ص: ۱۷۰

---

[۳۵۹] أنساب الأشراف ۳: ۱۵۶، الحدیث ۱۶۶ واختصر الإشارة فی صدر خبره إلی کتاب أهل الکوفة إلیه من دار الخزاعی، الذی مرّ عن الیعقوبی.

[۳۶۰] الذریة الطاهرة للدولابی: ۱۲۰، الحدیث ۱۳۴.

[۳۶۱] أُصول الکافی ۱: ۴۶۱.

[۳۶۲] الإرشاد ۲: ۱۵.

[۳۶۳] مسار الشیعة: ۶۳.

[۳۶۴] إعلام الوری ۱: ۴۰۳ وفی عمره وافق الکلینی وفی عام الوفاة المفید.

[۳۶۵] مناقب آل أبی طالب ۴: ۳۴ وفی عمره وافق الکلینی وفی عام الوفاة وافق المفید.

[۳۶۶] الدروس ۱: ۴۲۱ من موسوعة الشهید الأول: ۹، ومصباح الکفعمی: ۵۱۰ و ۵۲۲.

[۳۶۷] تاریخ خلیفة: ۱۲۸ و ۱۲۹ ولاحظ التعلیق السابق لحضور أبی أیوب.

وقال اليعقوبى: فى شهر ربيع الأول سنه (۴۹) توفى الحسن (ع) سقى السم۳۶۸ وبعد وفاته بايع معاويهٔ لابنه يزيد بولايهٔ عهده، ولم يتخلف عن بيعته إلّا أربعهٔ نفر، هم ...۳۶۹.

وقال الدينورى: بعد وفاهٔ الحسن رحمه الله لم يلبث معاويهٔ إلّا يسيراً ثمّ بايع ليزيد ابنه بالشام، وكتب ببيعته إلى الآفاق۳۷۰.

مصادر الكتاب

الاحتجاج على أهل اللجاج، أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى (ت: ۵۶۰ ه‍- ق).

الأخبار الموفقيات، أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن ثابت القرشى الأسدى (ت: ۲۵۶ ه‍- ق)

الاختصاص، الشيخ المفيد، أبى عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى (ت: ۴۱۳ ه‍- ق).

اختيار معرفهٔ الرجال (رجال الكشى)، أبوجعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى المعروف ب- (شيخ الطائفهٔ) (ت: ۴۶۰ ه‍- ق).

الإرشاد فى معرفهٔ حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبى عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى (ت: ۴۱۳ ه‍- ق).

الاستيعاب فى أسماء الصحابهٔ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبى المالكى (ت: ۳۶۳ ه‍- ق).

اسد الغابهٔ فى معرفهٔ الصحابهٔ، عزّ الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى المعروف ب- (ابن الأثير الجزرى) (ت: ۶۳۰ ه‍- ق).

---

[۳۶۸] تاريخ اليعقوبى ۲: ۳۳۵.

[۳۶۹] تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۲۸.

[۳۷۰] الإمامهٔ والسياسهٔ ۱: ۱۷۵ إلّا أنه ذكر الوفاهٔ سنهٔ(۵۱) والمسعودى فى مروج الذهب ۳: ۲۷ قال: وفى سنهٔ(۵۹) وفد على معاويهٔ وفد الأمصار من العراق وغيرها فأخذهم بالبيعهٔ ليزيد.

الاشتقاق، أبوبكر محمّد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١ ه‍- ق).

أصول الكافى (الكافى) (روضة الكافى)، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى (ت: ٣٢٩ ه‍- ق).

أعلام الدين فى صفات المؤمنين، الحسن بن أبى الحسن الديلمى (من أعلام القرن الثامن الهجرى).

إعلام الورى بأعلام الهدى، أبوعلى الفضل بن الحسن الطبرسى (ت: من أعلام

ص: ١٧٢

القرن السادس).

الأغانى، أبوالفرج على بن الحسين الإصفهانى (ت: ٣٥۶ ه‍- ق).

الأمالى، أبو عبدالله محمّد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المعروف ب- (المفيد) (ت: ۴١٣ ه‍- ق).

الأمالى، أبوجعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن المعروف ب- (الشيخ الطوسى) (ت: ۴۶٠ ه‍- ق).

الأمالى، الشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت: ٣٨١ ه‍- ق).

الإمام المجتبى (أبومحمّد الحسن المجتبى (ع)، حسن المصطفوى (معاصر).

الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت: ٢٧۶ ه‍- ق).

أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت: ٢٧٩ ه‍- ق).

الإيضاح، أبومحمد الفضل بن شاذان بن خليل النيسابورى (ت: ٢۶٠ ه‍- ق).

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمدباقر بن محمدتقى المجلسى (ت: ١١١١ ه‍- ق).

البداية والنهاية، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى المعروف ب- (ابن كثير) (ت: ٧٧۴ ه‍- ق).

بصائر الدرجات، أبوجعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمّى (ت: ٢٩٠ ه‍- ق).

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢۵۵ ه‍- ق).

تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت: ٩١١ ه‍- ق).

تاريخ الشام/ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبوالقاسم على بن الحسن بن هبة

ص: ۱۷۳

الله الشافعى (ت: ۵۷۱ ه‍- ق).

تاريخ الطبرى (تاريخ الأُمم والملوک)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت: ۳۱۰ ه‍- ق).

تاريخ اليعقوبى (تاريخ ابن واضح)، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى (ت: ۲۸۴ ه‍- زق).

تاريخ بغداد (مدينة السلام)، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (ت: ۴۶۳ ه‍- ق).

تاريخ خليفة، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى البصرى (ت: ۲۴۰ ه‍- ق).

تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن المصرى (معاصر).

تاريخ القرآن، أبوعبدالله بن نصر الله الزنجانى (معاصر).

تاريخ مدينة دمشق، أبوالقاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف ب- (ابن عساكر) (ت: ۵۷۱ ه‍- ق).

تذكرة الخواص من الأُمة بذكر خصائص الأئمة (عليهم السلام)، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى بن عبدالله، سبط ابن الجوزى (ت: ۶۵۴ ه‍- ق).

ترتيب الأمالى، محمد جواد بن منصور المحمودى (معاصر).

ترجمة الإمام الحسن (ع) من تاريخ مدينة دمشق، إعداد محمد باقر المحمودى (معاصر).

تشييد المطاعن لكشف الضغائن، محمد قلى بن محمد حسين بن حامد الموسوى النيسابورى (ت: ۱۲۶۰ ه‍- ق).

تفسير فرات الكوفى، أبوالقاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى (ت: ۳۵۲ ه‍- ق)

تلخيص الشافى، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت: ۴۶۰ ه‍- ق).

ص: ۱۷۴

التمهيد، محمد هادى المعرفة (معاصر).

تنزیه الأنبیاء، أبوالقاسم علی بن الحسن الموسوی المعروف ب- (الشریف المرتضی) (ت: ۴۳۶ ه-. ق).

تهذیب التهذیب، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی (ت: ۸۵۲ ه-. ق).

التوحید، الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی (ت: ۳۹۱ ه-. ق).

تیسیر المطالب فی أمالی أبی طالب، السید یحیی بن الحسین بن هارون (ت: ۴۲۴ ه-. ق).

جمهرة اللغة، أبوبکر محمد بن الحسن بن درید (ت: ۳۲۱ ه-. ق).

حیاة الإمام الحسن (ع)، الشیخ محمد باقر شریف القرشی (معاصر).

خصائص الإمام أمیر المؤمنین (ع)، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعیب النسائی (ت: ۳۰۳ ه-. ق).

الخصال الممدوحة والمذمومة، أبوجعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی المعروف ب- (الشیخ الصدوق) (ت: ۳۸۱ ه-. ق).

الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة، السیّد علی خان الشیرازی (ت: ۱۱۳۰ ه-. ق).

الدروس الشرعیة، شمس الدین محمد بن مکی العاملی (الشهید الأول) (ت: ۷۸۶ ه-. ق) من موسوعة الشهید الأول.

دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جریر بن رستم الطبری الشیعی (من أعلام القرن الخامس الهجری).

الذریعة الطاهرة، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاری الرازی الدولابی (ت: ۳۱۰ ه-. ق).

سنن أبی داود، أبو داود سلیمان بن الأشعث السجستانی الأزدی (ت: ۲۷۵ ه-. ق).

سنن الترمذی (الجامع الصحیح)، محمد بن عیسی بن سورة الترمذی (ت: ۲۹۷).

شرح نهج البلاغة، عز الدین عبدالحمید بن محمد بن أبی الحدید المعتزلی المعروف ب- (ابن أبی الحدید) (ت: ۶۵۶ ه-. ق).

الشیعة وفنون الإسلام، أبو محمد الحسن الصدر (معاصر).

صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة الجعفی البخاری (ت: ۲۵۶ ه‍- ق).

صلح الحسن (ع)، الشیخ راضی آل یاسین (معاصر)

الطبقات الکبری، ابن سعد، محمد بن سعد بن منیع البصری الزهری (ت: ۲۳۰ ه‍- ق).

عقیدة الشیعة فی الإمامة، محمد باقر شریعتی الإصفهانی النجفی (متأخر).

علل الشرائع، الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی (ت: ۳۸۱ ه‍- ق).

عمرو بن العاص، عباس محمود العقّاد (معاصر).

عمرو بن العاص بین یدی التاریخ، عبدالخالق سیّد أبورابیة المصری (معاصر).

عیون أخبار الرضا (ع)، أبو جعفر الصدوق (ت: ۳۸۱ ه‍- ق).

عیون الأخبار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتیبة الدینوری (ت: ۲۵۶ ه‍- ق).

الغارات (الاستنفار والغارات)، أبو إسحاق إبراهیم بن محمد بن سعید بن هلال المعروف ب- (ابن هلال الثقفی) (ت: ۲۸۳ ه‍- ق).

الغدیر فی الکتاب والسنّة، عبدالحسین بن أحمد الأمینی التبریزی النجفی (ت: ۱۳۷۱ ه‍- ق).

الفتوح (کتاب الفتوح)، أبو محمد أحمد بن أعثم الکوفی (ت: ۳۱۴ ه‍- ق).

الفروق بین الأباطیل والحقوق، أبوالحسن محمد بن بحر بن سهل الشیبانی.

فضائل الصحابة، أبو سعد عبدالکریم بن محمد بن منصور التیمی السمعانی (ت: ۵۶۲ ه‍- ق).

قاموس الرجال، الشیخ محمدتقی بن کاظم بن محمد التستری (معاصر).

الکامل، أبو العبّاس محمد بن یزید المبرد (ت: ۲۸۵ ه‍- ق).

الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر الجزری، علی بن محمد بن محمد بن عبدالکریم الشیبانی (ت: ۶۳۰ ه‍- ق).

كتاب سليم بن قيس الهلالى العامرى (ت: ۷۶ ه‍-. ق).

كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستّة، نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت: ۸۰۷ ه‍-. ق).

كشف الغمة فى معرفة الأئمة (عليهم السلام)، أبوالحسن على بن عيسى بن أبى الفتوح الإربلى (ت: ۶۹۲ ه‍-. ق).

كشف المحجّة لثمرة المهجة، أبوالقاسم على بن موسى بن جعفر بن محمد طاووس الحسنى (ت: ۶۶۴ ه‍-. ق).

كفاية الأثر فى النص على الأئمة الاثنى عشر (عليهم السلام)، أبوالقاسم على بن محمد بن على الخزاز القمّى الرازى (من أعلام القرن الرابع الهجرى).

كفاية الطالب فى مناقب على بن أبى طالب (عليهم السلام)، محمد بن يوسف بن محمد الكنجى الشافعى (ت: ۶۵۸ ه‍-. ق).

كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر الصدوق (ت: ۳۸۱ ه‍-. ق).

مثالب العرب، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت: ۲۰۴ ه‍-. ق).

المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقى (ت: ۳۲۰ ه‍-. ق).

مروج الذهب ومعادن الجواهر، على بن الحسين المسعودى (ت: ۳۴۶ ه‍-. ق).

مسار الشيعة فى مختصر تواريخ الشريعة، أبوعبدالله، الشيخ المفيد (ت: ۴۱۳ ه‍-. ق).

المستدرک على الصحيحين، أبوعبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم الحسكانى النيسابورى (ت: ۴۰۵ ه‍-. ق).

مسند أحمد، أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (ت: ۲۴۱ ه‍-. ق).

مسند الإمام المجتبى، عزيز الله العطاردى (معاصر).

المصباح، إبراهيم بن على بن الحسن العاملى الكفعمى (ت: ۹۰۵ ه‍-. ق).

المعارف، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت: ۲۷۶ ه‍-. ق).

معاوية وعمر بن العاص، السيّد تحسين الموسوى (معاصر).

معجم البلدان، أبو عبدالله یاقوت بن عبدالله الحموی الرومی البغدادی (ت: ۶۲۶ ه‍- ق).

المعجم الکبیر، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی (ت: ۳۶۰ ه‍- ق).

المفاخرات، زبیر بن بکار بن عبدالله بن ثابت القرشی الأسدی (ت: ۲۵۶ ه‍- ق).

مقاتل الطالبیین، أبو الفرج علی بن الحسین بن محمد الإصفهانی (ت: ۳۵۶ ه‍- ق).

مقتل الإمام الحسین (ع)، أبو المؤیّد الموفّق بن أحمد المکّی الخوارزمی (ت: ۵۶۸ ه‍- ق).

مقتل الإمام علی بن أبی طالب (ع)، أبو بکر عبدالله بن محمد بن عبید المعروف ب- (ابن أبی الدنیا) (ت: ۲۸۱ ه‍- ق).

مناقب آل أبی طالب، أبو جعفر رشید الدین محمد بن علی بن شهرآشوب السروی المازندرانی (ت: ۵۸۸ ه‍- ق).

من تاریخ تدوین الحدیث روایهٔ وکتابهٔ حتّی عهد معاویهٔ، المؤلف.

موسوعهٔ التاریخ الإسلامی، محمد هادی الیوسفی الغروی (المؤلف).

نفحهٔ الیمن فیما یزول بذکر الشجن، أحمد بن محمد بن علی الأنصاری الشروانی (ت: ۱۲۵۳ ه‍- ق).

نهج البلاغهٔ (خطب ورسائل وکلمات الإمام علی (ع)، جمعه واعدّه السیّد أبوالحسن الشریف الرضی محمد بن الحسن بن موسی الموسوی (ت: ۴۰۶ ه‍- ق)

الوزراء والکتّاب، للجهشیاری، محمد بن عبدوس بن عبدالله الکوفی (ت: ۳۳۱ ه‍- ق)

وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس شمس الدین أحمد بن محمد بن أبی بکر بن خلکان (ت: ۶۸۱ ه‍- ق).

وقعهٔ صفین، نصر بن مزاحم المنقری (ت: ۲۱۲ ه‍- ق).

الفهرس

عصر الإمام المجتبى (ع) ٣

اجتماعياً وسياسياً ٣

مقدمة المجمع ٧

مقدّمة المؤلف ٩

الإمام المجتبى (ع) مع الرسول المطصفى (ص) ١١

مع جدّه فى مولده ١١

الحسن (ع) فى آية التطهير ١٣

الحسن (ع) فى المباهلة ١٤

إنزل عن منبر أبى ١٦

خطبة الحسن (ع) فى وفاة أبيه ١٧

وخطبتاه قبل البيعة له وبعدها ١٩

ثمّ أقدم على ابن ملجم ٢١

نعى الإمام إلى المدينة والشام ٢٢

بيعة الحسن (ع) بالحرمين ٢٤

عهد الإمام الحسن (ع) ٢٦

كتابه إلى معاوية ٢٨

[٣٧١] يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الامام المجتبى عليه السلام، ١جلد، المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) – قم – ايران، چاپ: ١، ١۴٣۵ ه.ق.

جواب معاوية ٣٠

جاسوسا معاوية ٣٢

وكتاب ثان ٣٤

ابن حرب يبدأ الحرب ٣٤

خطبة الحسن (ع) للجهاد ٣٥

مسير الإمام إلى الشام ومقدّمته ٣٧

وسار الإمام إلى المدائن ٣٩

معاوية وابن عباس وابن سعد ٤١

غدرهم وخبرهم إلى المدائن ٤٣

رسل السلام ومشورة الإمام ٤٤

كتب وشروط للحسن (ع) ٤٧

وكتاب وشرط أمان لقيس ٤٩

معاوية إلى النخيلة، وبيعة الحسنين (عليهما السلام) وقيس وخطبهم ٥٠

معاوية فى جامع الكوفة ٥٥

المعترضون على صلح الإمام (ع) ٥٦

الإمام فى مجلس معاوية ٥٩

الحسين (ع) والمعترضون ٦٢

الإمام، وفراق العراق ٦٣

عاملا الشام على العراقين ۶۵

الأشعرى وأبو هريرة فى الكوفة ۶۷

بسر فى البصرة فى رجب (۴۱ ه-) وأبناء زياد ۶۸

معاوية والروم ۷۳

والشام أرض مقدّسة وهو كاتب الوحى ۷۳

وأمر زياد ومعاوية ۷۴

زياد مع المغيرة فى الكوفة ۷۹

معاوية وعمرو وابن جعفر ۷۹

وابن درّاج على الخراج والصفايا وهدايا النوروز والمهرجان ۸۲

موسم الحج والاحتجاج على الحسن (ع) ۸۴

عقيصا وعويص أمر الصلح ۸۷

هل حجّ ابن العاص ولقى الإمام (ع)؟ ۸۹

الإمام (ع) فى الشام ۹۰

بقايا خوارج النهروان فى شعبان (۴۳ ه-) ۹۹

فاستلحق زياداً ليوليّه البصرة ۱۰۳

معاوية وابن عباس وابن العاص ۱۰۵

وعاد عمرو فهلک ۱۰۸

وضعف الفهرى عن إدارة البصرة ۱۰۹

وعزل ابن عامر عن البصرة ١١٠

معاوية وسعد فى المدينة ١١٥

وابن عباس ومعاوية ١١٧

أُسامة بن زيد وعمرو بن عثمان ١١٩

سعد ومعاوية فى الطريق وفى مكة ١٢٠

إمرة زياد على البصرة ١٢٢

وحمل الدؤلى على تنقيط المصحف ١٢٦

أراد يزيد ورشّحوا غيره فقتله ١٢٦

المغيرة وولاية العهد ليزيد ١٣٠

المغيرة يكفّر معاوية ١٣١

وفد العراق لولاية عهد يزيد ١٣٢

موت المغيرة وزياد على العراقين ١٣٣

وتعقّب المولى سعيد بن سرح ١٣٦

مصاهرة معاوية لبنى هاشم ١٣٨

وفود البصرة فى عهد سَمُرة ١٤٠

قدم المدينة سنة خمسين ١٤٣

وسمّ الإمام (ع) ١٤٦

مواعظه لجنادة ١٤٩

وصيته إلى الحسين (ع) ١٥١

تشييعه ودفنه ۱۵۲

تأبينه والحداد عليه ۱۵۹

نعى الإمام فى الشام ۱۶۰

وعزل سعيداً وأمّر مروان بعد زمان ۱۶۴

نعى الإمام فى الكوفة ۱۶۷

وصفه وتاريخ شهادته ۱۶۹

مصادر الكتاب ۳۷۲۱۷۱

ص: ۱۸۲

[۳۷۲] يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الامام المجتبى عليه السلام، ۱جلد، المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) – قم – ايران، چاپ: ۱، ۱۴۳۵ ه.ق.